مكاشفة القلوب

المقرب الى حضرة علام الغيوب

في علم التصوف

للعالم العامل والحبر البحر الفاضل الكامل
عين أعيان أكابر العلماء وأستاذ الأساتذة
الكملة النجباء أستاذ الشريعة
شمس مشايخ الاسلام
الشيخ الغزالى بوأه
الله دار السلام

بسلام

التزام

محمد علي صبيح وأولاده
بميدان الأزهر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحسن تدبير الكائنات وخلق الأرضين والسموات وأنزل الماء من المعصرات وأنشأ الحب والنبات وقدر الأرزاق والأقوات واثاب على الاعمال الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذى المعجزات الظاهرات الذى حصل من نوره وجود الكائنات (وبعد) فهذا كتاب اختصرته من الكتاب البديع حسن الصنيع المسمى بمكاشفة القلوب المقرب إلى علام الغيوب المنسوب إلى الشيخ الغزالى وقد سميته كأصله بمكاشفة القلوب واعوذ بالله من الشرك والذنوب واقتصرت فيه على مائة وإحدى عشر بابا ليحفظ مافيها اولوا العلم والالباب

(الباب الأول) فى الخوف (الباب الثانى) فى الخوف من الله تعالى ايضا (الباب الثالث) فى الصبر والمرض (الباب الرابع) فى الرياضة والشهوة النفسانية (الباب الخامس) فى غلبة النفس وعداوة الشيطان (الباب السادس) فى الغفلة (الباب السابع) فى نسيان الله والفسق والنفاق (الباب الثامن) فى التوبة (الباب التاسع) فى المحبة (الباب العاشر) فى ذكر العشق الباب الحادى عشر) فى طاعة الله ومحبته ومحبة رسوله ﷺ (الباب الثانى عشر) فى ذكر ابليس وعذابه (الباب الثالث عشر) فى ذكر الامانة (الباب الرابع عشر) فى الصلاة بالخضوع والخشوع (الباب الخامس عشر) فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (الباب السادس عشر) فى عداوة الشيطان (الباب السابع عشر) فى الامانة والتوبة (الباب الثامن عشر) فى فضل الترحم (الباب التاسع عشر) فى الخشوع فى الصلاة (الباب العشرون) فى الغيبة والنميمة (الباب الحادى والعشرون) فى الزكاة (الباب الثانى والعشرون) فى ترك الزنا (الباب الثالث والعشرون) فى صلة الرحم وحقوق الوالدين (الباب الرابع والعشرون) فى بر الوالدين (الباب الخامس والعشرون) فى منع الزكاة والبخل (الباب السادس والعشرون) فى طول الامل (الباب السابع والعشرون فى ملازمة الطاعة وترك الحرام (الباب الثامن والعشرون) فى ذكر الموت (الباب التاسع والعشرون) فى ذكر السموات والأجناس المختلفة (الباب الثلاثون) فى الكرسى

﴿الباب الأول فى بيان الخوف﴾

جاء فى الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق ملكا له جناح فى المشرق وجناح فى المغرب ورأسه تحت العرش ورجلاه تحت الأرض السابعة وعليه بعدد خلق الله تعالى ريش فاذا صلى رجل أو امرأة من أمتى على أمره الله تعالى بأن ينغمس فى بحر من نور تحت العرش فينغمس فيه ثم يخرج وينفض جناحه فيقطر من كل ريشة قطرة فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا يستغفر له إلى يوم القيامة قال بعض الحكماء سلامة الجسد فى قلة الطعام وسلامة الروح فى قلة الآثام وسلامة الدين فى الصلاة على خير الأنام قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله يعنى اخشوا الله وأطيعوه ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعنى عملت ليوم القيامة ومعناه تصدقوا واعملوا بالطاعة لتجدوا ثوابها يوم القيامة واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون من الخير والشر فان الملائكة والسماء والأرض والليل والنهار يوم القيامة يشهدون بما عمل ابن آدم من خير أو شر طاعة أو معصية حتى أن جوارحه تشهد عليه والأرض تشهد للمؤمن والزاهد فتقول صلى على وصام وحج وجاهد فيفرح المؤمن والزاهد وتشهد على الكافر والعاصى فتقول أشرك على وزنا وشرب الخمر وأكل الحرام فيا ويله إن ناقشه فى الحساب أرحم الراحمين المؤمن هو الذي يخاف الله تعالى بجميع جوارحه كما قال الفقيه أبو الليث علامة خوف الله تعالى تظهر فى سبعة أشياء أولها لسانه فيمنعه من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وكلام الفضول ويجعله مشغولا بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم والثانى قلبه فيخرج منه العداوة والبهتان وحسد الاخوان لأن الحسد يمحو الحسنات كما قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب واعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة فى القلوب ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل والثالث نظره فلا ينظر إلى الحرام من الأكل والشرب والكسوة وغيرها ولا الى الدنيا بالرغبة بل يكون نظره على وجه الاعتبار ولا ينظر إلى ما لا يحل له كما قال صلى الله عليه وسلم من ملأ عينه من الحرام ملأ الله تعالى يوم القيامة عينه من النار والرابع بطنه فلا يدخل بطنه حراما فانه اثم كبير كما قال صلى الله عليه وسلم إذا وقعت لقمة من الحرام فى بطن ابن آدم لعنه كل ملك فى الأرض والسماء ما دامت تلك اللقمة فى بطنه وإن مات على تلك الحالة فمأواه جهنم والخامس يده فلا يمد يده إلى الحرام بل يمدها الى ما فيه طاعة الله تعالى وروى عن كعب الاحبار أنه قال ان الله تعالى خلق دارا من زبرجدة خضراء فيها سبعون ألف دار

فى كل دار سبعون ألف بيت لا ينزلها إلا رجل يعرض عليه الحرام فيتركه من مخافة الله تعالى والسادس قدمه فلا يمشى فى معصية الله بل يمشى فى طاعته ورضاه والى صحبة العلماء والصلحاء والسابع طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله تعالى ويخاف من الرياء والنفاق فاذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله تعالى فى حقهم والآخرة عند ربك للمتقين وقال فى آية اخرى إن المتقين فى جنات وعيون وقال الله تعالى إن المتقين فى جنات ونعيم وقال الله تعالى إن المتقين فى مقام أمين كأنه تعالى يقول انهم ينجون يوم القيامة من النار وينبغى للمؤمن أن يكون بين الخوف والرجاء فيرجو رحمة الله ولا ييأس منها كما قال الله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله ويعبد الله ويرجع عن أفعاله القبيحة ويتوب الى الله تعالى (حكاية) بينما داود عليه السلام جالس فى صومعته يتلو الزبور إذ رأى دودة حمراء فى التراب فقال فى نفسه ما أراد الله فى هذه الدودة فأذن الله الدودة حتى تكلمت فقالت يا نبى الله أما نهارى فألهمنى ربى ان اقول فى كل يوم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة وأما ليلى فألهمنى ربى أن اقول فى كل ليلة اللهم صل على محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم ألف مرة فأنت ما تقول حتى أستفيد منك فندم داود عليه السلام على احتقار الدودة وخاف من الله تعالى وتاب اليه وتوكل عليه (وكان) ابراهيم الخليل صلوات الله عليه إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا فى ميل فارسل الله جبريل فأتاه فقال له الجبار يقرئك السلام ويقول لك هل رأيت خليلا يخاف خليله فقال يا جبريل اذا ذكرت خطيئتى وفكرت فى عقوبته نسيت خلتى فهذه أحوال الأنبياء والصالحين والزاهدين فتأمل

(الباب الثانى فى الخوف من الله تعالى أيضا)

قال أبو الليث رحمه الله تعالى ان لله ملائكة فى السماء السابعة سجدا منذ خلقهم الله تعالى الى يوم القيامة ترتعد فرائصهم من مخافة الله تعالى واذا كانوا يوم القيامة رفعوا رؤسهم فقالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وذلك قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون يعنى لا يعصون الله تعالى طرفة عين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اقشعر جسد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات الشجرة ورقها (حكى) ان رجلا تعلق قلبه بامرأة فخرجت تلك المرأة إلى حاجة لها فذهب الرجل معها فلما خلا بها فى البادية ونام الناس أفشى سره اليها فقالت له المرأة انظر أنام الناس بأجمعهم ففرح الرجل بقولها وظن أنها قد أجابته فقام وطاف حول القافلة فاذا الناس نيام فرجع اليها وقال لها نعم هم نيام فقالت ما تقول

فى الله تعالى أنا ثم فى هذه الساعة فقال الرجل إن الله تعالى لا ينام ولا تأخذه سنة ولا نوم فقالت المرأة إن الذى لم ينم ولا ينام يرانا وان كان الناس لا يروننا فذلك أولى أن يخاف فتركها الرجل خوفا من الخالق وتاب ورجع الى وطنه فلما توفى رآه فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى بخوفى وتركى ذلك الذنب (حكاية) كان فى بنى إسرائيل رجل عابد ذو عيال وأصابته المجاعة وصار مضطرا فبعث امرأته لتطلب شيئا لعيالها فجاءت الى بيت رجل تاجر وطلبت منه ما تقوت به عيالها فقال الرجل نعم ولكن مكنينى من نفسك فسكتت المرأة وعادت الى بيتها فنظرت الى عيالها يصيحون ويقولون يا أمى نحن نموت من الجوع أعطينا ما نأكله فذهبت الى الرجل وكلمته فى أمر عيالها فقال لها أتكون حاجتى مقضية فقالت نعم فلما خلا بها ارتعدت مفاصلها حتى كادت أعضاؤها تزول عن مواضعها فقال لها ما لك فقالت إنى أخاف الله فقال الرجل إنك تخافين الله تعالى مع ما بك من الفقر فأنا أحق بالخوف منك وامتنع عنها وقضى حاجتها وانصرفت بنعمة كثيرة الى أولادها ففرحوا فأوحى الله الى موسى عليه السلام أن قل لفلان بن فلان أنى قد غفرت ذنوبه فجاء موسى عليه السلام فقال لعلك قد فعلت خيرا بينك وبين الله فذكر القصة عليه فقال ان الله تعالى قد غفر لك ما كان من ذنبك كذا فى مجمع اللطائف وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أمنين من خافنى فى الدنيا أمنته فى الآخرة ومن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وقال الله تعالى فلا تخشوا الناس واخشونى وقال فى آية أخرى فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين وكان عمر رضى الله عنه يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه وأخذ يوما تبنة فقال ياليتنى كنت تبنة ولم أك شيئا مذكورا ياليتنى لم تلدنى أمى ويبكى كثيرا حتى تجرى دموعه من عينه فكان فى وجهه خطان أسودان من الدموع وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع (وفى دقائق الاخبار) يؤتى بعبد يوم القيامة فترجح سيئاته فيؤمر به الى النار فتتكلم شعرة من شعرات عينيه وتقول يارب رسولك محمد صلى الله عليه وسلم قال من بكى من خشية الله حرم الله تلك العين على النار وإنى بكيت من خشيتك فيغفر الله له ويستخلصه من النار ببركة شعرة واحدة كانت تبكى من خشية الله فى الدنيا وينادى جبريل عليه السلام نجا فلان بن فلان بشعرة واحدة وفى بداية الهداية إذا كان يوم القيامة جىء بجهنم تزفر زفرة فتجثوا كل أمة على ركبها من هولها كما قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية أى على الركب كل أمة

تدعى الى كتابها فاذا أتو االنار سمعوا لها تغيظا وزفيرا تسمع زفيرتها من مسيرة خمسمائة عام وكل واحد حتى الأنبياء يقول نفسى نفسى إلا صفى الانبياء صلى الله عليه وسلم فانه يقول أمتى أمتى وتخرج من الجحيم نار مثل الجبال فتجتهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى دفعها وتقول يا نار بحق المصلين وبحق المصدقين وبحق الخاشعين وبحق الصائمين أن ترجعى فلا ترجع وينادى جبريل عليه السلام أن النار قد قصدت أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يأتى بقدح من ماء فيناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول يا رسول الله خذ هذا فرشه عليها فيرشه عليها فتطفأ فى الحال فيقول صلى الله عليه وسلم ما هذا الماء فيقول جبريل عليه السلام هذا ماء دموع عصاة أمتك الذين بكوا من خشية الله تعالى فالآن أمرت أن أعطيكه لترشه على النار فتطفأ النار باذن الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم ارزقنى عينين تبكيان من خشيتك قبل أن يكون الدمع

أعينى هلا تبكيان على ذنبى　　تناثر عمرى من يدى ولا أدرى

وجاء فى الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه من الدموع مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى فيصيب حر وجهه فتمسه النار أبدا (حكى) عن محمد بن المنذر رحمه الله تعالى أنه كان إذا بكى يمسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغنى أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع فينبغى للمؤمن أن يخاف من عذاب الله وينهى نفسه عن الشهوات النفسانية كما قال الله تعالى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ومن أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه ورحمته فليصبر على شدائد الدنيا وطاعة الله ويجتنب المعاصى (وفى زهر الرياض) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة تتلقاهم الملائكة بكل خير ونعمة فتوضع لهم المنابر وتفرش ويؤتى لهم بألوان الأطعمة والفواكه ثم تكون فيهم مع هذه النعمة حيرة فيقول الله يا عبادى ما هذه الحيرة وليست هذه دار حيرة فيقولون ان لنا موعدا قد جاء وقته فيقول الله تعالى للملائكة ارفعوا الحجب عن الوجوه فتقول الملائكة يا ربنا كيف يرونك وقد كانوا عصاة فيقول الله تعالى ارفعوا الحجب فانهم كانوا اذكرين ساجدين باكين فى الدنيا طمعا فى لقائى فترفع الحجب فينظرون فيخرون سجدا لله عز وجل فيقول الله تعالى ارفعوا رؤوسكم فان هذه ليست بدار العمل بل دار الكرامة فيتجلى لهم بلا كيف ويقول انبساطا سلام عليكم يا عبادى فقد رضيت عنكم فهل رضيتم عنى فيقولون ومالنا يا ربنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لا عين رأت ولا أذن سمعته

ولاخطر على قلب بشر وهو قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم

﴿الباب الثالث فى الصبر والمرض﴾

من أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه ورحمته ويدخل جنته فليمنع نفسه عن شهوات الدنيا وليصبر على شدائدها ومصائبها كما قال الله تعالى والله يحب الصابرين والصبر على أوجه صبر على طاعة الله وصبر على محارمه وصبر على المصيبة وعند الصدمة الأولى فمن صبر على طاعة الله تعالى أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثلثمائة درجة فى الجنة كل درجة ما بين السماء والارض ومن صبر على محارم الله أعطاه الله يوم القيامة ستمائة درجة كل درجة مثل ما بين السماء السابعة والارض السابعة ومن صبر على المصيبة أعطاه الله تعالى يوم القيامة سبعمائة درجة فى الجنة كل درجة ما بين العرش الى الثرى (حكى) أن زكريا عليه السلام هرب من اليهود فقفوا أثره فلما دنوا منه رأى شجرة فقال لها ياشجرة أدخلينى فيك فانشقت الشجرة فدخل فيها ثم التأمت عليه فأشار عليهم ابليس أن يأتوا بالمنشار ويشقوها نصفين حتى يموت فيها ففعلوا كما قال ابليس وذلك حيث اعتصم بالشجرة ولم يعتصم بالله فأورثه ذلك هلاك نفسه فنشر بالمنشار على فرقين كما روى عن النبى ﷺ أنه يقول الله تعالى ما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بى إلا أعطيته قبل أن يسألنى واستجبت له قبل ان يدعونى وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دونى إلا أغلقت أبواب السماء عليه فلما بلغ المنشار إلى دماغه صاح فقيل له يازكريا إن الله تعالى يقول لك لم لا تصبر للبلاء تقول آه لو قلتها مرة ثانية لأخرج اسمك من ديوان الانبياء فعض زكريا شفتيه وصبر حتى شقوه نصفين فيجب على العاقل أن يصبر للبلاء ولا يشكو فينجو من عذاب الدنيا والآخرة لأن أشد البلاء على الأنبياء والاولياء قال الجنيد البغدادى رحمه الله البلاء سراج العارفين ويقظة المريدين وصلاح المؤمنين وهلاك الغافلين لا يجد أحد حلاوة الايمان حتى يأتيه البلاء ويرضى ويصبر قال ﷺ من مرض ليلة فصبر ورضى عن الله تعالى خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاذا مرضتم فلا تتمنوا العافية قال الضحاك من لم يبتل بين كل أربعين ليلة ببلية أو هم أو مصيبة فليس له عند الله خير عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال اذا ابتلى الله العبد المؤمن بالسقم قال لصاحب الشمال ارفع القلم عنه وقال لصاحب اليمين أكتب لعبدى أحسن ما كان يعمل وجاء فى الخبر عن النبى ﷺ إذا مرض العبد بعث الله اليه ملكين فقال انظر ما يقول عبدى فان هو قال الحمد لله رفع ذلك الى الله وهو أعلم فيقول له

لعبدى على ان أنا توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شفيته أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيآته (حكى) أنه كان فى بنى إسرائيل رجل فاسق وكان لا يمتنع عن الفسق حتى ضج أهل بلده وعجزوا عن منعه عن فسقه فتضرعوا إلى الله فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن فى بنى إسرائيل شابا فاسقا فأخرجه من بلدهم حتى لا تقع عليهم النار بسبب فسقه فجاء موسى عليه السلام فأخرجه فذهب الشاب الى قرية من القرى فأمر الله موسى ان يخرجه من تلك القرية فأخرجه موسى عليه السلام فخرج إلى مفازة ليس فيها خلق ولا زرع ولا وحوش ولا طيور فمرض فى تلك المفازة وليس عنده معين يعينه فوقع على التراب ووضع رأسه عليه وقال لو كانت والدتى عند رأسى لرحمتنى ولبكت على مذلتى ولو كان والدى حاضراً لأعاننى وتولى أمرى ولو كانت زوجتى حاضرة لبكت على فراقى ولو كان أولادى حاضرين عندى لبكوا خلف جنازتى ولقالوا اللهم اغفر لوالدنا الغريب الضعيف العاصى الفاسق المطرود من بلده الى قرية ومن القرية إلى مفازة ومن المفازة يخرج من الدنيا إلى الآخرة آيساً من كل الأشياء اللهم قطعتنى عن والدى وأولادى وزوجتى فلا تقطعنى من رحمتك فانك أحرقت قلبي بفراقهم فلا تحرقنى بنارك لأجل معصيتى فأرسل الله تعالى حوراء على صفة أمه وحوراء على صفة زوجته وغلماناً على صفة أولاده وملكاً على صفة والده فجلسوا عنده وبكوا عليه فقال إن هذا والدى ووالدتى وزوجتى وأولادى حضروا عندي وطاب قلبه ووصل إلى رحمة الله تعالى طاهراً مغفوراً له فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إذهب إلى مفازة كذا فى موضع كذا فانه مات فيه ولى من الأولياء فأحضره وتولى أمره وواره فلما حضر موسى عليه السلام ذلك الموضع رأى الشاب الذى كان أخرجه من البلد ومن القرية بأمر الله تعالى ورأى الحور العين حواليه فقال موسى عليه السلام يارب أما هذا الشاب الذى أخرجته من البلد ومن القرية بأمرك فقال الله تعالى ياموسى إنى رحمته وتجاوزت عنه بأنينه فى موضعه وفراقه وطنه ووالدته ووالده وأولاده وزوجته وأرسلت اليه حوراء على صفة والدته وملكا على صفة والده وحوراء على صفة زوجته يترحمون على مذلته فى غربته فانه إذا مات الغريب بكى عليه أهل السموات وأهل الارض رحمة له فكيف لا أرحمه وأنا أرحم الراحمين إذا وقع الغريب فى النزاع يقول الله ياملائكتى هذا غريب مسافر ترك أولاده وعياله ووالديه وإذا مات لا يبكى عليه أحد ولا يحزن ثم يجعل الله واحدا من الملائكة على صورة أبيه وواحدا على صورة أمه

نو واحدا على صورة ولده وواحداً على صورة واحد من أقاربه فيدخلون عليه فيفتح عينيه فيرى والديه وعياله فيطيب قلبه وتخرج روحه بالفرح والسرور ثم إذا خرجت جنازته يشيعونها ويدعون له على قبره الى يوم القيامة فذلك قوله تعالى الله لطيف بعباده (وقال ابن عطاء) يتبين صدق العبد من كذبه فى أوقات البلاء والرخاء فمن شكر فى أيام الرخاء وجزع فى أيام البلاء فهو من الكاذبين ولو اجتمع فى رجل علم الثقلين ثم هاجت عليه رياح البلاء فأظهر الشكوى لما نزل به لا ينفعه علمه ولا عمله كما جاء فى الحديث القدسى يقول الله تعالى من لم يرض بقضائى ولم يشكر لعطائى فليطلب ربا سواى (حكى عن وهب بن منبه) ان نبيا عبد الله خمسين عاما فاوحى الله اليه أنى قد غفرت لك فقال يارب لماذا تغفر لى ولم أذنب قط فأمر الله عرقه فضرب عليه ولم ينم تلك الليلة فجاء ملك الصبح فشكا اليه مالقى من ضربان العرق فقال إن ربك يقول لك عبادة خمسين عام ما تعدل شكوى هذا العرق

(الباب الرابع فى الرياضة والشهوة النفسانية)

أوحى الله الى موسى عليه السلام ياموسى إن أردت أن أكون أقرب اليك من كلامك الى لسانك ومن وسوسة قلبك ومن روحك الى بدنك ومن نور بصرك الى عينك ومن سمعك الى أذنك فأكثر من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعنى ما عملت فى يوم القيامة اعلم أيها الانسان أن النفس الأمارة بالسوء هى أعدى لك من إبليس وإنما يتقوى عليك الشيطان بهوى النفس وشهواتها فلا تغرنك نفسك بالأمانى والغرور لأن من طبع النفس الأمن والغفلة والراحة والفترة والكسل فدعواها باطل وكل شىء منها غرور وإن رضيت عنها واتبعت أمرها هلكت وإن غفلت عن محاسبتها غرقت وإن عجزت عن مخالفتها واتبعت هواها قادتك الى النار وليس للنفس مرجوع الى الخير وهى رأس البلايا ومعدن الفضيحة وهى خزانة إبليس ومأوى كل شر لا يعرفها إلا خالقها واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون يعنى من الخير والشر واذا تفكر العبد فيما مضى من عمره فى طلب آخرته كان هذا التفكر غسل القلب كما قال صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سنة كذا تفسير أبى الليث فينبغى للعاقل أن يتوب من الذنوب الماضية ويتفكر فيما يقربه وينجويه فى الدار الآخرة ويقصر

الأمل ويعجل التوبة ويذكر الله تعالى ويترك المناهى ويصبر نفسه ولا يتبع الشهوات النفسانية فالنفس صنم فمن عبد النفس فهو يعبد الصنم ومن عبد الله بالاخلاص فهو الذى قهر نفسه (روى) أن مالك بن دينار كان يمشى فى سوق البصرة فرأى التين فاشتهاه فخلع نعله وأعطاه الى البقال وقال اعطنى التين فرأى البقال النعل وقال لا يساوى شيئا فمضى مالك فقيل للبقال أليس تعرف من هذا قال لا قيل هو مالك بن دينار فحمل البقال الطبق على رأس غلامه وقال له إن قبل هذا منك فأنت حر فعدا الغلام خلف مالك ابن دينار وقال له اقبل هذا منى فأبى فقال اقبل فان فيه تحريرى فقال له مالك بن دينار إن كان فيه تحريرك ففيه تعذيبى فألح الغلام عليه فقال مالك بن دينار حلفت أن لا أبيع الدين بالتين ولا آكل التين إلا يوم الدين (حكى) أن مالك بن دينار مرض مرضه الذى مات فيه فاشتهى قدحا من العسل واللبن ليثرد فيه رغيفا حارا فمضى الخادم وحمل اليه فأخذه مالك بن دينار ونظر فيه ساعة وقال يانفس قد صبرت ثلاثين سنة وقد بقى من عمرك ساعة ورمى القدح من يديه وصبر نفسه ومات وهكذا أحوال الأنبياء والأولياء والصادقين والعاشقين والزاهدين قال سليمان بن داود عليه السلام إن القاهر لنفسه أشد من يفتح المدينة وحده وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ما أنا ونفسى إلا كراعى غنم كلما ضمها من جانب انتشرت من جانب آخر من أمات نفسه يلف فى كفن الرحمة ويدفن فى أرض الكرامة ومن أمات قلبه يموت فى كفن اللعنة ويدفن فى أرض العقوبة قال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى جاهد نفسك بالطاعة والرياضة فالرياضة هجر المنام وقلة الكلام وحمل الأذى من الأنام والقلة من الطعام فيتولد من قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ الى الغايات ومن قلة الطعام موت الشهوات لأن فى كثرة الأكل قسوة القلب وذهاب نوره نور الحكمة الجوع والشبع بعد من الله كما قال ﷺ نوروا قلوبكم بالجوع وجاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش وأديموا قرع باب الجنة بالجوع فان الأجر فى ذلك كأجر المجاهد فى سبيل الله وانه ليس من عمل أحب الى الله تعالى من جوع وعطش ولن يلج ملكوت السماء من ملأ بطنه فقد حلاوة العبادات (قال) أبو بكر الصديق رضى الله عنه ماشبعت منذ أسلمت لأجد حلاوة عبادة ربى وما رويت منذ أسلمت اشتياقا الى لقاء ربى لأن فى كثرة الأكل

قلة العبادات لأنه إذا أكثر الانسان الأكل ثقل بدنه وغلبته عيناه وفترت أعضاؤه فلا يجيء منه شيء وان اجتهد إلا النوم فيكون كالجيفة الملقاة كذا في منهاج العابدين (عن لقمان الحكيم) أنه قال لابنه لا تكثر النوم والأكل فان من أكثر منهما جاء يوم القيامة مفلسا من الأعمال الصالحة كذا في منية المفتي وقال ﷺ لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع إذا كثر عليه الماء ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بأن المعدة كالقدر تحت القلب تغلي والبخار يصل اليه فكثرة البخار تكدره وتسوده وفي كثرة الأكل قلة الفهم والعلم فان البطنة تذهب الفطنة (حكى) عن يحيى بن زكريا عليه السلام أن إبليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى ما هذه قال الشهوات التي أصيد بها بني آدم قال يحيى هل تجد لي فيها شيئا قال لا إلا أنك شبعت ذات ليلة فثقلناك عن الصلاة قال يحيى عليه السلام لا جرم أني لا أشبع بعدها أبدا فقال إبليس لا جرم أني لا أنصح أحدا أبدا فهذه فيمن لم يشبع في عمره إلا ليلة فكيف فيمن لا يجوع في عمره ليلة ثم يطمع في العبادة (حكى) أيضا عن يحيى أن زكريا عليه السلام أنه شبع مرة من خبز شعير فنام تلك الليلة عن ورده فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى هل وجدت دارا هي خير لك من داري أو وجدت جوارا هي خير لك من جواري وعزتي وجلالي لو اطلعت على الفردوس واطلعت على جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بدل الدموع ولبست الحديد بدل المسوح

(الباب الخامس في غلبة النفس وعداوة الشيطان)

ينبغي للعاقل أن يقمع شهوة النفس بالجوع اذا جاع قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات والأكل والشرب كما قال ﷺ إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ان أقرب الناس الى الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار إذ نهاهما ربهما عن أكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات (وقال بعض الحكماء) من استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هفواتها ومنعت قلبه من الفوائد من سقى أرض الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجرة الندامة إن الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة ضروب خلق الملائكة وركب فيهم العقل ولم يركب فيهم الشهوة وخلق البهائم وركب فيها الشهوة ولم يركب فيها العقل وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة فمن غلبت شهوته عقله

فالبهائم خير منه ومن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة (حكاية) قال إبراهيم الخواص كنت فى جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال لى وعليك السلام يا إبراهيم فقلت ومن أين عرفتنى فقال من عرف الله لا يخفى عليه شىء فقلت له أرى لك مع الله حالا فهلا سألته أن ينجيك من هذه الزنابير فقال وإنى أرى لك مع الله حالا فهلا سألته أن ينجيك من شهوة الرمان فان الرمان يجد الانسان ألمه فى الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا ولدغ الزنابير على النفوس ولدغ الشهوات على القلوب فمضيت وتركته الشهوة تصير الملوك عبيدا والصبر يصير العبيد ملوك ألا ترى الى قصة يوسف عليه السلام وزليخا فقد صار يوسف سلطان مصر بصبره وصارت زليخا ذليلة حقيرة فقيرة عجوزا عمياء لاجل شهوتها فان زليخا لم تصبر عن محبة يوسف (حكى) أبو الحسن الرازى أنه رأى والده فى منامه بعد موته بسنتين وعليه ثياب من القطران فقال له يا أبى مالى أرى عليك هيئة أهل النار فقال يا ولدى جذبتنى نفسى الى النار فاحذر يا ولدى من خديعة نفسك

إنى ابتليت بأربع ما سلطوا ... إلا لشدة شقوتى وعنائى

إبليس والدنيا ونفسى والهوى ... كيف الخلاص وكلهم أعدائى

وأرى الهوى تدعو اليه خواطرى ... فى ظلمة الشهوات والآراء

قال حاتم الأصم رحمه الله نفسى رباطى وعلمى سلاحى وذنبى خيبتى والشيطان عدوى وأنا بنفسى غادر (حكى عن بعض أهل المعرفة) انه قال الجهاد على ثلاثة أصناف جهاد مع الكفار وهو جهاد الظاهر كالذى فى قوله تعالى يجاهدون فى سبيل الله وجهاد مع أصحاب الباطل بالعلم والحجة كقوله تعالى وجادلهم بالتى هى أحسن وجهاد مع النفس الأمارة بالسوء كالذى فى قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ﷺ أفضل الجهاد جهاد النفس وأن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا اذا رجعوا من جهاد الكفار يقولون رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر وإنما سموا الجهاد مع الهوى والنفس والشيطان أكبر لأن الجهاد معها أدوم وجهاد الكفار يكون فى وقت دون وقت ولأنه الغازى يرى العدو ولا يرى الشيطان والجهاد مع عدو يراه أسهل من الجهاد مع عدو لا يراه ولأن الشيطان معينا من نفسك وهو الهوى وليس للكافر من نفسك معين فلذلك كان أشد ولأنك إذا قتلت الكافر تجد النصر والغنيمة وإن قتلك الكافر تجد الشهادة والجنة

ولا تقدر أن تقتل الشيطان وإن قتلك الشيطان تقع فى عقوبة الرحمن كما قيل من فر منه فرسه فى الحرب وقع فى أيدى الكفار ومن فر منه الايمان يقع فى غضب الجبار نعوذ بالله منه ومن وقع فى أيدى الكفار لا تغل يده الى عنقه ولا تقيد رجله ولا يجوع بطنه ولا يعرى بدنه ومن وقع فى غضب الجبار يسود وجهه وتغل يده الى عنقه بالأغلال وتقيد رجله بقيود النار ويكون طعامه نارا وشرابه نارا ولباسه من نار

(الباب السادس فى الغفلة)

الغفلة تزيد الحسرة الغفلة تزيل النعمة وتحجب عن الخدمة الغفلة تزيد الحسد الغفلة تزيد الملامة والندامة (حكى) أن بعض الصالحين رأى أستاذه فى المنام فسأله أى الحسرة أعظم عندكم فقال حسرة الغفلة (وروى) أن بعضهم رأى ذا النون المصرى فى منامه فقال له ما فعل الله بك فقال أوقفنى بين يديه وقال لى يا مدعى يا كذاب ادعيت محبتى ثم غفلت عنى

أنت فى غفلة وقلبك ساهى ذهب العمر والذنوب تباهى

(حكى) أن رجلا من الصالحين رأى والده فى منامه فقال يا أبت كيف أنت وكيف حالك فقال يا ولدى عشنا فى الدنيا غافلين ومتنا غافلين (وفى زهر الرياض) كان يعقوب عليه السلام مؤاخيا لملك الموت فزاره فقال له يعقوب يا ملك الموت أزائرا جئت أم قابضا روحى فقال بل زائرا قال فانى أسألك حاجة قال وما هى قال أن تعلمنى اذا دنى أجلى وأردت أن تقبض روحى فقال نعم أرسل اليك رسولين أو ثلاثة فلما انقضى أجله أتى اليه ملك الموت فقال أزائر جئت أم لقبض روحى فقال لقبض روحك فقال أولست كنت أخبرتنى أنك ترسل الى رسولين أو ثلاثة قال قد فعلت بياض شعرك بعد سواده وضعفك بعد قوته وانحناء جسمك بعد استقامته هذه رسلى يا يعقوب الى بنى آدم قبل الموت

مضى الدهر والأيام والذنب حاصل وجاء رسول الموت والقلب غافل
نعيمك فى الدنيا غرور وحسرة وعيشك فى الدنيا محال وباطل

قال أبو على الدقاق دخلت على رجل صالح أعوده وهو مريض وكان من المشايخ الكبار وحوله تلاميذه وهو يبكى وقد بلغ أرذل العمر فقلت له أيها الشيخ مم بكاؤك أعلى الدنيا فقال أبكى على فوت صلاتى قلت وكيف ذلك وقد كنت مصليا قال لأنى قد بقيت الى يومى هذا وما سجدت إلا فى غفلة ولا رفعت رأسى إلا فى غفلة وها أنا أموت على الغفلة ثم انه تنفس الصعداء وأنشد يقول

تفكرت فى حشرى ويوم قيامتى وإصباح خدى فى المقابر ثاويا
فريدا وحيدا بعد عز ورفعة رهينا بجرمى والتراب وساديا
تفكرت فى طول الحساب وعرضه وذل مقامى حين أعطى كتابيا
ولكن رجائى فيك ربى وخالقى بأنك تغفر ياإلهى خطائيا

وفى عيون الأخبار ذكر عن شقيق البلخى أنه قال الناس يقولون ثلاثة أقوال وقد خالفوها فى أفعالهم يقولون نحن عبيد الله وهم يعملون عمل الأحرار وهذا خلاف قولهم ويقولون ان الله كفيل بأرزاقنا ولا تطمئن قلوبهم إلا بالدنيا وجمع حطامها وهذا أيضا خلاف قولهم ويقولون لابد لنا من الموت وهم يعملون أعمال من لايموت وهذا ايضا خلاف قولهم فانظر لنفسك ياأخى بأى بدن تقف بين يدى الله تعالى وبأى لسان تجيبه وماذا تقول إذا سالك عن القليل والكثير فأعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون أى من الخير والشر ثم وعظ المؤمنين بأن لايتركوا أمره وبأن يوحدوه فى السر والعلانية (جاء فى الخبر) عن النبى ﷺ أنه قال مكتوب على ساق العرش أنا مطيع من أطاعنى ومحب من أحبنى ومجيب من دعانى وغافر لمن استغفرنى فينبغى للعاقل أن يطيع الله بالخوف والاخلاص فى طاعته والرضا بقضائه والصبر على بلائه وبالشكر على نعمائه والقناعة باعطائه يقول الله تعالى من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكرنى على نعمائى ولم يقنع بعطائى فليطلب ربا سوائى وقال رجل للحسن البصرى رحمه الله إنى أجد للطاعة لذة فقال له لعلك نظرت فى وجه من لايخاف الله العبودية أن تترك الأشياء كلها لله وقال رجل لأبى يزيد رحمه الله إنى لأجد الطاعة لذة فقال لأنك تعبد الطاعة لا تعبد الله اعبد الله حتى تجد للطاعة لذة (حكى) أن رجلا دخل فى الصلاة فلما انتهى إلى قوله إياك نعبد خطر بباله أنه عابد لله فى الحقيقة فنودى فى السر كذبت إنما تعبد الخلق فتاب واعتزل الناس ثم شرع فى الصلاة فلما انتهى إلى قوله إياك نعبد نودى كذبت إنما تعبد مالك فتصدق بماله كله ثم شرع فى الصلاة فلما انتهى الى قوله إياك نعبد نودى كذبت إنما تعبد ثيابك فتصدق بها إلا مالابد له منه ثم شرع فيها فلما انتهى إلى قوله إياك نعبد نودى الآن صدقت إنما تعبد ربك (وفى رونق المجالس) ضاع لرجل جوالق فلم يدر من

أخذه منه فلما دخل فى الصلاة تذكره فلما سلم قال لغلامه اذهب الى فلان بن فلان واسترده منه الجرابق فقال له الغلام متى ذكرته فقال حين كنت فى الصلاة فقال يا مولاى كنت طالب الجرابق لا طالب الخالق فاعتقه مولاى ببركة اعتقاده فينبغى للعاقل أن يترك الدنيا ويعبد الله ويتفكر أمامه ويريد الآخرة كما قال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا أى ملاذها من لباسها وطعامها وشرابها نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب بان ينزع من قلبه حب الآخرة ولذلك انفق أبو بكر الصديق رضى الله عنه على النبى ﷺ أربعين ألف دينار فى السر وأربعين ألف دينار فى العلانية حتى لم يبق له شىء وكان النبى ﷺ معرضا عن الدنيا وشهواتها ولذاتها هو وأهله ولذلك كان جهاز السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها لما زوجها النبى ﷺ من على جلد كبش مدبوغ ووسادة أدم حشوها ليف (الباب السابع فى نسيان الله تعالى والفسق والنفاق)

جاءت امرأة الى حسن البصرى رضى الله عنه فقالت انه كانت لى ابنة شابة فماتت أحببت أن أراها فى المنام فجئتك كى تعلمنى ما أستعين به على رؤيتها فعلمها فرأتها وعليها لباس من قطران وفى عنقها الغل وفى رجلها القيد فاخبرت الحسن بذلك فاغتم ومضت مدة ثم رآها الحسن فى الجنة وعلى رأسها تاج فقالت يا حسن أما تعرفنى أنا ابنة المرأة التى أتتك وقالت لك كذا فقال لها ما الذى صيرك الى ما أرى قالت مر بنا رجل فصلى على النبى ﷺ مرة وكان فى المقبرة خمسمائة وخمسون انسان فى العذاب فنودى ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل (نكتة) بصلاة رجل على محمد ﷺ أصابتهم المغفرة فمن يصلى عليه منذ خمسين سنة أفلا يجد شفاعته يوم القيامة قال الله تعالى «ولا تكونوا» أى فى المعصية «كالذين» يعنى كالمنافقين الذين «نسوا الله» يعنى تركوا أمر الله وفعلوا خلافه وتلذذوا بشهوات الدنيا وركنوا الى غرورها وسئل رسول الله ﷺ عن المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همه فى الصلاة والصيام والمنافق همه فى الطعام والشراب كالبهيمة وترك العبادة والصلاة والمؤمن مشغول بالصدقة وطلب المغفرة والمنافق مشغول بالحرص والأمل والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله والمنافق راج كل أحد الا الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن آمن من كل أحد الا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله والمؤمن يحسن ويبكى والمنافق يسىء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو

فالصادق المؤمن ينهى سياسة دينية ويصلح والمنافق يامر وينهى رياسة ويفسد بل يأمر
بالمنكر وينهى عن المعروف كما قال الله تعالى والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين
هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم
لعنهم الله ولهم عذاب مقيم وقال تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الآية
يعني ان ماتوا على كفرهم ونفاقهم فبدأ بالمنافقين لأنهم شر من الكفار وجعل مأواهم
جميعا النار وقال تعالى ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الآية
والمنافق اشتقاقه في اللغة من نافقاء اليربوع ويقال أن لليربوع حجرتين احداهما النافقاء
والأخرى القاصعاء فيظهر نفسه في احداهما ويخرج من الأخرى ولهذا سمي المنافق
منافقا لأنه يظهر من نفسه أنه مسلم ويخرج من الاسلام الى الكفر (وفي الحديث) مثل
المنافق كمثل الشاة ترى بين قطيعين من الغنم تارة تسير الى هذا القطيع وتارة الى هذا القطيع
ولا تسكن لواحد منهما لأنها غريبة ليست منهما وكذلك المنافق لا يستقر مع المسلمين
بالكلية ولا مع الكافرين ان الله خلق النار لها سبعة أبواب كما قال الله تعالى لها سبعة أبواب
الآية من حديد مطبقة باللعنة وعليها ظهارة النحاس وبطانة الرصاص في أصلها العذاب
وفوقها السخط وأرضها من نحاس وزجاج وحديد ورصاص النار من فوق أهلها والنار
من تحتهم والنار عن يمينهم والنار عن شمالهم طبقاتها بعضها فوق بعض أعد للمنافقين منها
الدرك الأسفل وجاء في الخبر أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال يا جبريل صف لي النار
وحرها فقال ان الله عز وجل خلق النار فأوقدها ألف عام حتى احمرت ثم أوقدها ألف
عام حتى ابيضت ثم أوقدها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة والذي بعثك بالحق نبيا
لو أن ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لاهل الأرض لماتوا جميعا ولو أن دلوا من شرابها صب
على ماء الأرض جميعه لقتل من ذاقه ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى بقوله
في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا الآية كل ذراع طوله من المشرق الى المغرب لو وضع على
جبال الدنيا لذابت ولو أن رجلا دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه
وسأل ﷺ جبريل فقال يا جبريل صف لي أبواب جهنم أهي كأبوابنا هذه فقال يا رسول
الله لا ولكنها طباق بعضها أسفل من بعض ن الباب الى الباب مسيرة سبعين سنة كل باب
منها أشد حرا من الذي يليه بسبعين ضعفا وسأله أيضا عن سكان هذه الابواب فقال أما

الأسفل ففيه المنافقون واسمه الهاوية كما قال الله تعالى ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار والباب الثانى فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر والباب الرابع فيه ابليس عليه اللعنة ومن تبعه من المجوس واسمه لظى والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير ثم امسك جبريل عليه السلام فقال له رسول الله ﷺ لم تخبرنى عن سكان الباب السابع فقال جبريل يا محمد لا تسألنى عنه فقال له أخبرنى عنه فقال فيه أهل الكبائر من أمتك الذين ماتوا ولم يتوبوا (روى) أنه لما نزل قوله تعالى وان منكم الا واردها اشتد خوفه ﷺ على أمته وبكى بكاء شديدا فالعارف بالله وبشدة سطوته وقهره يخافه خوفا شديدا ويبكى على نفسه وتفريطه قبل أن يرى هذه الشدائد ويعاين هذه الدار المخوفة المهولة وقبل أن تنهتك الاستار ويعرض على المنتقم الجبار ويؤمر به الى النار فكم من شيخ ينادى فى النار واشيبتاه وكم من شاب ينادى فى النار واشباباه وكم من امرأة فى النار تنادى وافضيحتاه واهتك ستراه وقد اسودت وجوههم وأجسادهم وانكسرت ظهورهم فلا يكرم كبيرهم ولا يرحم صغيرهم ولا تستر نساؤهم اللهم أجرنا من النار ومن عذاب النار ومن كل عمل يقربنا الى النار وأدخلنا الجنة مع الابرار برحمتك يا عزيز يا غفار اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا وأقلنا من عثراتنا ولا تفضحنا بين يديك يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن فى التوبة)

التوبة واجبة على كل مسلم ومسلمة قال الله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا والامر للوجوب وقال تعالى: ولا تكونوا كالذين نسوا الله يعنى عاهدوا الله ونبذوا كتابه وراء ظهورهم فأنساهم أنفسهم يعنى أنساهم حالهم حتى لم ينجوا أنفسهم ولم يقدموا لها خيرا وقال ﷺ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه أولئك هم الفاسقون يعنى العاصون الناقضون عهدهم الخارجون عن طريق الهداية والرحمة والمغفرة والفاسق على نوعين فاسق كافر وفاسق فاجر فالفاسق الكافر هو من لم يؤمن بالله ورسوله وخرج عن الهداية ودخل فى الضلالة كما قال الله تعالى ففسق عن أمر ربه يعنى خرج عن طاعة أمر ربه بالايمان والفاسق الفاجر هو الذي يشرب الخمر ويأكل الحرام ويزنى ويعصى الله تعالى ويخرج من طريق العبادة ويدخل فى المعصية ولا يأتى بالشرك والفرق بينهما أن الفاسق الكافر لا يرجى عفرانه إلا بالشهادة والتوبة قبل موته

هو الفاسق الفاجر يرجى غفرانه بالتوبة والندامة قبل الموت فان كل معصية أصلها من الشهوة النفسانية يرجى غفرانها وكل معصية أصلها من الكبر لا يرجى غفرانها ومعصية ابليس كان أصلها من الكبر فينبغي لك أن تتوب من ذنوبك قبل الموت رجاء أن يقبلك الله كما قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات الآية يعني يتجاوز عما عملوا بقبول التوبة وقال ﷺ التائب من الذنب كمن لا ذنب له (حكى) أن رجلا كان كلما أذنب يكتب ذنبه فى ديوان فاذنب يوما ما ذنبا فنشر ديوانه ليكتبه فيه فلم يجد فيه إلا قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات الآية يعني يبدل مكان الشرك الايمان ومكان الزنا العفو ومكان المعصية العصمة والطاعة (حكى) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر وقتا من الاوقات من سكك المدينة فاستقبله شاب وهو حامل قارورة تحت ثيابه فقال عمر أيها الشاب ما الذى تحمل تحت ثيابك وكان فيها خمر فخجل الشاب أن يقول خمرا وقال فى سره إلهى لا تخجلني عند عمر ولا تفضحني واسترني عنده فلا اشرب الخمر أبدا ثم قال يا أمير المؤمنين الذى أحمل هو خل فقال أرني حتى أراها فكشفها بين يديه فرآها عمر صارت خلا فانظر الى مخلوق تاب من خوف مخلوق فبدل الله سبحانه وتعالى خمره بالخل لما علم منه اخلاص التوبة فلو تاب العاصى المفلس عن الاعمال الفاسدة توبة نصوحا وندم على ذنبه بدل الله سبحانه وتعالى خمر سياته بخل الطاعة . وذكر عن أبي هريرة رضى الله عنه قال خرجت ذات ليلة بعد ما صليت العشاء الآخرة مع رسول الله ﷺ فاذا أنا بامرأة فى الطريق فقالت يا أبا هريرة إنى ارتكبت ذنبا فهل لى من توبه فقلت وما ذنبك قالت انى زنيت وقتلت ولدى من الزنا فقلت لها هلكت وأهلكت والله ما لك من توبة فخرت مغشيا عليها فمضيت فقلت فى نفسي أفتى ورسول الله ﷺ بين أظهرنا فرجعت اليه وأخبرته بذلك فقال هلكت وأهلكت فاين أنت من هذه الآيه والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى قوله فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات الآية فخرجت وقلت من يدلني على امرأة سألتنى مسألة والصبيان يقولون جن ابو هريرة حتى أدركتها وأخبرتها بذلك فشهقت شهقة من السرور وقالت أن لى حديقة جعلتها صدقة لله ورسوله (حكاية) عن عتبة الغلام رحمه الله تعالى وكان من أهل الفسق والفجور مشهورا بالفساد وشرب الخمر فدخل يوما فى مجلس الحسن البصرى وهو يقرأ فى تفسير قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله يعنى ألم يجىء وقت تخاف قلوبهم فوعظ

الشيخ في تفسير هذه الآية وعظا بليغا حتى أبكى الناس فقام من بينهم شاب فقال يا تقي المؤمنين أيقبل الله تعالى الفاسق الفاجر مثلي اذا تاب فقال الشيخ ثم يقبل الله توبة فسقك وفجورك فلما سمع عتبة الغلام هذا الكلام اصفر وجهه وارتعدت فرائصه فصاح صيحة فخر مغشيا عليه فلما أفاق دنا منه الحسن وقال هذه الأبيات

أيا شابا لرب العرش عاصي | أتدري ما جزاء ذوي المعاصي
سعير للعصاة لها زفير | وغيظ يوم يؤخذ بالنواصي
فان تصبر على النيران فاعصه | وإلا كن عن العصيان قاصي
وفيم قد كسبت من الخطايا | رهنت النفس فاجهد في الخلاصي

فصاح صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال يا شيخ هل قبل الرب الرحيم توبة مثلي اللئيم فقال الشيخ هل يقبل توبة العبد الجافي إلا الرب المعافي. ثم رفع رأسه ودعا ثلاث دعوات الاولى قال إلهي إن كنت قبلت توبتي وغفرت ذنوبي فاكرمني بالفهم والحفظ حتى أحفظ كل ما سمعت من العلم والقرآن والثانية قال إلهي أكرمني بحسن الصوت حتى إن كان من سمع قراءتي يزداد رقة في قلبه وإن كان قاسي القلب والثالثة قال إلهي أكرمني بالرزق الحلال وارزقني من حيث لا أحتسب فاستجاب الله جميع دعائه حتى زاد فهمه وحفظه وكان اذا قرأ القرآن تاب كل من سمع قراءته وكان يوضع في بيته كل يوم قصعة من المرق ورغيفان ولا يدري أحد من يضعها وكان على هذه الحالة حتى فارق الدنيا وهذا حال من أناب الى الله تعالى لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا وسئل بعض العلماء هل يعرف العبد اذا تاب أن توبته قبلت أم ردت فقال لا حكم في ذلك ولكن لذلك علامات أن يرى نفسه معصومة من المعصية ويرى الفرح عن قلبه غائبا والرب شاهدا ويقارب أهل الخير ويباعد أهل الفسق فيرى القليل من الدنيا كثيرا والكثير من عمل الآخرة قليلا ويرى قلبه مشتغلا بما فرض الله تعالى عليه ويكون حافظا للسانه دائم الفكرة ملازم الغم والندامة على ما فرط من ذنوبه

﴿الباب التاسع في المحبة﴾

ذكر أن رجلا رأى صورة قبيحة في البادية فقال من أنت قالت أنا عملك القبيح قال فما النجاة منك قالت الصلاة على النبي ﷺ كما قال ﷺ الصلاة على نور على الصراط ومن صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين عاما وحكى أن رجلا كان غافلا عن الصلاة على سيدنا محمد فرأى النبي ﷺ ليلة في المنام ولم يلتفت اليه فقال يا رسول الله أأنت

على غضبان قال لا قال فلم لا تنظر الى قال لأنى لا أعرفك فقال كيف لا تعرفنى وأنا رجل من أمتك وقد روى العلماء أنك اعرف بأمتك من الوالدة بالولد فقال صدقوا ولكن أنك لا تذكرنى بالصلاة وإن معرفتى بأمتى بقدر صلاتهم على ثم انتبه الرجل وأوجب على نفسه أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم كل يوم مائة مرة ففعل ذلك ثم رآه بعد ذلك فى المنام فقال اعرفك الآن وأشفع لك أى لأنه صار محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى قال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله الآية سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا كعب بن الأشرف وأصحابه الى الاسلام قالوا نحن فى المنزلة أبناء الله ولنحن أشد حبا لله فقال الله تعالى لنبيه قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى على دينى فانى رسول الله أؤدى رسالته اليكم وحجته عليكم يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وحب المؤمنين لله اتباعهم أمره وإيثار طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله للمؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته وعصمته وتوفيقه قال الامام فى إحيائه من ادعى أربعا من غير أربع فهو كذاب ومن ادعى حب الجنة ولم يعمل بالطاعة فهو كذاب ومن ادعى حب النبى صلى الله عليه وسلم ولم يحب العلماء والفقراء فهو كذاب ومن ادعى الخوف من النار ولم يترك المعاصى فهو كذاب ومن ادعى حب الله تعالى وشكا من البلوى فهو كذاب كما قالت رابعة

تعصى الاله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وعلامة المحبة موافقة المحبوب واجتناب خلافه (حكى) أن جماعة دخلوا على الشبلى رحمه الله تعالى فقال من أنتم فقالوا أحباؤك فأقبل ثم رماهم بالحجارة فهربوا منه فقال له تهربون منى لو كنتم احبائى لما فررتم من بلائى ثم قال الشبلى رحمه الله أهل المحبة شربوا بكاس الوداد فضاقت عليهم الارض والبلاد وعرفوا الله حق معرفته وتاهوا فى عظمته وتحيروا فى قدرته وشربوا بكاس حبه وغرقوا فى بحر أنسه وتلذذوا بمناجاته ثم أنشد

ذكر المحبة ياмولاى أسكرنى ... وهل رأيت محبا غير سكران

ويقال أن البعير اذا سكر لا يأكل العلف أربعين يوما ولو حمل عليه أضعاف ما يحمله حمله لأنه اذا هاج قلبه ذكر محبوبه لا يحب العلف ولا يعيا من الحمل الثقيل لاشتياقه الى محبوبه فاذا كان من شأن الابل أن تترك شهوتها وتحمل الحمل الثقيل لأجل محبوبها فهل أنتم تركتم شهوة محرمة لأجل الله تعالى وهل تركتم طعاما وشرابا لأجل الله تعالى وهل حملتم على أنفسكم حملا ثقيلا لأجل الله تعالى فان لم تفعلوا شيئا من الخيرات مما ذكرته

فدعوا كم إسم بلامعني لاتنفع فى الدنيا ولا فى العقبى ولا عند الخلق ولا عند الخالق وعن
على كرم الله وجهه قال من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ومن خاف من النار نهى
نفسه عن الشهوات ومن تيقن الموت هانت عليه اللذات وسئل ابراهيم الخواص عن المحبة
فقال محو الارادات واحراق جميع الصفات والحاجات وإغراق نفسه فى بحر الاشارات

﴿ الباب العاشر فى العشق ﴾

الحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوى سمي عشقا فيجاوز إلى
أن يكون رفيقا المحبوبه وينفق ما يملك لأجله ألا ترى إلى زليخا بلغ بها من محبة يوسف عليه
السلام أن ذهب مالها وجمالها وكان لها من الجواهر والقلائد وقر سبعين جملا وقد أنفقتها
كلها فى محبة يوسف وكل من قال رأيت يوسف اليوم أعطته قلادة تغنيه حتى لم يبق لها شيء
وكانت تسمي كل شيء باسم يوسف وقد نسيت كل شيء سواه من فرط العشق وإذا رفعت
رأسها إلى السماء رأت إسم يوسف مكتوبا على الكواكب وروى أنها لما آمنت تزوجت
به عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى فكان يدعوها إلى
فراشها نهارا فتدافعه إلى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت به إلى النهار وقالت يا يوسف إنما كنت
أحبك قبل أن أعرفه فلما ان عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلا حتى قال لها إن
الله جل ذكره أمرنى بذلك وأخبرنى أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت أما إذا
كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعة لأمر الله تعالى فعندها سكنت اليه
(وحكى) أن مجنون ليلى قيل له ما إسمك قال ليلى وقيل له يوما أو ماتت ليلى قال إن ليلى فى قلبي لم
تمت أنا ليلى ومر يوما على دار ليلى فنظر إلى السماء فقيل له يا مجنون لا تنظر إلى السماء ولكن
أنظر إلى جدار ليلى لعلك تراها قال أنا أكتفي بنجم يقع ظله على دار ليلى وحكى أن منصور
الحلاج رحمه الله تعالى أنهم حبسوه ثمانية عشر يوما فجاءه الشبلي رضى الله عنه فقال يا منصور
ما المحبة فقال لا تسألني اليوم واسألني غدا فلما جاء الغد وأخرجوه من السجن ونصبوا النطع
لأجل قتله مر الشبلي بين يديه فنادى يا شبلي المحبة أولها حرق وآخرها قتل (إشارة) لما تحقق
للحلاج رضى الله عنه فى نظره أن كل شيء ما خلا الله باطل وعلم أن الله هو الحق نسى عند تحقيق
اسم الحق إسم نفسه فسئل من أنت قال أنا الحق (وروى) أن صدق المحبة فى ثلاث
خصال أن يختار كلام حبيبه على كلام غيره ويختار مجالسة حبيبه على مجالسة

ويختار رضا حبيبه على رضا غيره كذا في "المنتهى" وقيل العشق هتك الاستار وكشف الأسرار والوجد عجز الروح عن احتمال غلبة الشوق عند وجود حلاوة الذكر حتى لو قطع عضو من أعضائه لا يحس ولا يشعر (وحكى) أن رجلا كان يغتسل في الفرات فسمع رجلا يقرأ وامتازوا اليوم أيها المجرمون فلم يزل يضطرب حتى غرق ومات وعن محمد بن عبد الله البغدادى قال رأيت في البصرة شابا على سطح مرتفع قد أشرف على الناس وهو يقول من مات عاشقا فليمت هكذا لا خير في عشق بلا موت ثم رمى بنفسه فحمل ميتا قال الجنيد رحمه الله التصوف ترك الاختيار (وحكى) أن ذا النون المصرى رحمه الله دخل المسجد الحرام فرأى شابا عريانا مطروحا مريضا تحت اسطوانة وله أنين من قلب حزين قال فدنوت منه وسلمت عليه وقلت له من أنت يا غلام قال أنا غريب عاشق فعلمت ما يقول قلت وأنا مثلك فبكى وبكيت أنا لبكائه قال أتبكى أنت فقلت أنا مثلك فبكى بأعلى صوته وصاح صيحة عظيمة عالية فخرجت روحه من ساعته فطرحت عليه ثوبى وخرجت من عنده لطلب الكفن فاشتريت الكفن ورجعت اليه فلم أجده في مكانه فقلت سبحان الله فسمعت هاتفا يقول يا ذا النون ان هذا الغريب الذى طلبه الشيطان في الدنيا فما وجده وطلبه مالك فلم يره وطلبه رضوان في الجنة فما وجده قلت فأين هو قال فسمعت هاتفا يقول في مقعد صدق عند مليك مقتدر بسببه محبته وكثرة طاعته وتعجيل توبته كذا في "زهر الرياض" وسئل بعض المشايخ عن المحب فقال قليل المخالطة كثير الخلوة دائم الفكر ظاهر الصمت لا يبصر إذا نظر ولا يسمع إذا نودى ولا يفهم إذا كلم ولا يحزن اذا أصيب بمصيبة واذا أصيب بجوع فلا يدرى ويعرى ولا يشعر ويشتم ولا يخشى ينظر الى الله تعالى في خلوته ويأنس به ويناجيه ولا ينازع أهل الدنيا في دنياهم وقد قال أبو تراب النخشبي في علامات المحبة أبياتا

لا تخدعن فللحبيب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة والفقر إكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أن ترى من عزمه طوع الحبيب وإن ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى متبسما والقلب فيه من الحبيب بلابل

ومن الدلائل أن يرى متفهما لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متقشفا متحفظا من كل ما هو قائل

(حكاية) مر عيسى عليه السلام بشاب يسقى بستانا فقال الشاب لعيسى سل ربك أن يرزقنى من محبته مثقال ذرة فقال عيسى لا تطيق مقدار ذرة فقال نصف ذرة فقال عيسى عليه السلام يارب ارزقه نصف ذرة من محبتك فمضى عيسى عليه السلام فلما كان بعد مدة طويلة مر بمحل ذلك الشاب فسأل عنه فقالوا جن وذهب الى الجبال فدعا الله عيسى عليه السلام ان يريه إياه فرآه بين الجبال فوجده قائما على صخرة شاخصا طرفه الى السماء فسلم عليه عيسى عليه السلام فلم يرد عليه فقال أنا عيسى فأوحى الله تعالى الى عيسى أ. كيف يسمع كلام الآدميين من كان فى قلبه مقدار نصف ذرة من محبتى فوعزتى وجلالى لو قطعته بالمنشار لما علم بذلك من ادعى ثلاثة ولم يتطهر من ثلاثة فهو مغرور أولها من ادعى حلاوة ذكر الله وهو يحب الدنيا وثانيها من ادعى محبة الاخلاص فى العمل ويحب تعظيم الناس له وثالثها من ادعى محبة خالقه من غير إسقاط نفسه وقال رسول الله ﷺ سيأتى زمان على أمتى يحبون خمسا وينسون خمسا يحبون الدنيا وينسون الآخرة ويحبون المال وينسون الحساب ويحبون الخلق وينسون الخالق ويحبون الذنوب وينسون التوبة ويحبون القصور وينسون المقبرة وقال منصور بن عمار لشاب يعظه ياشاب لا يغرك شبابك فكم من شاب أخر التوبة وأطال الأمل ولم يذكر موته فقال إنى اتوب غدا وبعد غدا فجاءه ملك الموت وهو غافل عن التوبة فصار فى جوف القبر لا ينفعه مال ولا عبد ولا ولد ولا أب ولا أم كما قال الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم اللهم ارزقنى التوبة قبل الموت ونبهنا عند الغفلة وانفعنا بشفاعة نبينا خير المرسلين ﷺ صفة المؤمن أن يتوب من يومه وساعته ويندم على ما فعل من ذنوبه ويرضى بالقوت من الدنيا ولا يشتغل بالدنيا بل يشتغل بعمل الآخرة ويعبد الله تعالى بالاخلاص (حكاية) كان رجل بخيل منافق حلف على زوجته بالطلاق أن لا تتصدق بصدقة فجاء سائل على باب داره وقال ياأهل الدار بحق الله ألا أعطيتمونى شيئا فاعطته المرأة ثلاثة أرغفة فاستقبله المنافق وقال من أعطاك هذه الأرغفة قال اعطونى من الدار الفلانية فكانت داره فدخل المنافق داره وقال لامرأته ألست قد حلفت عليك أن لا تعطى أحدا شيئا فقالت أعطيت لأجل الله عز وجل فذهب المنافق وأوقد التنور

حتى حمى ثم قال قومي فالقي نفسك في التنور لاجل الله فقامت المرأة وأخذت حللها فقال المنافق دعي الحلل فقالت المرأة الحبيب يتزين لحبيبه وأنا زائرة لحبيبي ثم ألقت نفسها في التنور أطبق المنافق عليها ومضى فلما تم لها ثلاثة أيام جاء المنافق ففتح عليها رأس التنور فرأى المرأة سالمة بقدرة الله تعالى فتعجب الرجل من تلك الحال فهتف به هاتف يقول أما علمت أن النار لا تحرق أحبابنا (وحكى) أن آسية امرأة فرعون كانت تكتم إيمانها من فرعون فلما اطلع فرعون على إيمانها أمر بها أن تعذب فعذبوها بأنواع العذاب وقال ارتدي فلم ترتد فأتى بأوتاد وضربوها على أعضائها ثم قال ارتدي فقالت انك تغلب نفسي وقلبي في عصمة ربي لو قطعتني أربا ما زدت إلا حبا فمر موسى عليه السلام بين يديها فنادته موسى اخبرني أراض عني ربي أم ساخط قال موسى عليه السلام يا آسية ملائكة السموات في انتظارك أي مشتاقة اليك والله يباهي بك فاسأليني حاجتك فانها مقضية فقالت ربي ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين وعن سلمان رضي الله عنه قال كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة وعن أبي هريرة أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد وأضجعها وجعل على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس فرفعت رأسها إلى السماء فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة الآية قال الحسن فنجاها الله أكرم نجاة ورفعها الى الجنة فهي تأكل وتشرب فيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين ودين المؤمنين *

﴿ الباب الحادي عشر في طاعة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ﴾

قال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله أعلم رحمك الله أن محبة العبد لله ولرسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما ومحبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران قيل العبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس إلا لله وأن كل ما يراه كمالا من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله ولم يكن حبه إلا لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقرب اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحث على طاعته وعن الحسن قال أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد إنا نحب ربنا فانزل الله هذه الآية وعن بشر الحافي رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال

يا بشر أتدري بم رفعك الله من بين أقرانك قلت لا يا رسول الله قال بخدمتك للصالحين ونصيحتك لاخوانك ومحبتك لأصحابك وأهل سنتي واتباعك لسنتي قال صلى الله عليه وسلم من أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي يوم القيامة في الجنة وجاء في الآثار المشهورة أن المتمسك بسنة سيد الخلائق والمرسلين عند فساد الخلق واختلاف المذاهب له أجر مائة شهيد كذا في شرعة الاسلام وقال كل أمة يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا من أبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى كل عمل ليس على سنتي فهو معصية وقال بعضهم لو رأيت شيخا يطير في الهواء أو يمشي على البحر أو يأكل النار أو غير ذلك وهو يترك فرضا من فرائض الله تعالى أو سنة من السنن عامدا فاعلم أنه كذاب في دعواه وليس فعله كرامة بل هو استدراج نعوذ بالله منه قال الجنيد رحمه الله ما وصل أحد الى الله إلا بالله والسبيل الى الوصول الى الله متابعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال احمد الحواري رحمه الله كل عمل بغير اتباع السنة فباطل كما قال صلى الله عليه وسلم من ضيع سنتي حرمت عليه شفاعتي كذا في شرعة الاسلام (وحكي) أن رجلا رأى من بعض المجانين ما استجهله فيه فاخبر بذلك معروفا الكرخي رحمه الله فتبسم ثم قال يا أخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رأيته من مجانينهم (وحكي) عن الجنيد أنه قال مرض أستاذنا السري رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فاخذنا قارورة مائه فنظر اليه الطبيب وجعل ينظر اليه مليا ثم قال أراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى السري فاخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتبين المحبة في البول قال نعم قال الفضيل رحمه الله اذا قيل لك أتحب الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت وقال سفيان من أحب من يحب الله تعالى فانما أحب الله ومن أكرم من يكرم الله تعالى فانما يكرم الله تعالى وقال سهل رحمه الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حبه صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة قال أبو الحسن الزنجاني أصل العبادة على ثلاثة أركان العين والقلب واللسان فالعين بالعبرة والقلب بالفكرة واللسان بالصدق والتسبيح والذكر كما

قال الله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا يعنى غدوا وعشيا (حكى)
أن عبد الله واحمد بن حرب حضرا موضعا فقطع احمد بن حرب قطعة من حشيش الأرض
فقال له عبد الله حصل عليك خمسة أشياء شغل قلبك به عن تسبيح مولاك وعودت نفسك
الاشتغال بغير ذكر الله تعالى وجعلت ذلك طريقا يقتدى بك فيه ومنعته عن تسبيح ربه
وألزمت نفسك حجة الله عز وجل يوم القيامة كذا فى رونق المجالس وعن السرى رضى
الله عنه قال رأيت مع الجرجانى سويقا يستف منه فقلت لماذا لا تأكل طعاما غيره قال إنى
حسبت ما بين المضغ والاستفاف تسعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة وكان
سهل بن عبد الله يأكل فى كل خمسة عشر يوما مرة فاذا دخل رمضان لم يأكل فيه إلا أكلة
واحدة ويصبر فى بعض الأوقات عن الطعام سبعين يوما وكان إذا أكل ضعف وإذا جاع
قوى وجاور أبو حماد الاسود فى المسجد الحرام ثلاثين سنة وما رؤى أنه أكل أو شرب
ولا يخلو ساعة من ذكر الله (وحكى) أن عمرو بن عبيد كان لا يخرج من منزله إلا لثلاثة
للصلاة مع الجماعة ولعيادة المريض ولحضور الجنازة ويقول رأيت الناس سراقا وقطاعا
للطريق العمر جوهر نفيس لا قيمة له فينبغى أن تملأ منه خزانة باقية فى الآخرة واعلموا
بان طالب الآخرة لا بد له من الزهد فى الحياة الدنيا ليصير همه هما واحدا ولا يفترق باطنه
من ظاهره ولا يمكن حفظ الحال الا بضبط الظاهر والباطن قال الشبلى رحمه الله وكنت
أول بدايتى إذا غلبنى النوم اكتحلت بالملح فاذا زاد على الأمر أحمى الميل فاكتحل به
(وحكى) عن ابراهيم بن الحاكم أنه قال كان أبى إذا جاءه النوم دخل البحر فيسبح فتجتمع
اليه حيتان البحر يسبحون معه (وحكى) أن وهب بن منبه دعا الله أن يرفع عنه النوم بالليل
فذهب عنه النوم أربعين سنة وكان حسن الحلاج قيد نفسه من كعبه الى ركبته بثلاثة عشر
قيدا وكان يصلى مع ذلك كل يوم وليلة الف ركعة وكان الجنيد يأتى الى السوق فى بداية أمره
فيفتح حانوته فيدخله ويسبل الستر فيصلى أربعمائة ركعة ثم يرجع الى بيته وصلى حبشى بن
داود صلاة الغداة أربعين سنة على طهر العشاء فينبغى للمؤمن أن يكون دائما على الطهارة
وكلما أحدث يتطهر ويصلى ركعتين لله ويجتهد أن يستقبل القبلة فى كل مجلسه ويصور فى
نفسه أنه جالس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قدر الحضور والمراقبة حتى يلازم السكينة
والوقار فى الفعل ويحتمل الأذى ولا يقابل المسىء ويستغفر لكل مسىء ولا يعجب بنفسه
ولا بعمله فان العجب من صفة الشيطان وينظر الى نفسه بعين الحقارة ويرى الصالحين

يعين الاحترام والتعظيم فمن لم يعرف حرمة الصالحين حرمه الله تعالى صحبتهم ومن لم يعرف حرمة الطاعة نزع من قلبه حلاوتها سئل الفضيل بن عياض فقيل له يا أبا على متى يكون الرجل صالحا قال اذا كانت النصيحة فى نيته والخوف فى قلبه والصدق فى لسانه والعمل الصالح فى جوارحه قال الله تعالى فى معراج النبى ﷺ يا احمد ان أحببت أن تكون أورع الناس فازهد فى الدنيا وارغب فى الآخرة فقال إلهى كيف أزهد فى الدنيا فقال خذ من الدنيا بقدر الطعام والشراب واللباس ولا تدخر لغد ودم على ذكرى فقال يارب كيف أدوم على ذكرك فقال بالخلوة عن الناس واجعل نومك الصلاة وطعامك الجوع وقال ﷺ الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فيها تكثر الهم والحزن حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد فيها رأس كل خير وطاعة (وحكى) أن بعض الصالحين مر على جماعة فاذا بطبيب يصف الداء والدواء فقال يامعالج الأجسام هل تعالج القلوب فقال الطبيب نعم صف لى داءه فقال قد اظلمته الذنوب فقسا وجفا فهل له من علاج فقال الطبيب علاجه التضرع والابتهال والاستغفار آناء الليل وأطراف النهار والمبادرة الى طاعة العزيز الغفار والاعتذار الى الملك الجبار فهذه معالجة القلوب والشفاء من علام الغيوب فصاح الرجل الصالح ومضى باكيا وقال نعم الطبيب أنت أصبت علاج قلبى فقال الطبيب هذا معالجة قلب من تاب ورجع بقلبه الى البر التواب (وحكى) أن رجلا اشترى غلاما فقال الغلام يامولاى أن لى معك ثلاثة شروط أحدها أن لا تمنعنى عن الصلاة المكتوبة إذا جاء وقتها والثانى أن تأمرنى بالنهار ماشئت ولا تأمرنى بالليل والثالث أن تجعل لى منزلا فى بيتك لا يدخله غيرى فقال له الرجل لك هذه الشروط ثم قال الرجل أنظر فى البيوت فطاف الغلام فوجد فيها بيتا خرابا فقال أخذت هذا فقال ياغلام اخترت بيتا خرابا فقال الغلام يامولاى أما علمت أن الخراب مع الله بستان فكان يخدم مولاه بالنهار ويتفرغ بالليل لعبادة ربه سبحانه وتعالى فبينما هو كذلك إذ طاف مولاه ذات ليلة فى الدار فبلغ حجرة الغلام فاذا هى منورة والغلام ساجد وعلى رأسه قنديل من النور معلق بين السماء والأرض والغلام يناجى ربه ويتضرع ويقول إلهى أوجبت على حق مولاى وخدمته بالنهار ولولا ذلك ما اشتغلت ليلى ولا نهارى الا بخدمتك فاعذرنى يارب ومولاه ينظر اليه حتى انفجر الصبح ورد القنديل وانضم سقف البيت فرجع واخبر امرأته بذلك فلما كانت الليلة الثانية أخذ بيد امرأته وجاء الى باب الحجرة فاذا الغلام فى السجود والقنديل

على رأسه فوقفا على الباب ينظران اليه ويبكيان حتى أصبحا فدعا الغلام فقال له أنت عتيق لوجه الله تعالى حتى تتفرغ لعبادة من كنت تعتذر اليه فرفع الغلام يديه الى السماء وقال

يا صاحب السر ان السر قد ظهرا ولا أريد حياتى بعد ما اشتهرا

ثم قال إلهى اسألك الموت فخر الغلام ميتا هكذا أحوال الصالحين والعاشقين والطالبين وفى زهر الرياض أن موسى عليه السلام كان له صديق يانس به فقال له ذات يوم ياموسى ادع الله أن يعرفنى اياه حق معرفته فدعا موسى عليه السلام فاستجيب له فلحق صاحبه بالجبال مع الوحوش وفقده موسى فقال يارب أخى ومؤنسى فقدته فقيل له ياموسى من عرفنى حق معرفتى لا يصحب مخلوقا أبدا وجاء فى الاخبار أن يحى وعيسى عليهما السلام كانا يمشيان فى السوق فصدمتهما امرأة فقال يحى والله ماشعرت بذلك فقال عيسى سبحان الله بدنك معى وقلبك أين قال ياابن الخالة لو اطمأن قلبى إلى غير ربى طرفة عين لظننت أنى ماعرفت الله ويقال صدق المعرفة ان يطلق الدنيا والعقبى ويتجرد للمولى وأن يسكر من شراب المحبة فلا يصحوا الا عند الرؤية فهو على نور من ربه

(الباب الثانى عشر فى ذكر ابليس وعذابه)

قال الله سبحانه وتعالى فان تولوا أى أعرضوا عن طاعة الله ورسوله فان الله لا يحب الكافرين يعنى لا يغفر لهم ولا يقبل توبتهم كما لم يقبل توبة ابليس لكفره واستكباره وتاب على آدم عليه السلام وقبل توبته لأنه أقر على نفسه بالذنب وندم عليه ولام نفسه وهذا وان لم يكن ذنبا حقيقة لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون لا تقع منهم المعصية أبدا لا قبل النبوة ولا بعدها على الصحيح لكنه على صورة الذنب ولذلك قال هو وحواء عليهما السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فندم عليه السلام واسرع بالتوبة ولم يقنط من رحمة الله تعالى كما قال الله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله وابليس لم يقر على نفسه بالذنوب ولم يندم عليها ولم يلم نفسه ولم يسرع بالتوبة وقنط من رحمة الله تعالى وتكبر فمن كان له مثل حال ابليس لم تقبل توبته ومن كان حاله مثل حال آدم قبل الله توبته لأن كل معصية أصلها من الشهوة فانه يرجى غفرانها وكل معصية أصلها من الكبر فانه لا يرجى غفرانها ومعصية آدم أصلها من الشهوة ومعصية ابليس أصلها من الكبر (حكى) أن ابليس جاء الى موسى عليه السلام فقال له أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما فقال له موسى نعم فما الذى تريد ياهذا ومن أنت فقال ابليس ياموسى قل لربك خلق من خلقك قد

مسألك التوبة فأوحى الله الى موسى قل له إني قد استجبت لك فيما سألت ومره يا موسى أنه يسجد لقبر آدم فإذا سجد له قبلت توبته وغفرت له ذنوبه فأخبره موسى فغضب إبليس واستكبر وقال يا موسى أنا لم أسجد له في الجنة فكيف أسجد له وهو ميت (روى) أن إبليس يشتد عليه العذاب في النار فيقال له كيف وجدت عذاب الله فيقول أشد ما يكون فيقال له ان آدم في رياض الجنة فاسجد له واعتذر حتى يغفر لك فيأبى فيشتد عليه العذاب بقدر عذاب أهل النار سبعين ألف ضعف وجاء في الخبر أن الله تعالى يخرج إبليس من النار كل مائة ألف سنة ويخرج آدم ويأمره بالسجود له فيأبى ثم يرده الى النار إخواني إن أردتم النجاة من إبليس فاعتصموا بالمولى واستعيذوا به إذا كان يوم القيامة يوضع كرسي من النار فيقعد عليه إبليس عليه اللعنة فتجتمع الشياطين والكفار عنده وله صوت كصوت الحمار ينهق ويقول يا أهل النار كيف وجدتم اليوم ما وعد ربكم قالوا حقا ثم يقول هذا يوم أيست فيه من الرحمة فيأمر الله تعالى الملائكة أن يضربوه ومن تبعه بمقامع من نار فيهوون فيها أربعين سنة فلا يسمعون الأمر بالخروج أبدا الأبد نعوذ بالله منها وورد أنه يؤتى بإبليس يوم القيامة فيؤمر به أن يجلس على كرسي من نار وعلى عنقه طوق اللعنة ويأمر الله عز وجل الزبانية أن يجروه عن الكرسي ويلقوه في النار فيتعلقون به ليلقوه فلا يقدرون ثم يأمر الله تعالى جبريل مع ثمانين ألف ملك بذلك فلا يقدرون ثم يأمر إسرافيل ثم عزرائيل أيضا ومع كل واحد منهما ثمانون ألف ملك فلا يقدرون فيقول الله تعالى لهم لو اجتمع عليه أضعاف ما خلقت من الملائكة لما قدروا على أن ينقلوه وطوق اللعنة على عنقه (وروى) أن إبليس كان اسمه في سماء الدنيا العابد وفي الثانية الزاهد وفي الثالثة العارف وفي الرابعة الولي وفي الخامسة التقي وفي السادسة الخازن وفي السابعة عزازيل وفي اللوح المحفوظ إبليس وهو غافل عن عاقبة أمره فأمره الله أن يسجد لآدم فقال أتفضله علي وأنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فقال تعالى أنا أفعل ما أشاء فرأى لنفسه شرفا فولى آدم ظهره أنفة وكبرا وانتصب قائما الى أن سجدت الملائكة المدة المارة فلما رفعوا رؤسهم ورأوه لم يسجد وهم قد وفقوا للسجود سجدوا ثانيا شكرا وهو قائم يرى معرضا عنهم غير عازم على الاتباع ولا نادم على الامتناع فمسخه الله من الصورة البهية فنكسه كالخنزير وجعل رأسه كرأس البعير وصدره كسنام الجمل الكبير ووجهه بينهما وجه القردة وعينه مشقوقتين في طول وجهه ومنخريه مفتوحتين ككوز الحجام وشفتيه كشفتي الثور وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير وفي لحيته

صبع شعرات وطرده من الجنة بل من السماء بل من الأرض الى الجزائر فلا يدخل الأرض إلا خفية ولعنه الله الى يوم الدين لأنه صار من الكافرين وانظر كان بهى الصورة رباعى الأجنحة كثير العلم كثير العبادة طاووس الملائكة وأعظمهم سيد الكروبيين الى غير ذلك فلم يغن ذلك عنه شيئا ان فى ذلك لذكرى (وفى الأثر) لما مكر بابليس بكى جبريل وميكائيل فقال الله لهما ما يبكيكما قالا ربنا ما أمنا مكرك فقال تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكرى (وروى) أن ابليس قال يارب أخرجتنى من الجنة لأجل آدم وأنا لا أقدر عليه الا بتسليطك قال أنت أمتسلط عليه أى على أولاده لعصمة الأنبياء منه قال زدنى قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثلاه قال زدنى قال صدورهم مساكن لك تجرى فيها مجرى الدم قال زدنى قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك أى استعن عليهم بأعوانك من راكب وماش وشاركهم فى الأموال أى بحملهم على كسبها وصرفها فى الحرام والأولاد أى بالحث على التوصل اليهم بالسبب المحرم كالوطء فى الحيض والاشراك فيهم بتسميتهم بنحو عبد العزى والتضليل بالحمل على الأديان الباطلة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم أى المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بطول الأمل وهذا على طريق التهديد كاعملوا ما شئتم فقال آدم يارب قد سلطته على فلا أمتنع عنه إلا بك قال لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من الملائكة قال زدنى قال الحسنة بعشر أمثالها قال زدنى قال لا أنزع منهم التوبة ما دامت أرواحهم فى أبدانهم قال زدنى قال أغفر لهم ولا أبالى قال اكتفيت فقال إبليس يارب جعلت فى بنى آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلى قال الكهان قال فما كتبى قال الوشم قال فما حديثى قال الكذب قال فما قرآنى قال الشعر قال فما مؤذنى قال المزمار قال فما مسجدى قال الأسواق قال فما بيتى قال الحمام قال فما طعامى قال الذى لم يذكر عليه اسمى قال فما شرابى قال السكر قال فما مصايدى قال النساء

(الباب الثالث عشر فى الأمانة)

قال الله تعالى إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها أى امتنعن من قبولها وأشفقن منها أى خفن من الأمانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب أو خفن من الخيانة فيها ومعنى الأمانة فى هذه الآية الطاعة والفرائض التى يتعلق بأدائها الثواب والعقاب قال القرطبى الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال وهو قول الجمهور واختلف فى تفاصيل بعضها فقال ابن مسعود هى فى امانة الأموال

كالودائع وغيرها وروى عنه أنها فى كل الفرائض وأشدها أمانة المال وقال أبو الدرداء غسل الجنابة أمانة وقال ابن عمر أول ماخلق الله من الانسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتكها فلا تلبسها إلا بحق فان حفظتها حفظتك فالفرج أمانة والأذن أمانة والعين أمانة واللسان أمانة والبطن أمانة واليد والرجل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له (قال الحسن) ان الأمانة عرضت على السموات والأرض والجبال فاضطربت وما فيها فقال الله لها إن أحسنت أجرتك ولمن أسأت عذبتك فقالت لا قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه وقال له ذلك فقال قد تحملتها ولا يخفى أن عرض هذه الأمانة على السموات والارض والجبال عرض تخيير لا عرض إلزام ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها وقال القفال وغيره العرض فى هذه الآية ضرب مثل أى أن السموات والأرض والجبال على كبر أجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب أى أن التكليف أمر عظيم حقه أن تعجز عنه السموات والأرض والجبال وقد كلفه الانسان كما قال تعالى (وحملها الانسان) أى التزم بحقها آدم بعد عرضها عليه فى عالم الذر عند خروج ذريته من ظهره وأخذ الميثاق عليهم (إنه كان ظلوما جهولا). أى وهو فى ذلك الحمل ظلوم لنفسه جهول بقدر مادخل فيه أو جهول بأمر ربه وعن ابن عباس قال عرضت الأمانة على آدم فقيل خذها بما فيها فان أطعت غفرت لك وإن عصيت عذبتك قال قبلتها بما فيها فما كان إلا مابين العصر الى الليل من ذلك اليوم حتى أكل من الشجرة لولا أن تداركه الله برحمته فتاب عليه وهدى والأمانة مشتقة من الايمان فمن حفظ أمانة الله حفظ الله إيمانه قال ﷺ لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقال الشاعر

تبا لمن رضى الخيانة مربحا … وازور عن صون الأمانة جانبه
رفض الديانة والمروءة فاغتدى … تترى عليه من الزمان مصائبه

(وقال آخر)

أخلق بمن رضى الخيانة شيمة … أن لا يرى الا صريع حوادث
مازالت الارزاء ينزل بؤسها … أبدا بغادر ذمة أو ناكث

وقال رسول الله ﷺ يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب وقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتى بخير مالم تر الأمانة مغنم والصدقة مغرما وقال صلى الله عليه وسلم أد الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك (وفى الصحيحين) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان أى اذا ائتمنه أحد بكلمة خانه بافشائها للناس أو بوديعة خانه بانكارها وعدم حفظها أو استعمالها بغير اذنه فحفظ الأمانة صفة الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين وشيمة الأبرار المتقين قال الله سبحانه وتعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها قال المفسرون هذه الآية مشتملة على كثير من أمهات الشرع والمخاطب بها عموم المكلفين الولاة وغيرهم فيجب على الولاة إنصاف المظلوم وإظهار حقه وذلك أمانة وحفظ اموال المسلمين لاسيما اليتامى ويجب على العلماء تعليم العوام أحكام دينهم فهى أمانة اختار لحفظها العلماء ويجب على الوالد رعاية ولده بحسن التأديب إذ هو أمانة عنده قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (وفى زهر الرياض) يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول الله تعالى اردت أمانة فلان فيقول لا يارب فيأمر الله تعالى ملكا فيأخذ بيده وينطلق به الى جهنم ويريه الأمانة بعينها فى قعر جهنم فيهوى فيها سبعين عاما حتى ينتهى الى قعرها ثم يصعد بالامانة فاذا بلغ أعلى جهنم زلت قدمه فيهوى فيها كذلك ثم يصعد ثم يهبط وهكذا حتى يدركه لطفه وبه بشفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيرضى عنه صاحب الامانة (وروى) عن سلمة قال بينما نحن جلوس عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ أتى بجنازة ليصلى عليها فقال هل عليه دين قالوا لا فصلى عليها ثم أتى بجنازة أخرى فقال هل عليه دين قالوا نعم قال فهل ترك شيئا فقالوا ثلاث دنانير فصلى عليها ثم أتى بثالثة فقال هل عليه دين قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم هل ترك شيئا قالوا لا قال صلوا على صاحبكم وعن قتادة رضى الله عنه قال قال رجل يارسول الله أرأيت ان قتلت فى سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر يكفر الله خطاياى قال نعم فلما أدبر الرجل ناداه فقال يغفر الله للشهيد كل ذنب الا الدين

(الباب الرابع عشر فى أتمام الصلاة بالخضوع والخشوع)

قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون اعلم أن الخشوع منهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والعبث وقد اختلفوا فى الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها

على قولين واستدل من قال بالأول بحديث ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل وبقوله تعالى أقم الصلاة لذكرى والغفلة تضاد الذكر ولهذا قال تعالى ولا تكن من الغافلين (أخرج) البيهقي عن محمد بن سيرين قال نبئت أن رسول الله ﷺ كان اذا رفع بصره إلى السماء فنزلت الآية وزاد عبد الرزاق عنه فأمره بالخشوع فرمى ببصره نحو مسجده وأخرج الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة كان ﷺ اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت هذه الآية فطأطأ رأسه (وروى) عن الحسن أن النبي ﷺ قال مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب احدكم كثير الماء يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى عليه من الدرن شيء يعني أن الصلوات تطهر من الذنوب ولا تبقي منها شيئا فيما دون الكبائر وهذا اذا صلى بخشوع وحضور قلب وإلا فهي مردودة عليه وقال ﷺ من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وقال ﷺ إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله تعالى فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال ﷺ من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا أنت قد دخلت على مولاك فتكلمه بغير ترجمان وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقال ﷺ لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم الخليل اذا قام الى الصلاة يسمع وجيب قلبه عن ميلين وكان سعيد التنوخي إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته ورأى رسول الله ﷺ رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (وروى) أن عليا كرم الله وجهه كان اذا حضرت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فيقال له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها ويروى عن علي بن الحسين إنه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم (ويروى) عن حاتم الأصم أنه سئل عن صلاته فقال إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم الى الصلاة واجعل الكعبة

بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورائي وأظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق واقرأ قراءة بترتيل واركع ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقعد على الورك الأيسر وافرش ظهر قدمها وانصب القدم اليمنى على الابهام واتبعها بالاخلاص ثم لا أدري قبلت مني أم لا وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه وقال ﷺ يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعن الحسن أن النبي ﷺ قال ألا أخبركم بأسوأ الناس سرقة قالوا من هو يا رسول الله قال الذي يسرق من صلاته قالوا وكيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها وقال ﷺ أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فان كان قد أتمها هون الله عليه الحساب وإن كان قد انتقص منها شيئا قال تعالى للملائكة هل لعبدي من تطوع فأتموا الفريضة منه وقال ﷺ ما أعطي عبد عطاء خيرا من أن يؤذن له في ركعتين يصليهما وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أراد القيام إلى الصلاة ترتعد فرائصه وتصطك أسنانه فقيل له في ذلك قال حان وقت اداء الامانة وقضاء الفريضة ولا أدري كيف أؤديها (وحكى) عن خلف بن أيوب أنه كان قائما في الصلاة فلدغه زنبور فسال منه الدم وهو لا يشعر حتى خرج ابن سعيد فأعلمه بذلك فغسل ثوبه فقيل له يلدغك زنبور ويسيل منك الدم ولم تشعر به فقال أيشعر بمثل هذا من يكون واقفا بين يدي الملك الجبار وملك الموت على قفاه والنار عن شماله والصراط تحت قدميه ووقعت الأكلة في يد عمرو بن ذر وكان جليلا في الزهد والعبادة فقال له الأطباء لا بد لك من قطع هذه اليد فقال اقطعوها فقالوا لا نقدر على قطعها إلا أن نشدك بالحبال فقال لا ولكن إذا شرعت في الصلاة فاقطعوها حينئذ فلما دخل في الصلاة قطعت ولم يشعر بذلك

﴿الباب الخامس عشر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر﴾

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من صلى علي مرة خلق الله تعالى من نفس المصلي غمامة بيضاء ثم يأمرها الله تعالى أن يأخذ من بحر الرحمة فتأخذ ثم يأمرها الله تعالى أن تمطر فاذا أمطرت فأي قطرة قطرت على الأرض يخلق الله الذهب منها وأي قطرة قطرت على الجبال يخلق الله تعالى منها الفضة وأي قطرة قطرت على كافر رزقه الله تعالى الايمان قال الله سبحانه وتعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال الكلبي هذه الاية

تتضمن بيان حال هذه الأمة فى الفضل على غيرها من الأمم وفيها دليل على أن هذه الأمه الاسلامية خير الأمم على الاطلاق وأن هذه الخيرية مشتركة بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم وإن كانت متفاضلة فى ذاتها كما ورد فى فضل الصحابة على غيرهم ومعنى أخرجت أظهرت للناس أى لنفعهم ومصالحهم فى جميع الأعصار حتى تميزت وعرفت وقوله تعالى تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كلام مستأنف يتضمن بيان كونهم خير امم ما يشتمل عليه من أنهم خير أمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به فاذا تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر زال عنهم ذلك فجعلهم الله خير الناس للناس لانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاتلون الكفار ليسلموا فترجع منفعتهم على غيرهم كما قال صلى الله عليه وسلم خير الناس من ينفع الناس وشر الناس من يضر الناس (تؤمنون بالله) أى تصدقون بتوحيد الله وتثبتون على ذلك وتقرون أن محمدا نبى الله لأن من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمن بالله لأنه يزعم أن الآيات المعجزات التى أتى بها من عند نفسه وقال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان يعنى أضعف فعل أهل الايمان قال بعضهم التغيير باليد للامرا وباللسان للعلماء وبالقلب للعوام وقال بعضهم كل من يقدر على ذلك فالواجب عليه أن يغيره كما قال الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) الآية ومن التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير اليه وسد سبيل الشرور والعدوان بحسب الامكان وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه امنا وإيمانا ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى الأرض وخليفة كتابه وخليفة رسوله عن حذيفة رضى الله عنه قال يأتى على الناس زمان لان تكون فيهم جيفة حمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم قال موسى يارب ما جزاء من دعى أخاه وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر قال اكتب له بكل كلمة عبادة سنة واستحى أن أعذبه بنارى (وفى الحديث القدسى) يقول الله تعالى يا ابن آدم لا تكن ممن يؤخر التوبة ويطول الامل ويرجع الى الآخرة بغير عمل يقول قول العابدين ويعمل عمل المنافقين إن أعطى لم يقنع وإن منع لم يصبر ويحب الصالحين وليس منهم ويبغض المنافقين وهو منهم يأمر بالخير ولا يفعله وينهى عن الشر ولم ينته وعن على كرم الله وجهه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيأتى قوم فى آخر الزمان أحداث الاسنان نواقص العقل يقولون

من قول خير البرية لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال رسول الله ﷺ رأيت ليلة أسري بي إلى السماء رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من النار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم كما قال الله تعالى في حقهم (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) يعني تتلون كتاب الله وتعملون بما فيه فكانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون فيجب على المؤمنين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ولا ينسون أنفسهم كما قال الله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة) الآية فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف فالذي هجر الأمر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية وقد ذم الله أقواما بترك الامر بالمعروف فقال (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) يعني لا ينهى بعضهم بعضا (لبئسما كانوا يفعلون) روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو أخياركم فلا يستجاب لهم ويستنصرون فلا ينصرون ويستغفرون فلا يغفر لهم وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ عذب الله أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الانبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وقال أبو ذر الغفاري قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله ﷺ نعم يا أبا بكر إن لله تعالى مجاهدين في الأرض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يمشون على الأرض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ومن هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون لله والمبغضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده إن العبد ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء لكل غرفة منها ثلثمائة باب منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليتزوج بثلثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها تقول له أتذكر يوم كذا وكذا أمرت فيه بالمعروف ونهيت عن المنكر وكلما التفت الى واحدة منهن ذكرت له مقاما أمر فيه بالمعروف ونهي عن المنكر وفي الخبر أن الله تعالى قال يا موسى هل عملت لي عملا قط قال إلهي صليت

لك وصمت لك وتصدقت لأجلك وسجدت لك وحمدت لك وقرأت كتابك وذكرتك قال الله تعالى يا موسى اما الصلاة فلك برهان وأما الصوم فلك جنة وأما الصدقة فلك ظل وأما التسبيح فلك أشجار فى الجنة وأما قراءة كتابى فلك حور وقصور وأما الذكر فلك نور فأى عمل عملت لى قال موسى دلنى يارب على عمل أعمله لك قال يا موسى هل واليت لى وليا قط وهل عاديت لى عدوا قط فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب لله والبغض لله لأعدائه وقال أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قلت يا رسول الله أى الشهداء أكرم على الله عز وجل قال رجل قام الى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجرى عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش وقال الحسن البصرى رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل شهداء أمتى رجل قام الى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته فى الجنة بين حمزة وجعفر أوحى الله إلى يوشع بن نون عليه السلام إنى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبى وواكلوهم وشاربوهم وعن أنس رضى الله عنه قال قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله وأوصى بعض السلف بنيه فقال إذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله ومن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الأذى

﴿الباب السادس عشر فى عداوة الشيطان﴾

يجب على المؤمن أن يحب العلماء والصلحاء ويلازم مجالستهم ويسأل ما لا بد له ويتعظ بنصحهم ويجتنب الأعمال القبيحة ويتخذ الشيطان عدوا كما قال الله تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أى فعادوه بطاعة الله تعالى ولا تطيعوه فى معاصى الله تعالى وكونوا على حذر منه فى جميع أحوالكم وأفعالكم وعقائدكم عن صميم قلوبكم واذا فعلتم فعلا فتفطنوا له فانه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ويزين لكم القبائح واستعينوا عليه بربكم قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال هذه سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فبين لنا صلى الله عليه وسلم كثرة طرق الشيطان

(وروى) عن النبي ﷺ أنه قال كان راهب في بني إسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتوا بها اليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فأطعني تنج وأخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لي سجدتين ففعل فقال له الشيطان إني بريء منك فهو الذي قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك (وروى) أن ابليس سأل الامام الشافعي رضي الله عنه ما قولك فيمن خلقني كما اختار واستعملني فيما اختار وبعد ذلك ان شاء أدخلني الجنة وإن شاء أدخلني النار أعدل في ذلك أم جار فنظر في كلامه ثم قال يا هذا إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك وإن كان خلقك لما يريده هو فلا يسأل عما يفعل فاضمحل إلى أن صار لا شيء ثم قال والله يا شافعي لقد أخرجت بمسألتي هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية (واعلم) أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدريها فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجب هو فرض عين على كل مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخله وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة (ومنها) الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل واذا ضعف العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالاكرة وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لابليس أرني كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى (ومنها) الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على كل شيء أعماه حرصه وأصمه فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا او فاحشا فقد روي أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة وحمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيخا

لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك فقال له نوح أخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له ابليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله الى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما أهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت رجيما وأما الحرص فانه أبيح لآدم الجنة كلها الا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرص (ومنها) الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات وهي أسلحة الشيطان فقد روى أن ابليس ظهر ليحيي عليه السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي أصيبت بها ابن آدم فقال فهل لي فيها من شيء قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله على أن لا أملأ بطني من الطعام أبدا فقال له ابليس ولله على أن لا أنصح مسلما أبدا (ومنها) حب التزين من الاثاث والثياب والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره فاذا أوقعه في ذلك فقد استغنى أن يعود اليه ثانية فان بعض ذلك يجره الى البعض الى أن يساق أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة نعوذ بالله (ومنها) الطمع في الناس فقد روى صفوان بن سليم أن ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا أعلمك به فقال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا أخذت وان كان شرا رددت فقال يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت فاني أملكك اذا غضبت (ومنها) العجلة وترك التثبت في الامور قال ﷺ العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى فعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدري فقد روى أنه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام أتت الشياطين ابليس فقالوا له أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافقي الارض فلم يجد شيئا فوجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا بالملائكة حافين به فرجع اليهم فقال ان نبيا ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا وأنا حاضرها الا هذا فيئسوا من أن تعبد الاصنام بعد هذا

الليلة ولكن اتتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة ومنها الدراهم والدنانير وسائر أصناف الاموال والعروض والدواب والعقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان قال ثابت البناني لما بعث رسول الله ﷺ قال ابليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ماهو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاؤه وقالوا ما ندري قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمد ﷺ قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحى ذلك فقال لهم ابليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا (وروى) أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال ياعيسى أرغبت في الدنيا فأخذه عيسى عليه السلام فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا (ومنها) البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصديق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الأليم ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال وهي معشش الشياطين (ومنها) التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر لهم بعين الاحتقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا قال الحسن رضي الله عنه بلغنا أن ابليس قال سولت لأمة محمد ﷺ المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها (ومنها) سوء الظن بالمسلمين فيجب الاحتراز عنه وعن تهمة الاشرار فمهما رأيت إنسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث باطنا وأن ذلك خبثه يترشح منه فيجب على الانسان قطع هذه الابواب من القلب ويعينه عليها ذكر الله تعالى (وقال ابن إسحق) لما رأى كفار قريش هجرة الصحابة وعرفوا أنه صار له ﷺ أصحاب من غيرهم فحذروا خروجه وعرفوا أنه أجمع لحربهم فاجتمعوا في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب وسميت بذلك لاجتماع الندى فيها يتشاورون وكانت قريش لا تقضي أمرا إلا فيها ولا يدخلون فيها غير قرشي إلى أن يبلغ أربعين سنة بخلاف القرشي وقد أدخلوا أبا جهل واجتمعوا يوم السبت ولذلورد يوم السبت مكر وخديعة ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي وذلك أنه وقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه بت قيل كساء غليظ أو طيلسان من خز فقالوا من الشيخ فقال من نجد سمع بالذي قصدتم له فحضر ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم

وأياو نصحا قالوا ادخل فدخل فتشاوروا فى أمر النبى ﷺ وكانوا مائة رجل وقيل كانوا خمسة عشر رجلا فقال أبو البحترى المقتول كافرا ببدر احبسوه فى الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء قبله فقال النجدى ماهذا برأى والله لو حبستموه فى الحديد ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه فلا وشكوا أن يثبتوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكابروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ماهذا برأى فانظروا فى غيره فقال أبو الاسود ربيعة بن عمرو العامرى نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالى الى أين ذهب فقال النجدى لعنه الله ماهذا برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى يتابعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد ادبروا فيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل والله ان لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه فى القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فتعقله لهم فقال النجدى لعنه الله القول ما قال لا أرى غيره فاجمع رأيهم على قتله ﷺ وتفرقوا على ذلك ثم أتى جبريل النبى ﷺ فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فأمر ﷺ عليا فنام مكانه وغطى ببردة له ﷺ أخضر كان يشهد به الجمعة والعيدين بعد ذلك عنده فعلها فكان أول من شرى نفسه فى الله ووقى بها رسول الله ﷺ وفى ذلك يقول على رضى الله عنه (شعر)

وقيت بنفسى خير من وطىء الثرى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول إله خاف أن يمكروا به ... فنجاه ذو الطول الاله من المكر

وبات رسول الله فى الغار آمنا ... موقى وفى حفظ الاله وفى ستر

وبت اراعيهم وما يتهموننى ... وقد وطنت نفسى على القتل والأسر

ثم خرج ﷺ من الباب عليهم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يروه أحد منهم ونثر على رؤوسهم كلهم ترابا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف حيث أراد فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون هنا قالوا محمد قال خيبكم

هو والله خرج عليكم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم فوضع كل يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائما عليه برده فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي من الفراش فقالوا لقد صدقنا الذي كان حدثنا وفي هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك الآية (شعر)

لا تجزعن فبعد العسر تيسير وكل شيء له وقت وتقدير
وللمقدر في أحوالنا نظر وفوق تدبيرنا لله تدبير

ثم أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة فقال ابن عباس بقوله تعالى وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر رضي الله عنه (وروى) الحاكم عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من يهاجر معي قال ابو بكر الصديق وأخبر صلى الله عليه وسلم عليا بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس قالت عائشة رضي الله عنها فبينما نحن جلوس يوما في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة أي أول الزوال وهو أشد ما يكون من حرارة النهار (وروى) الطبراني في حديث أسماء كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشية فلما كان يوم من ذلك جاءنا في الظهيرة فقلت يا بت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا أي مغطيا رأسه في ساعة لم يكن يأتينا فيها قال أبو بكر رضي الله عنه فدى له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة الا أمر قالت عائشة رضي الله عنها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له أبو بكر فدخل فتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأبي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك يعني عائشة وأسماء وفي رواية فقال أبو بكر لا عين عليك انما هم ابنتاي فقال صلى الله عليه وسلم فانه قد أذن لي في الخروج فقال ابو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضي الله عنها فرأيت ابو بكر يبكي وما كنت احسب احدا يبكي من الفرح فقال ابو بكر فخذ بأبي انت وأمي يا رسول الله احدى راحلتي هاتين قال صلى الله عليه وسلم لا بل بالثمن وفي رواية فقال بثمنها ان شئت وانما أخذها بالثمن لتكون هجرته صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكمال فضل الهجرة الى الله تعالى قالت عائشة فجهزناهما أحث اي اسرع الجهاز وفي رواية احب الجهاز ووضعنا لهما سفرة أي زادا في جراب زاد الواقدي انه كان

في السفرة شاة مطبوخة قالت فقطعت أسماء قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين تثنية نطاق بكسر النون ما يشد به الوسط قالت عائشة رضي الله عنها ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار ثور فسكنا فيه ثلاث ليال وهو جبل بمكة نزله ثور بن عبد مناة فنسب له (وروى) أنهما خرجا من خوخة أي باب صغير لأبي بكر في ظهر بيته ليلا إلى الغار وروى أن أبا جهل لقيهما فأعمى الله بصره عنهما حتى مضيا قالت أسماء بنت أبي بكر وخرج أبو بكر بماله خمسة آلاف درهم ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة جمع قائف وهو الذي يعرف الأثر في كل وجه فوجد الذي ذهب جهة ثور أثره هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع الأثر لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده وروى القاضي عياض أنه صلى الله عليه وسلم ناداه ثبير اهبط عني فاني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذب فناداه حراء الي يا رسول الله وروى أنه لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على بابه الراءة وهي شجرة معروفة بأم غيلان فحجبت عن الغار أعين الكفار وأن الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار فعششتا على بابه وأن ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تلك الحمامتين جزاء وفاقا لما حصل بهما الحماية جوزيا بالنسل وحمايته في الحرم فلا يتعرض له ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى أصحابه فقالوا له ما لك فقال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فعلم أن الله قد درأ عنه وقال آخر أدخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم أي حاجتكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد لو دخل لكسر البيض وتفسخ العنكبوت وهذا أبلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتأمل كيف اظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب وحاكت وجه المكان فحاكت ثوب نسجها حتى عمي على القائف الطلب ولقد حصل لها بذلك الشرف وما أحسن قول ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا ... يجمل لبسه في كل شيء
فان العنكبوت أجل منها ... بما نسجت على رأس النبي

(وروى) الشيخان عن أنس قال حدثني أبو بكر قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو ان أحدهم نظر إلى قدمه لرآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وذكر بعض

أهل السير أن أبا بكر لما قال ذلك قال له صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر وإذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه وعن الحسن البصري بلاغاً أن أبا بكر ليلة انطلق معه صلى الله عليه وسلم إلى الغار كان يمشي بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة فسأله فقال اذكر الطلب فامشي خلفك واذكر الرصد فامشي أمامك فقال لو كان شيء أحببت أن تقتل دوني قال والذي بعثك بالحق فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار فاستبرأه فجعل يلتمس بيده فكلما رأى جحرا قطع من ثوبه وألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقي جحر فوضع عقبه عليه لئلا يخرج ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفى صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ولقد أحسن حسان بن ثابت رضي الله عنه حيث قال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صاعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا من الخلائق لم يعدل به بدلا

وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة يوم الخميس وخرج من الغار ليلة الاثنين لأنه أقام فيه ثلاث ليال وذلك من أول ربيع الأول ودخل المدينة يوم الجمعة اثنتي عشر ليلة خلت منه حكي أن زاهداً من الزهاد اسمه زكريا مرض مرضاً شديداً ودنا وقت أجله فأتاه صديقه في سكرات الموت ولقنه لا إله إلا الله محمد رسول الله فأعرض الزاهد بوجهه ولم يقل فقال له ثانياً فأعرض فقال له ثالثاً فقال لا أقول فغشي على صديقه فلما كان بعد ساعة وجد الزاهد خفة ففتح عينيه فقال هل قلتم لي شيئاً قالوا نعم عرضنا عليك الشهادة ثلاثاً فأعرضت في مرتين وقلت في الثالثة لا أقول فقال أتاني إبليس عليه اللعنة ومعه قدح من الماء ووقف عن يميني وهو يحرك القدح فقال لي أتحتاج الى الماء قلت بلى قال قل عيسى ابن الله فأعرضت عنه ثم أتاني من قبل رجلي فقال لي كذلك فاعرضت عنه وفي الثالثة قال لي كذلك فقلت لا أقول فضرب القدح على الأرض وولى هاربا فانا رددت على إبليس لا عليكم فانا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (وروى) عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال سأل بعضهم ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر بين منكبه

وأذنه له خرطوم طويل دقيق أدخله من منكبه الأيسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس اللهم لا تسلط علينا شيطانا مريدا ولا لسانا حسودا وأعنا على ذكرك وشكرك بجاه خاتم أنبيائك ورسلك صلى الله عليه وسلم وعلى آله وشرف وكرم

﴿ الباب السابع عشر في بيان الأمانة والتوبة ﴾

(روى) عن محمد بن المنكدر أنه قال سمعت أبي يقول بينما سفيان الثوري يطوف إذ رأى رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما إلا وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم قال فقلت يا هذا إنك قد تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك في هذا شيء قال من أنت عافاك الله فقلت أنا سفيان الثوري. قالوا لو لا أنك زاهد أهل زمانك ما أخبرتك عن حالي ولا أطلعتك على سري ثم قال لي خرجت ووالدي حاجا الى بيت الله الحرام حتى اذا كنت في بعض المنازل مرض والدي فقمت بشأنه حتى مات فاسود وجهه فقلت إنا لله وانا اليه راجعون وغطيت وجهه فغلبتني عيناي فنمت حزينا فرأيت رجلا لم أر أحسن منه وجها ولا أنظف منه ثوبا ولا أطيب منه ريحا يرفع قدما ويضع أخرى حتى دنا من والدي فكشف الازار عن وجهه فامر بيده على وجهه فابيض ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه فقلت يا عبد الله من أنت الذي من الله علي والدي بك في أرض الغربة قال أوما تعرفني أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما أن والدك كان مسرفا على نفسه ولكن كان يكثر الصلاة علي فلما نزل به ما نزل استغاث بي وأنا غياث لمن أكثر الصلاة علي فانتبهت واذا وجه أبي قد ابيض (وروى) عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من نسي الصلاة علي فقد أخطأ طريق الجنة (اعلم) أن الامانة مأخوذة من الأمن لأنه يؤمن معها من منع الحق وضدها الخيانة من الخون وهو النقص لأنك اذا خنت أحدا في شيء فقد أدخلت عليه النقصان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر والخديعة والخيانة في النار وقال صلى الله عليه وسلم من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته ومدح أعرابي قوما فقال شغفوا برعي الأمانة فلا يغدرون بذمة ولا ينتهكون لمسلم حرمة ولم تعلق بهم ذمة فهم خير أمة أقول وهؤلاء الذين مدحهم الأعرابي قد انقرضوا فلم نر في هذه الأزمان الا ذئابا في ثياب كما قال

بمن يثق الانسان فيما ينوبه ... ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم ... ذئابا على أجسادهن ثياب

وكما قال آخر ذهب الذين يقال عند فراقهم ليت البلاد وما بها تتصدع
وعن حذيفة رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الامانة سترفع ويصبح الناس يتبايعون وما يكاد أحد منهم أن يؤدي الامانة وحتى يقال ان في بني فلان أميناً (واعلم) أن التوبة واجبة بالأخبار والآيات قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا أمر على العموم وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الآية ومعنى النصوح الخالص لله تعالى خالياً عن الشوائب مأخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته ويروى عن الحسن قال لما تاب الله على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فاين مقامي فاوحى الله اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته كما لبيتك ومن سألني المغفرة لم أبخل عليه لاني قريب مجيب يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقيل كيف ذلك يا رسول قال يكون نصب عينه تائبا منه فاراً حتى يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له (ويروى) أن حبشيا قال يا رسول الله اني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله أكان يراني وأنا أعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها روحه (ويروى) أن الله عز وجل لما لعن ابليس سأله النظرة فأنظره الى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت

من قلب ابن آدم مادام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتى وجلالى لاحجبت عنه التوبة مادام فيه الروح وقال ﷺ ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ وعن سعيد بن المسيب نزل قوله تعالى إنه كان للأوابين غفورا فى الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله تعالى بشر المذنبين بانهم إن تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين أنى إن وضعت عليهم عدلى عذبتهم وقال عبدالله بن عمر من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه محيت عنه فى أم الكتاب (ويروى) أن نبياً من الأنبياء أذنب فأوحى الله اليه وعزتى لئن عدت لأعذبنك فقال يارب أنت أنت وأنا أنا وعزتك إن لم تعصمنى لأعودن فعصمه الله تعالى (ويروى) أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت اليه فرأى عينه تذرفان فقال ان للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لايغلق فاعمل ولا تيأس (ويروى) أنه كان فى بنى إسرائيل شاب عبدالله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر فى المرآة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك فقال الهى أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك أتقبلنى فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصه أحببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك وان رجعت الينا قبلناك (وروى) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال اذا تاب العبد تاب الله عليه وأنسى الحفظة ما كانوا كتبوا من مساوى عمله وأنسى جوارحه ما عملت من الخطايا وأنسى مكانه من الأرض ومقامه من السماء ليجىء يوم القيامة وليس شىء من الخلق يشهد عليه (وروى) عن على كرم الله وجهه عن النبى ﷺ أنه قال مكتوب حول العرش قبل أن يخلق الخلق باربعة آلاف عام وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى (واعلم) أن التوبة فرض عين من الذنوب الكبائر والصغائر فورا فان الاصرار على الصغائر يلحقها بالكبائر قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية والتوبة النصوح أن يتوب العبد ظاهرا وباطنا نادما غير عازم على العود ومثل من تاب ظاهرا فقط كمثل مزبلة بسط عليها ديباج والناس ينظرون اليها ويتعجبون منها فاذا كشف عنها الغطاء أعرضوا عنها فكذلك الخلق ينظرون الى أهل الطاعة الظاهرة فاذا كشف الغطاء يوم القيامة يوم تبلى السرائر أعرضت الملائكة عنهم ولذا قال ﷺ ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم

وعن ابن عباس رضي الله عنهما كم من تائب يجيء يوم القيامة يظن أنه تائب وليس بتائب أي لأنه لم يحكم أبواب التوبة من الندم والعزم على عدم العود ورد المظالم لأربابها ان أمكن واستحلالهم منها ان تيسر والا أكثر من الاستغفار له ولهم عسى الله يرضيهم عنه ونسيان الذنب من أقبح المصائب فعلى العاقل أن يحاسب نفسه ولا ينسى ذنبه كما قيل

يا أيها المذنب المحصى جرائمه لاتنس ذنبك واذكر منه ماسلفا
وتب الى الله قبل الموت وانزجرا ياعاصيا واعترف ان كنت معترفا

(وروى الفقيه أبو الليث) بسنده قال دخل عمر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ باكيا فقال رسول الله ﷺ ما يبكيك يا عمر فقال يارسول الله بالباب شاب قد احرق فؤادي وهو يبكي فقال له رسول الله ﷺ أدخله يا عمر قال فدخل وهو يبكي فقال له رسول الله ﷺ ما يبكيك ياشاب قال يارسول الله أبكتني ذنوب كثيرة وخفت من جبار غضبان على فقال رسول الله ﷺ أشركت بالله شيئا قال لا قال أقتلت نفسا بغير حق قال لا قال فان الله يغفر ذنبك ولو كان مثل السموات السبع والأرضين والجبال قال يارسول الله ذنبي أعظم من ذلك قال ذنبك أعظم أم الكرسي قال ذنبي أعظم يارسول الله قال ذنبك أعظم أم العرش قال ذنبي أعظم قال ذنبك أعظم أم إلهك يعني عفو الله قال بل أعظم وأجل قال فانه لا يغفر الذنب العظيم الا الرب العظيم يعني عظيم التجاوز ثم قال له رسول الله ﷺ أخبرني عن ذنبك قال اني استحي منك يارسول الله قال بل اخبرني قال يارسول الله اني كنت أنبش القبور منذ سبع سنين حتى ماتت جارية من بنات الانصار فنبشت قبرها وأخذت كفنها ومضيت غير بعيد فغلب الشيطان على فرجعت فجامعتها ثم مضيت غير بعيد واذا بالجارية قامت وقالت ويلك ياشاب أما تستحي من ديان يأخذ للمظلوم من الظالم تركتني عريانة في عسكر الموتى واوقفتني جنبا بين يدي الله عز وجل قال فوثب رسول الله ﷺ وهو يدفع في قفاه ويقول يافاسق ما أحوجك الى النار أخرج عني فخرج الشاب تائبا الى الله تعالى أربعين ليلة فلما تم له أربعون ليلة رفع رأسه الى السماء وقال يا إله محمد وآدم وابراهيم ان كنت غفرت لي فاعلم محمدا وأصحابه ﷺ والا فارسل نارا من السماء وأحرقني بها ونجني من عذاب الآخرة قال فهبط جبريل على النبي ﷺ وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك أنت خلقت الخلق فقال بل هو الذي خلقني وخلقهم ورزقني ورزقهم قال جبريل عليه السلام يقول لك الله تعالى اني

تبت على الشاب فدعا النبي ﷺ الشاب و بشره بان الله تعالى تاب عليه (وحكى) أنه كان فى زمن موسى عليه السلام لا يستقيم على التوبة كلما تاب افسد فمكث على ذلك عشرين سنة فاوحى الله تعالى الى موسى قل لعبدى فلان انى غضبت عليه فبلغ موسى عليه السلام الرسالة الى ذلك الرجل فحزن وذهب الى الصحراء قائلا إلهى أنفدت رحمتك أم ضرتك معصيتى أم نفدت خزائن عفوك أم بخلت على عبادك أى ذنب أعظم من عفوك والكرم من صفاتك القديمة واللؤم من صفاتى الحادثة أفتغلب صفتى صفتك واذا حجبت عبادك عن رحمتك فمن يرجون وان طردتهم فالى من يقصدون إلهى ان كانت رحمتك قد نفدت وكان لا بد من عذابى فاحمل على جميع عذاب عبادك فانى قد فديتهم بنفسى فقال الله تعالى ياموسى اذهب اليه وقل له لو كانت ذنوبك ملء الأرض لغفرتها لك بعد ما عرفتنى بكمال القدرة والعفو والرحمة وقال ﷺ ما من صوت أحب الى الله من صوت عبد مذنب تائب يقول يارب فيقول الرب لبيك ياعبدى سل ما تريد أنت عندى كبعض ملائكتى أنا عن يمينك وعن شمالك وفوقك وقريب من ضمير قلبك اشهدوا ياملائكتى انى قد غفرت له (قال ذو النون المصرى) رحمه الله ان لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتلذذوا من غير عى ولا بكم وأنهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم فى الملكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرأوا صحيفة الخطايا فاورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الطرق للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم فى العلا حتى أناخوا فى رياض النعيم وخاضوا فى بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا برياح النجاة فى بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة .

(الباب الثامن عشر فى فضل الترحم)

قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة الا رحيم قالوا يارسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم من يرحم نفسه خاصة ولكن الرحيم من يرحم نفسه وغيره ومعنى رحمته لنفسه أن يرحمها من عذاب الله بترك المعاصى والتوبة منها وفعل الطاعات والاخلاص فيها

ومعنى رحمته لغيره أن لا يسعى فى أذية المسلم قال عليه الصلاة والسلام المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ويرحم البهائم فلا يكلفها ما لا تطيق فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشى فى الطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل بها وشرب ثم طلع فاذا كلب يلهث من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى فملا حفنة ماء ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله تعالى فغفر له قالوا يا رسول الله أن لنا فى البهائم لأجرا قال فى كل ذات كبد رطبة أجر وعن أنس بن مالك قال بينما عمر رضى الله عنه نعس ذات ليلة اذ مر برفقة قد نزلت فخشى عليهم السرقة فلقى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقال ما الذي جاء بك فى هذه الساعة يا أمير المؤمنين قال مررت برفقة قد نزلت فحدثتنى نفسي أنهم اذا ياتوا ناموا فخشيت عليهم السارق فانطلق بنا نحرسهم قال فانطلقا فقعدا قريبا من الرفقة يحرسان حتى اذا طلع الفجر نادى عمر رضى الله عنه يا أهل الرفقة الصلاة حتى اذا رآهم تحركوا انصرف فعلينا أن نقتدى بالصحابة رضى الله عنهم فقد مدحهم الله تعالى بقوله رحماء بينهم وكانوا رحماء على المسلمين وعلى جميع الخلق وكانوا يرحمون أهل الذمة فقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه رأى رجلا من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس وهو شيخ كبير فقال له عمر رضى الله عنه ما أنصفناك أخذنا منك الجزية ما دمت شابا ثم ضيعناك اليوم وأمر بأن يجرى عليه قوته من بيت مال المسلمين (وروى) عن على رضى الله عنه قال رأيت عمر رضى الله عنه على قتب وهو يغدو ابالا بطح فقلت له يا أمير المؤمنين اين تصير قال بعير ند من الصدقة فانا أطلبه فقلت له لقد اذللت الخلفاء من بعدك فقال لا تلمنى يا أبا الحسن فوالذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة لو أن عناقا ذهب بشاطىء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة لأنه لا حرمة لوال ضيع المسلمين ولا لفاسق روع المؤمنين وعن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بدلاء أمتى لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام ولكن يدخلونها بسلامة الصدور وسخاء النفوس والرحمة لجميع المسلمين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له وقال مالك بن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تعود مريضهم وأن تحب تائبهم وروى أن موسى عليه السلام قال يارب باى شىء اتخذتنى صفيا قال برحمتك على خلقى وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه كان يتبع الصبيان فيشترى منهم العصافير فيرسلها

و يقول اذهبي فعيشي و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في تراحمهم و توادهم و تواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى و السهر (حكاية) مر عابد من بني اسرائيل على كثيب من رمل و قد أصابت بني اسرائيل مجاعة عظيمة فتمنى في نفسه أن هذا لو كان دقيقا لأشبع به بني اسرائيل فأوحى الله الى نبي اسرائيل أن قل لفلان أن الله تعالى قد أوجب لك من الأجر ما لو كان دقيقا و أشبعت به الناس و لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله (حكي) أن عيسى عليه السلام خرج يوما فلقي إبليس و بيده عسل و في الأخرى رماد فقال ما تفعل يا عدو الله بهذا العسل و الرماد قال أما العسل فاجعله على شفاه المغتابين حتى يبلغوا امنها و أما الرماد فاضعه على وجه اليتامى حتى يبغضهم الناس و قال صلى الله عليه وسلم ان اليتيم إذا ضرب اهتز عرش الرحمن لبكائه فيقول الله عز وجل يا ملائكتي من ابكى هذا الصبي الذي غيبت أباه في التراب و قال صلى الله عليه وسلم من آوى يتيما الى طعامه و شرابه أوجب الله له الجنة و في روضة العلماء كان ابراهيم عليه السلام إذا أراد أن يأكل طعاما مشى الميل و الميلين يطلب من يأكل معه و بكى على كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك قال لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام فأخاف أن يكون الله قد اهانني و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطعم جائعا يريد به وجه الله وجبت له الجنة و من منع الطعام عن الجائع منع الله عنه فضله يوم القيامة و عذبه في النار و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار و البخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار و قال صلى الله عليه وسلم الجاهل السخي أحب الى الله من العابد البخيل و قال صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة يدخل الجنة أربعة بغير حساب العالم الذي يعمل بعلمه و من حج و لم يرفث و لم يفسق حتى مات و الشهيد الذي قتل في المعركة لاعلاء كلمة الاسلام و السخي الذي اكتسب مالا من الحلال و أنفقه في سبيل الله بغير رياء فهؤلاء ينازع بعضهم بعضا أيهم يدخل الجنة أولا و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه و حولها الى غيره و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الأرض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة و عن جابر رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال الصبر و السماحة و روى المقدم بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام و افشاء السلام و حسن الكلام

(الباب التاسع عشر فى بيان الخشوع فى الصلاة)

جاء فى الخبر أن جبريل عليه السلام جاء يوما الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله كنت رأيت ملكا فى السماء على سرير وحوله سبعون ألف ملك صفوفا يخدمونه وكل نفس يتنفس ذلك الملك يخلق الله من نفسه ملكا والآن رأيت ذلك الملك على جبل قاف منكسر الجناح وهو يبكى فلما رآنى قال أتشفع لى قلت ما جرمك قال كنت على السرير ليلة المعراج فمر بى محمد صلى الله عليه وسلم فما قمت له فعاقبنى الله بهذه العقوبة وجعلنى فى هذا المكان كما ترى قال فتضرعت الى الله فشفعت له فقال الله تعالى يا جبريل قل له حتى يصلى على محمد فصلى ذلك الملك عليك فعفا الله عنه وأنبت جناحيه (اعلم) أنه ورد أن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت اليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى وقال يزيد الرقاشى كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من أمتى ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وأن ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض وأشار الى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيامة الى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى ومن صلى صلاة لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهى سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتنى حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال صلى الله عليه وسلم أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته وقال ابن مسعود رضى الله عنه الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم ما قال الله ويل للمطففين وقال بعض العلماء مثل المصلى مثل التاجر الذى لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلى لا تقبل له نافلة حتى يؤدى الفريضة وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول اذا حضرت الصلاة قوموا الى ناركم التى أوقدتموها فاطفؤها وقال صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم وليس له من قيامه الا التعب والنصب وما أراد به الغافل وقال صلى الله عليه وسلم ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها وقال أهل المعرفة الصلاة أربعة أشياء الشروع مع العلم والقيام مع الحياء والاداء مع التعظيم

والخروج مع الخوف وقال بعض المشايخ من لم يجتمع قلبه على الحقيقة فسدت صلاته وقال رسول الله ﷺ في الجنة نهر يقال له الأفيح فيه جوارى خلقهن الله من الزعفران يلعبن بالدر والياقوت يسبحن الله بسبعين ألف لغة أصواتهن أطيب من صوت داود عليه السلام ويقلن نحن لمن صلى صلاته بالخشوع والحضور فيقول الله تعالى لاسكننه دارى ولأجعلنه من زوارى (وروى) أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ياموسى إذا ذكرتنى فاذكرنى وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكرى خاشعا مطمئنا وإذا ذكرتنى فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا أقمت بين يدى فقم قيام العبد الذليل وناجنى بقلب وجل ولسان صادق (وروى) أن الله تعالى أوحى اليه قل لعصاة أمتك لا يذكرونى فانى آليت على نفسى أن من ذكرنى ذكرته فاذا ذكرونى ذكرتهم باللعنة هذا فى عاص غير غافل فى ذكره فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان وقال بعض الصحابة رضى الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة ورأى النبى ﷺ رجلا يعبث بلحيته فى صلاته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقال من لم يخشع قلبه ردت صلاته واعلم أن الله مدح الخاشعين المتواضعين فى الصلاة فى غير آية فقال فى صلاتهم خاشعون على صلواتهم يحافظون على صلاتهم دائمون قيل ان المصلين كثير والخاشعين فى الصلاة قليل والحاج كثير والبار قليل والطير كثير والعندليب قليل والعالم كثير والعامل قليل والصلاة محل الخضوع ومعدن التواضع والخشوع وهذا علامة القبول فان للجواز شرطا وللقبول شرطا فشرط الجواز أداء فرضها وشرط القبول الخشوع قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون. الآية والتقوى قال الله تعالى إنما يتقبل الله تعالى من المتقين وقال ﷺ من صلى ركعتين مقبلا فيهما على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه واعلم أنه لا يلهى عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغلة فلا بد من دفعها ودفعها قد يكون بالصلاة فى مظلم أو خال عن الشواغل من الأصوات والفرش المنقوشة والتجرد عن الملابس المزينة بحيث تلهيه إذا نظر اليها فى الصلاة كما روى أنه ﷺ لما لبس الخميصة التى أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال اذهبوا بها الى أبى جهم فانها ألهتنى آنفا عن صلاتى وأمر ﷺ بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه فى صلاته إذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان ﷺ فى يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلنى

هذا نظرة اليه ونظرة اليكم (وروى) أن أبا طلحة صلى فى حائط له فيه شجرة فأعجبه دبسى طار فى الشجرة يلتمس مخرجا فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله ﷺ ما أصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه كيف شئت (وعن رجل آخر) أنه صلى فى حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليها فأعجبته ولم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان رضى الله عنه وقال هو صدقة فاجعله فى سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفا وقال بعض السلف أربعة فى الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك قال ﷺ إن الله عز وجل مقبل على المصلى ما لم يلتفت وكان الصديق رضى الله عنه فى صلاته كأنه وتد وكان يسكن فى ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يقتضاه بين يدى ملك الملوك (وفى التوارة) مكتوب يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدى مصليا باكيا فانا الله الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورى وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال على المنبر أن الرجل ليشيب عارضاه فى الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها ولا تواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها وسئل أبو العالية عن قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذى يسهو فى صلاته فلا يدرى على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر وقال الحسن هو الذى يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج وقال ﷺ قال الله تعالى لا ينجو منى عبدى إلا باداء ما افترضته عليه

﴿الباب العشرون فى بيان الغيبة والنميمة﴾

اعلم أن الله سبحانه وتعالى نص على ذم الغيبة فى كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة وقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال ﷺ كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وقال ﷺ إياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزنى ويتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يعفوا له صاحبها وقال مثل من يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا فهو يرمى بها يمينا وشمالا فهو يرمى بحسناته كذلك وقال ﷺ من رمى أخاه بغيبة يريد بها شينه أوقفه الله تعالى على جسر جهنم يوم القيامة حتى يخرج مما قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيبة ذكرك أخاك بما يكره أى سواء ذكرته بنقصان بدنه أو نسبه أو فعله أو قوله أو دينه أو دنياه حتى فى ثوبه وداره ودابته حتى ذكر بعض المتقدمين لو قلت أن فلانا ثوبه طويل أو قصير يكون ذلك غيبة فكيف ما يكره من نفسه (وروى) أن امرأة

قصيرة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم في بعض حاجاتها فلما خرجت قالت عائشة رضي الله عنها ما أقصرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتيها يا عائشة وقال صلى الله عليه وسلم إياكم والغيبة فإن فيها ثلاث آفات لا يستجاب لصاحبها دعاء ولا تقبل له حسنة وتتراكم عليه السيئات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذميم شر الناس يوم القيامة ذو وجهين النمام الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه من كان ذا وجهين في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يدخل الجنة نمام فإن قيل ما الحكمة في أن الله تعالى خلق كل مخلوق ذا لسان ناطق وغير ناطق وليس للسمك لسان أصلا فقيل لأن الله تعالى لما خلق آدم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا كلهم إلا إبليس فلعنه الله وأخرجه من الجنة ومسخه فأهبط إلى الأرض فجاء إلى البحار فأول ما رآه السمك فأخبره بخلق آدم وقال انه يصطاد ويأخذ دواب البحر والبر فبلغ السمك دواب البحر بخبر آدم فأذهب الله لسانه (حكي) عن عمرو بن دينار أنه قال كان رجل من أهل المدينة له أخت في ناحية المدينة فاشتكت فكان يأتيها يعودها ثم ماتت وجهزها وحملها إلى القبر فلما دفنت رجع إلى أهلها ثم ذكر أن له كيسا كان معه فضيعه في القبر فاستعان برجل من أصحابه فأتيا القبر فنبشاه فوجدا الكيس فقال للرجل تنح عني حتى أنظر على أي حال هي فرفع بعض ما على اللحد فإذا القبر يشتعل نارا فرجع إلى أمه فقال اخبريني على ما كانت أختي فقالت كانت أختك تأتي أبواب الجيران فتلقي أذنها إلى أبوابهم حتى تستمع الحديث لكي تمشي بالنميمة فعلم أن هذا سبب عذاب القبر فمن أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحترز من النميمة والغيبة (وحكي) عن أبي الليث البخاري أنه خرج حاجا فجعل في جيبه درهمين وحلف ان اغتبت أحدا في طريق مكة ذاهبا أو آيبا فلله علي أن أتصدق بهما فذهب إلى مكة ورجع إلى منزله والدرهمان في جيبه فقيل له في ذلك قال لان أزني مائة مرة أحب الي من أن أغتاب مرة واحدة قال أبو حفص الكبير لو لم أصم رمضان أحب الي من أن أغتاب إنسانا ثم قال من اغتاب فقيها جاء يوم القيامة مكتوبا على وجهه هذا آيس من رحمة الله وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم ويأكلون الجيفة فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس في الدنيا وقال الحسن رضي الله عنه والله للغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الأكلة في الجسد وقال أبو هريرة رضي الله عنه يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه (وروي) أن سلمان كان

في سفر مع أبي بكر وعمر وكان يطبخ لهما فنزلوا منزلا فلم يتهيأ أن يصلح لهم من الطعام فبعثاه الى النبي صلى الله عليه وسلم لينظر عنده شيئا من الطعام فلم يجد فرجع اليهما فقالا أنه لو ذهب الى بير كذا ليلبس ماؤها فنزلت هذه الآية ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل لحم أخيه في الدنيا قدم اليه لحمه يوم القيامة ويقال كله ميتا فانك أكلته حيا فيأكله ثم تلا قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا (وروى) عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أن ريح الغيبة كانت تبين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لقلتها وأما في هذه الازمان فقد كثرت الغيبة وامتلأت الأنوف منها فلا تتميز رائحتها ومثل ذلك كمثل رجل دخل دار الدباغين فلم يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة ونتنها وأهلها المقيمون فيها يأكلون الطعام ويشربون فيها ولا يتبين لهم تلك الرائحة المنتنة لأنها ملأت أنوفهم فكذلك أمر الغيبة في أيامنا هذه (قال كعب) رضي الله عنه قرأت في بعض الكتب أن من مات تائبا من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها كان أول من يدخل النار وقال الله تعالى ويل لكل همزة لمزة أي أشد العذاب الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في وجهك والآية نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين في وجوههم ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والغيبة فانها أشد من الزنا قالوا كيف تكون الغيبة أشد من الزنا قال ان الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يعفو عنه صاحبه فواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ليخرج من حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وقال صلى الله عليه وسلم من اغتاب أخاه المسلم حول الله وجهه الى دبره يوم القيامة وينبغي لصاحب الغيبة أن يستغفر الله تعالى قبل القيام من المجلس وقبل أن تصل الى المغتاب لأنه اذا تاب صاحب الغيبة قبل وصولها الى المغتاب تقبل توبته أما اذا بلغته فلا يرتفع عنه الاثم بالتوبة مالم يجعله في حل وكذلك إذا زنى بامرأة لها زوج فبلغه الخبر لا يرتفع بالتوبة مالم يجعله في حل وأما ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج فلا يرتفع بالتوبة الا بقضاء الفائت من ذلك والله أعلم

(الباب الحادي والعشرون في بيان الزكاة)

قال الله تعالى والذين هم للزكاة فاعلون يعني يؤدون وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال

رسول الله ﷺ ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا اذا كان يوم
القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهره أي
ويوسع جسمه لها كلها وإن كثرت كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين
ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله أما الى الجنة وأما الى النار الحديث وقال
تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب
أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا
ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقال رسول الله ﷺ ويل للأغنياء
من الفقراء يوم القيامة يقولون ظلمونا حقوقنا التي فرضت عليهم فيقول الله تعالى وعزتي
وجلالي لأدنينكم ولأباعدنهم ثم تلا رسول الله ﷺ عليهم والذين في أموالهم حق
معلوم للسائل والمحروم (وروى) أنه ﷺ مر ليلة أسرى به على قوم على أدبارهم رقاع
وعلى أقبالهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام الى الضريع والزقوم ورضف جهنم
قال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله
وما الله بظلام للعبيد (وحكى) أن جماعة من التابعين خرجوا لزيارة أبي سنان فلما دخلوا
عليه وجلسوا عنده قال قوموا بنا نزور جارا لنا مات أخوه ونعزيه فيه قال محمد بن يوسف
الفريابي فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه
فجعلنا نعزيه ونسليه وهو لا يقبل تسلية ولا عزاء فقلنا له أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه
قال بلى ولكن أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخي من العذاب فقلنا له قد أطلعك الله
على الغيب قال لا ولكن دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند
قبره واذا صوت من قبره يقول آه أفردوني وحيدا أقاسي العذاب قد كنت أصوم
قد كنت أصلي قال فأبكاني كلامه فنبشت التراب عنه لأنظر حاله واذا القبر يلتهب
عليه نارا وفي عنقه طوق من نار فحملتني شفقة الأخوة ومددت يدي لأرفع الطوق من
رقبته فاحترقت أصابعي ويدي ثم اخرج الينا يده فاذا هي سوداء محترقة قال فرددت
عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه فقلنا فما كان أخوك يعمل
في الدنيا قال كان لا يؤدي الزكاة من ماله قال فقلنا هذا تصديق قوله تعالى ولا يحسبن
الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به
يوم القيامة وأخوك عجل له العذاب في قبره الى يوم القيامة قال ثم خرجنا من عنده وآتينا

أباذر صاحب رسول الله ﷺ وذكرناله قضية الرجل وقلناله يموت اليهودى والنصرانى
ولا ترى فيهم ذلك فقال أولئك لاشك أنهم فى النار وانما يريكم الله فى أهل الايمان اتعتبروا
قال الله تعالى فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ وجاء فى الخبر عن النبى
ﷺ أنه قال مانع الزكاة عند الله بمنزلة اليهود والنصارى ومانع العشر عند الله تعالى بمنزلة
المجوس ومن يمنع الزكاة والعشر من ماله ملعون على لسان الملائكة والنبى ﷺ ولا
تقبل شهادته وقال طوبى له ان أدى الزكاة والعشر وطوبى لمن ليس عليه عذاب الزكاة
وعذاب يوم القيامة ومن أدى الزكاة من ماله رفع الله عنه عذاب القبر وحرم الله لحمه على
النار وأوجبت له الجنة بغير حساب ولا يصله عطش يوم القيامة

﴿ الباب الثانى والعشرون فى بيان الزنا ﴾

قال الله سبحانه وتعالى والذين هم لفروجهم حافظون أى عن الفواحش وعما لا يحل لهم كما
قال الله تعالى فى آية أخرى ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن يعنى ما كبر وهو
الزنا وما صغر وهو القبلة واللمس والنظر كما جاء فى الخبر عن سيد البشر ﷺ أنه قال
اليدان تزنيان والرجلان تزنيان والعينان تزنيان قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من
أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم الآية قد أمر الله تعالى الرجال والنساء بغض
البصر عن الحرام وبحفظ الفرج عن الحرام وقد حرم الله الزنا فى آيات كثيرة قال الله تعالى
ومن يفعل ذلك يلق أثاما يعنى عقابا فى النار ويقال واديا فى النار ويقال جب فى النار اذا
فتح فمه صاح أهل جهنم من خبث رائحته (وروى) عن بعض الصحابة أنه قال إياكم والزنا
فان فيه ست خصال ثلاثة فى الدنيا وثلاثة فى الآخرة فاما التى فى الدنيا فنقصان الرزق وقطع
الأجل وسواد الوجه وأما التى فى الآخرة فغضب الله وشدة الحساب ودخول النار
(وروى) أن موسى عليه السلام قال يارب ما لمن زنا قال الله تعالى ألبسه درعا من النار
لو وضع على جبل شاهق لأصبح رمادا وورد أن امرأة فاجرة أحب الى إبليس من ألف
فاجر وفى المصابيح قال رسول الله ﷺ إذا زنى العبد خرج منه الايمان وكان فوق رأسه
كالظلة فاذا خرج من ذلك العمل رجع اليه الايمان وفى كتاب الاقناع قال النبى ﷺ
ما من ذنب أعظم عند الله من نطفة يضعها الرجل فى رحم من لا تحل له واللواط أشد من
الزنا لما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال من لاط لا يجد رائحة
الجنة وإن رائحتها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام (وحكى) أن عبد الله ابن عمر كان

جالساً على باب داره فرأى غلاماً جميلاً فدخل عبد الله داره هارباً وأغلق بابه فلما مكث ساعة
قال هل ذهبت هذه الفتنة أم لا فقالوا اذهبت فخرج من الدار فقيل له يا عبد الله ما فعل هذا
فى نفسك أسمعت فيه شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النظر اليهم حرام والكلام معهم حرام
ومجالستهم حرام قال القاضى الامام رحمه الله سمعت بعض المشايخ يقول أن مع كل امرأة
شيطانان ومع كل غلام ثمانية عشر شيطانا (وروى) من قبل غلاما بشهوة عذبه الله تعالى فى
النار خمسمائة عام ومن قبل امرأة بشهوة فكأنما زنى بسبعين بكرا ومن زنى بالبكر فكأنما
زنى بسبعين ألف ثيب وفى زرونق التفاسير قال الكلبى أن أول من عمل عمل قوم لوط إبليس
لعنه الله فتصور لهم فى صورة غلام أمرد جميل ثم دعاهم الى نفسه فنكحوه فصار ذلك عادة لهم
فى كل غريب فأرسل اليهم لوط عليه السلام فنهاهم عن ذلك ودعاهم الى عبادة الله وتوعدهم
على إصرار المعصية بعذاب الله فقالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين فسأل لوط
عليه السلام ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرنى على القوم المفسدين فأمر الله السماء أن
تمطر عليهم الحجارة مكتوب على كل حجر اسم من رمى به وهو معنى قوله مسومة عند ربك
أى معلمة أى عليها علامة فى خزائن الله وفى حكمه (وحكى) أن رجلا تاجراً من قوم لوط
كان بمكة فجاء حجر ليصيبه فى الحرم فقالت الملائكة للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل
فى حرم الله فرجع الحجر فوقف خارج الحرم أربعين يوما بين السماء والأرض حتى قضى
الرجل تجارته فلما خرج أصابه الحجر خارجاً عن الحرم فأهلكه وكان لوط قد أخرج
امرأته معه ونهى من تبعه أن لا يلتفت خلفه إلا امرأة لوط فانها لما سمعت هذا العذاب
التفتت وقالت واقوماه فادركها حجر فوقع على رأسها فقتلها قال مجاهد لما أصبحوا غدا
جبريل على قريتهم وقلعها من أركانها ثم أدخل جناحه ثم حملها على خوافى جناحه بما فيها ثم
صعد بها الى السماء حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها فكان أول
ما سقط منها سرادقها فلم يصب قوما ما أصابهم ثم إن الله طمس على أعينهم ثم قلبت قريتهم
وهى خمس مدائن أكبرها سدوم وهى المؤتفكات المذكورة فى سورة براءة يقال كان فيها
أربعة آلاف ألف

﴿الباب الثالث والعشرون فى صلة الرحم وحقوق الوالدين﴾

قال تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها وقال
تعالى فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم

الله فاصمهم وأعمى أبصارهم وقال تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك هم الخاسرون وقال تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذاك لك ثم قال رسول الله ﷺ اقرؤا ما تيسر إن شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم والترمذى وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد عن أبى بكر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من ذنب أجدر أى أحق أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مايدخر له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم والشيخان لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان يعنى قاطع رحم وأحمد بسند رواته ثقات أن أعمال بنى آدم تعرض كل خميس وليلة جمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم والبيهقى أنه أتانى جبريل عليه السلام فقال هذه ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب لا ينظر الله فيها الى مشرك ولا الى مشاحن ولا الى قاطع رحم ولا الى مسبل أى إزاره خيلاء ولا الى عاق لوالديه ولا إلى مدمن خمر الحديث وابن حبان وغيره ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر وأحمد مختصراً وابن أبى الدنيا والبيهقى يبيت قوم من هذه الأمة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحوا قد مسخوا قردة وخنازير وليصيبنهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة ببنى فلان وخسف الليلة بدار فلان خواص ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور ولترسلن عليهم الريح العقيم التى أهلكت عاداً على قبائل فيها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم وخصلة نسيها جعفر والطبرانى فى الأوسط عن جابر رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فانه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم وإياكم والبغى فانه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغى وإياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا

شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء إنما الكبرياء لله رب العالمين والأصبهانى كنا جلوساً
عند رسول الله ﷺ فقال لا يجالسنا اليوم قاطع رحم فقام فتى من الحلقة فأتى خالة له قد
كان بينهما بعض الشيء فاستغفر لها فاستغفرت له ثم عاد الى المجلس فقال النبي ﷺ ان
الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم وهذا مؤيد لما روى ان أبا هريرة رضى الله عنه كان
يحدث عن رسول الله ﷺ فقال أحرج على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا فقام شاب
الى عمة له قد صارمها منذ سنين فصالحها فسألته عن السبب فذكره لها فقالت ارجع واسأله
لم ذاك فرجع فسأله فقال لأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الرحمة لا تنزل على قوم
فيهم قاطع رحم والطبرانى إن الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم والطبرانى بسند
صحيح عن الأعمش قال كان ابن مسعود رضى الله عنه جالساً بعد الصبح فى حلقة فقال أنشد
الله قاطع رحم لما قام عنا فانا نريد أن ندعو ربنا وأن أبواب السماء مرتجة أى بضم ففتح
والجيم مخففة مغلقة دون قاطع رحم والشيخان الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني
وصله الله ومن قطعني قطعه الله وأبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح واعترض
تصحيحه بأنه منقطع ورواية وصله قال البخارى خطأ عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه
قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم
وشققت لها اسماً من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أو قال بتته أى قطعته وأحمد
باسناد صحيح ان من أربى الربا الاستالة فى عرض المسلم بغير حق وان هذه الرحم شجنة من
من الرحمن عز وجل فمن قطعها حرم الله عليه الجنة وأحمد باسناد جيد قوى وابن حبان
فى صحيحه أن الرحم شجنة من الرحمن تقول يارب إنى قطعت يارب إنى أسيء إلى يارب
إنى ظلمت يارب يارب فيجيبها الى أن ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك
والشجنة بكسر أوله المعجم وضمه وإسكان الجيم القرابة المشتبكة كاشتباك العروق
ومعنى من الرحمن أى مشتق لفظها من لفظ اسمه الرحمن كما يأتى فى الحديث على الأثر والبزار
باسناد حسن الرحم حجنة متمسكة بالعرش تكلم بلسان ذلق اللهم صل من وصلنى واقطع
من قطعنى فيقول الله تبارك وتعالى أنا الرحمن الرحيم وإنى شققت الرحم من اسمى فمن
وصلها وصلته ومن بتكها بتكته الحجنة بفتح الحاء المهملة والجيم وتخفيف النون صنارة
المغزل أي الحديدة العقفاء التي يعلق بها الخيط ثم يفتل الغزل والبتك القطع والبزار
ثلاث متعلقات بالعرش الرحم تقول اللهم إنى بك فلا أقطع والأمانة تقول اللهم إنى بك

فلا أخان والنعمة تقول اللهم إنى بك فلا أكفر والبزار واللفظ له البيهقى الطابع معلق بقائمة العرش فاذا اشتكت الرحم وعمل بالمعاصى واجترئ على الله تعالى بعث الله الطابع فيطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيئا وأخرج الشيخان من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت وأخرجا أيضاً من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ أى يؤخر وهو بضم أوله وتشديد ثالثه المهمل وبالهمزة له فى أثره أى أجله فليصل رحمه وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من سره أن يبسط له فى رزقه أو ينسأ له فى أثره فليصل رحمه رواه البخارى والترمذى ولفظه قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة فى الأهل مثراة فى المال منسأة فى الأثر أى بها الزيادة فى العمل وعبد الله بن الامام أحمد فى زوائد المسند والبزار باسناد جيد والحاكم من سره أن يمد له فى عمره ويوسع له فى رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه والبزار باسناد لا بأس به والحاكم وصححه أنه ﷺ قال مكتوب فى التوراة من أحب أن يزاد فى عمره وفى رزقه فليصل رحمه وأبو يعلى أن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما فى العمر ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحذور وأبو يعلى باسناد جيد عن رجل من خثعم قال أتيت النبي ﷺ وهو فى نفر من أصحابه فقلت أنت الذى تزعم أنك رسول الله قال نعم قال قلت يا رسول الله أى الأعمال أحب الى الله قال الايمان بالله قلت يا رسول الله ثم مه قال ثم صلة الرحم قلت يا رسول الله أى الأعمال أبغض الى الله قال الاشراك بالله قلت يا رسول الله ثم مه قال ثم قطيعة الرحم قلت يا رسول الله ثم مه قال ثم الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف والبخارى ومسلم واللفظ له عرض أعرابى لرسول الله ﷺ وهو فى سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال يا رسول الله أو يا محمد أخبرنى بما يقربنى من الجنة ويباعدنى من النار فكف النبى ﷺ ثم نظر فى أصحابه ثم قال لقد وفق هذا أو لقد هدى قال كيف قلت فأعادها فقال النبى ﷺ تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم دع الناقة وفى رواية وتصل ذا رحمك فلما أدبر قال رسول الله ﷺ إن تمسك بما أمرته به دخل الجنة والطبرانى باسناد حسن ان الله ليعمر بالقوم الديار ويثمر لهم الأموال وما نظر اليهم منذ خلقهم بغضا لهم قيل وكيف ذاك يا رسول الله قال بصلتهم أرحامهم وأحمد بسند رواته ثقات إلا أن فيه انقطاعا إنه من

أعطي الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يعمران الديار ويزدن الأعمار وأبو الشيخ وابن حبان والبيهقي يارسول الله من خير الناس قال أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر والطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له عن أبي ذر رضي الله عنه قال أوصاني خليلي ﷺ بخصال من الخير أوصاني أن لا أنظر الى من هو فوقي وأن أنظر الى من هو دوني وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم وأوصاني أن أقول الحق وان كان مرا وأوصاني أن أكثر من لاحول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة والشيخان وغيرهما عن ميمونة رضي الله عنها أنها أعتقت وليدة لها ولم تستأذن النبي ﷺ فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت يارسول الله أني أعتقت وليدتي قال أوفعلت فقالت نعم قال أما أنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك وابن حبان والحاكم أتى النبي ﷺ رجل فقال إني أذنبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة قال هل لك من أم قال لا قال وهل لك من خالة قال نعم قال فبرها والبخاري وغيره ليس الواصل بالمكافيء ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها والترمذي وقال حسن لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس حسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤا أن لا تظلموا والامعة بكسر ففتح وتشديد فمهملة هو الذي لا رأي له فهو يتبع كل واحد على رأيه ومسلم يارسول الله ان لي قرابة أصل ويقطعونني وأحسن اليهم ويسيئون إلي وأحلم عليهم ويجهلون علي فقال إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل أي بفتح وتشديد الرماد الحار ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك والطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم أفضل الصدقة صدقة على ذي الرحم الكاشح أي الذي يضمر عداوته في كشحه أي خصره كناية عن باطنه وهو معنى قوله ﷺ وتصل من قطعك والبزار والطبراني والحاكم وصححه واعترض بأن فيه واهيا ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته قالوا وما هي يارسول الله قال تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك فاذا فعلت ذلك يدخلك الجنة وأحمد باسنادين أحدهما رواته ثقات عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال لقيت رسول الله ﷺ فأخذت

يده فقلت يارسول الله أخبرنى بفواضل الأعمال فقال يا عقبة صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك زاد الحاكم ألا ومن أراد أن يمد فى عمره ويبسط فى رزقه فليصل رحمه والطبرانى بسند يحتج به ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وأن تعفو عمن ظلمك والطبرانى ان أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عمن شتمك والبزار ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات وفى رواية للطبرانى ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع به الدرجات قالوا نعم يارسول الله قال تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك وابن ماجه أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم واسرع الشر عقوبة البغى وقطيعة الرحم والطبرانى ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة مع قطيعة الرحم والخيانة والكذب وإن أعجل البر ثوابا لصلة الرحم حتى أن أهل البيت ليكونون فجرة فتنموا أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا

﴿الباب الرابع والعشرون فى بر الوالدين﴾

أخرج الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه قال سالت رسول الله ﷺ أى العمل أحب إلى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله ومسلم وغيره لا يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه ومسلم أقبل رجل الى رسول الله ﷺ فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله تعالى قال فهل من والديك أحد حى قال نعم بل كلاهما حى قال فتبتغى الأجر من الله قال نعم قال فارجع الى والديك فأحسن صحبتهما وأبو يعلى والطبرانى بسند جيد أتى رجل رسول الله ﷺ فقال إنى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقى من والديك أحد قال أمى قال فاسال الله فى برها فاذا فعلت ذلك فانت حاج ومعتمر ومجاهد والطبرانى يارسول الله إنى أريد الجهاد فى سبيل الله قال أمك حية قال نعم قال ﷺ الزم رجلها فثم الجنة وابن ماجه يارسول الله ما حق الوالدين على ولدهما قال هما جنتك ونارك وابن ماجه والنسائى واللفظ له والحاكم وصححه يارسول الله إنى أردت أن أغزو وقد جئت استشيرك فقال هل لك من أم قال نعم قال الزمها فان الجنة عند رجليها وفى رواية صحيحة ألك والدان قال نعم قال الزمهما فان الجنة تحت أرجلهما والترمذى وصححه عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رجلا أتاه فقال إن لى امرأة

وأن أمي تأمرني بطلاقها فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول الولد أوسط أبواب الجنة. فان شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه وابن حبان في صحيحه أن رجلاً أتى ابا الدرداء فقال ان ابي لم يزل بي حتى زوجني وأنه الآن يأمرني بطلاقها قال ما أنا بالذي أمرك ان تعق والديك ولا بالذي آمرك أن تطلق زوجتك غير أنك إن شئت حدثتك بما سمعت من رسول الله ﷺ سمعته يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ على ذلك ان شئت او دع قال واحسب عطاء. قال فطلقها وأصحاب السنن الاربعة وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسن صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان تحتي امرأة أحبها وكان عمر يكرهها فقال لي طلقها فأبيت فاتى عمر رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال لي رسول الله ﷺ طلقها واحمد بسند صحيح من سره ان يمد له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه طوبى له زاد الله في عمره وابن ماجه وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم وصححه ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وفي رواية للترمذي وقال حسن غريب لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر والحاكم وصححه عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباؤكم تبركم ابناؤكم ومن اتاه اخوه متنصلا فليقبل ذلك محقا كان او مبطلا فان لم يفعل لم يرد على الحوض والطبراني باسناد حسن بروا آباؤكم تبركم ابناؤكم وعفوا تعف نساؤكم ومسلم رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم انفه اي لصق بالرغام وهو التراب من الذل قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر او احدهما ثم لم يدخل الجنة او لا يدخلانه الجنة والطبراني باسانيد احدها حسن صعد النبي ﷺ المنبر فقال آمين آمين آمين ثم قال اتاني جبريل عليه السلام فقال يا محمد من أدرك احد ابويه ثم لم يبرهما فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين فقال يا محمد من ادرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فأدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين قال ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين ورواه ابن حبان في صحيحه الا انه قال فيه من ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين ورواه الحاكم وغيره وقال في آخره فلما رقيت الثالثة قال بعد من ادرك ابويه الكبر عنده او احدهما فلم يدخلاه الجنة قلت آمين ورواه الطبراني وفيه من ادرك والديه او احدهما فلم يبرهما دخل النار فابعده الله واسحقه قلت آمين واحمد من طرق احدها حسن من اعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار ومن ادرك احد والديه ثم لم يغفر له فأبعده الله زاد في رواية

واستحقه والشيخان يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك والشيخان عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت قدمت على أمي وهي راغبة عن الاسلام أوفيما عندي أفأصل امي قال نعم صل أمك وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم رضا الله في رضا الوالد أو قال الوالدين وسخط الله في سخط الوالد أو قال الوالدين وفي رواية الطبراني طاعة الله في طاعة الوالد أو قال الوالدين ومعصيته في معصية الوالد أو قال الوالدين وفي أخرى للبزار رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين وسخط الرب تبارك وتعالى في سخط الوالدين والترمذي واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما أتى النبي ﷺ رجل فقال إني أذنبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة قال هل لك من أم قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها وأبو داود وابن ماجه يارسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما أي الدعاء لهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما واكرام صديقهما ورواه ابن حبان في صحيحه بزيادة قال الرجل ما أكثر هذا يارسول الله وأطيبه قال فاعمل به ومسلم ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لقيه رجل من الاعراب بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه قال ابن دينار فقلنا أصلحك الله انهم الاعراب وهم يرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر ان أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب واني سمعت رسول الله ﷺ يقول ان أبر البر الصلة صلة الولد أهل ود أبيه وابن حبان في صحيحه عن أبي بردة رضي الله عنه قال قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال اتدري لم أتيتك قلت لا قال فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده وأنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وود فأحببت أن أصل ذلك وفي حديث الصحيحين وغيرهما المشهور بروايات متعددة ان ثلاثة نفر ممن كان قبلنا خرجوا يتماشون ويرتادون لأهليهم فأخذهم المطر حتى آووا الى غار في الجبل فانحدرت على فمه صخرة فسدته فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا بصالح أعمالكم وفي رواية فقال بعضهم لبعض أنظروا أعمالا عملتموها لله عز وجل صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها وفي أخرى فقال بعضهم لبعض عفا الاثر ووقع الحجر ولا يعلم بمكانكم الا الله فادعوا الله بأوثق أعمالكم فقال أحدهم اللهم انه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا

ولاناالاقاى بى طلب شجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدى انتظر استيقاظهما حتى برق ألفجر فاستيقظا فشرب غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من الصخرة ففرجت شيئا لا يستطيعون الخروج وفى رواية ولى صبية صغار كنت أرعى فاذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدى أسقيهما قبل ولدى وأنه نأى فى طلب شجرة يوما فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقعدت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية والصبية يتضاغون عند قدمى فلم يزل ذلك دأبى ودأبهما حتى طلع الفجر فان كنت تعلم انى قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله لهم فرجة حتى رأوا منها السماء وذكر الآخر عفته عن الزنا بابنة عمه والآخر تنميته لمال أجير فانفرجت عنهم كلها وخرجوا يتماشون

﴿الباب الخامس والعشرون فى الزكاة والبخل﴾

قال الله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة سماهم المشركين وقال رسول الله ﷺ ما من أحد لا يؤدى زكاة ماله الا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع حتى يطوق به عنقه وقال رسول الله ﷺ يا معشر المهاجرين خمس خصال ان ابتليتم بهن ونزلت بكم اعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الاوجاع التى لم تكن فى اسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا المطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما فى أيديهم ومالم يحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل الله بأسهم بينهم وقال ﷺ ان الله يبغض البخيل فى حياته السخى عند موته وقال ﷺ خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق وقال ﷺ اقسم الله تعالى ان لا يدخل الجنة بخيل وقال ﷺ اياكم والبخل فان البخل دعا قوما فمنعوا زكاتهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم ودعاهم فسفكوا دماءهم وقال ﷺ خلق الله اللؤم فحفه بالبخل والمال (وسئل) الحسن رضى الله عنه عن البخل قال هو ان يرى الرجل ما أنفقه تلفا وما أمسك شرفا وأصل البخل حب المال

وطول الامل وخوف الفقر وحب الولد ففي الحديث الولد مجبنة مبخلة ومن الناس من لايسمح بأداء زكاة ماله ولا بالاحسان الى نفسه وعياله وانما لذته ورغبته في رؤية دنانيره وكونها في قبضته وهو عالم أنه يموت وفي مثله يقول الشاعر

أأخي ان من الرجال بهيمة　　في صورة الرجل اللبيب المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله　　فاذا أصيب بدينه لم يشعر

وقال آخر

البخل داء دوى لايليق بذي　　مروءة ولا عقل ولا دين
من آثر البخل عن وفر وعن جدة　　فقد لعمري أضحى وهو مغبون
يابؤس من منع الدارين حقهما　　فباع دنياه بعد الدين بالدون

(وقال آخر)

اذا المال لم ينفع صديقا ولم يصب　　قريبا ولم يجبر به حال معدم
فعقباه أن تحتازه كف وارث　　وللباخل الموروث عقبى التندم

وقال بشر لقاء البخيل كرب والنظر اليه يقسي القلب وكانت العرب تتعاير بالبخل والجبن وقال الشاعر

أنفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت　　على العباد من الرحمن أرزاق
لاينفع البخل مع دنيا مولية　　ولا يضر مع الاقبال انفاق

(وقال آخر)

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى　　بخيلا له في العالمين خليل
واني رأيت البخل يزري بأهله　　فأكرمت نفسي أن يقال بخيل

وكفى بالبخيل خسة أن يجمع لغيره ويحتمل معرة ضيره ولا ينال لذة وفره وخيره وفي مثله يقول وكيع

لئيم لايزال يلم وفرا　　لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو　　فريسته ليأكلها سواه

وفي الحكم المنثورة بشر مال البخيل بحادث أو وارث قال أبو حنيفة رحمه الله لا أرى ان أعدل بخيلا لان البخيل يحمله على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه من أن يغبن فمن كان هذا لا يكون مأمون الامانة ولقي يحيي عليه السلام ابليس فقال له يا ابليس أخبرني

يا حب الناس اليك وأبغض الناس اليك قال أحب الناس الى المؤمن البخيل وأبغض الناس إلى الفاسق السخي قال لماذا قال لأن البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه فى سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما أخبرتك

﴿ الباب السادس والعشرون فى طول الأمل ﴾

قال عليه الصلاة والسلام أخوف ما أخاف عليكم اثنتان طول الأمل واتباع الهوى وأن طول الأمل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق وقال صلى الله عليه وسلم أنا زعيم لثلاثة بثلاثة للمكب على الدنيا والحريص عليها والشحيح بها بفقر لا غنى بعده وشغل لا فراغ منه وهم لا فرح معه وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه أشرف على أهل حمص فقال الا تستحيون تبنون ما لا تسكنون وتأملون ما لا تدركون وتجمعون ما لا تأكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا وجمعوا كثيرا وأملوا بعيدا فاصبحت مساكنهم قبورا وآمالهم غرورا وجمعهم بورا وقال على بن أبى طالب لعمر رضى الله عنهما اذا أردت أن تلقى صاحبيك فارقع قميصك واخصف نعلك وأقصر أملك وكل دون الشبع (وأوصى) آدم ابنه شيثا عليهما السلام بخمسة أشياء وأمره أن يوصى بها أولاده من بعده أولها قال له قل لأولادك لا تطمئنوا الى الدنيا فانى اطمأننت بالجنة الباقية فاخرجنى الله منها والثانى قل لهم لا تعملوا بهوى نسائكم فانى عملت بهوى امرأتى وأكلت من الشجرة فلحقتنى الندامة والثالث قل لهم كل عمل تريدونه فانظروا عاقبته فانى لو نظرت عاقبة الامر لم يصبنى ما أصابنى والرابع اذا اضطربت قلوبكم بشىء فاجتنبوه فانى حين أكلت من الشجرة اضطرب قلبى فلم ارجع فلحقنى الندم والخامس استشيروا فى الأمور فانى لو شاورت الملائكة لم يصبنى ما أصابنى وقال مجاهد قال لى عبد الله ابن عمر اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك قبل موتك ومن صحتك قبل سقمك فانك لا تدرى ما اسمك غدا وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه أتريد كلكم أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا الأمل واستحيوا من الله حق الحياء قالوا كلنا نستحى من الله تعالى قال ليس ذلك بالحياء من الله تعالى أن تذكروا المقابر والبلى وتحفظوا الجوف وما وعى والرأس وما حوى ومن يشتهى كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا فهنالك استحياء العبد من الله حق الحياء وبها يصيب العبد ولاية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم أول صلاح هذه الأمة بالزهد واليقين وهلاك آخرها بالبخل والأمل

(وروى) عن أم المنذر أنها قالت اطلع رسول الله ﷺ ذات عشية الى الناس فقال أيها الناس أما تستحيون من الله قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون وتبنون مالا تسكنون وعن أبي سعيد الخدري قال اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله ﷺ يقول ألا تعجبون من أسامة المشتري الى شهر ان أسامة لطويل الأمل والذي نفسي بيده ماطرفت عيناي الا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت أني لا أسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول له يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا أبلغه وروى أنه ﷺ أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه وأما الثالث فابعده فقال هل تدرون ماهذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان وهذا الأجل وذاك الأمل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الأجل دون الأمل (وقيل) بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الارض فقال عيسى اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم أردد عليه الأمل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي الى متى تعمل وأنت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي

﴿الباب السابع والعشرون في ملازمة الطاعه وترك الحرام﴾

معنى الطاعة القيام بفروض الله تعالى والاجتناب لمحارمه والوقوف عند حدوده قال مجاهد في قول الله عز وجل ولا تنس نصيبك من الدنيا هو أن يعمل العبد بطاعة الله تعالى واعلم أن أصل الطاعة العلم بالله والخوف من الله والرجاء في الله والمراقبة لله فاذا تجرد العبد عن هذه الخصال لم يدرك حقيقة الايمان لانه لا تصح الطاعة لله إلا بعد العلم به والايمان بوجوده خالقا عالما قادرا لا يحيط به علم ولا يتصوره وهم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير قال اعرابي لمحمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم هل رأيت الله حين عبدته قال لم أكن أعبد من لم أره قال كيف رأيته قال لم تره الابصار بمشاهدة العيان لكن رأته القلوب

بحقيقة الايمان لا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور فى القضيات ذلك الله لا إله الا هو رب الأرض والسموات فقال الاعرابى الله أعلم حيث يجعل رسالاته (سئل) بعض العارفين عن علم الباطن فقال هو سر من أسرار الله يقذفه فى قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا (روى) أن كعب الاحبار قال لو أن بنى آدم بلغوا من اليقين مثقال حبة من عظمة الله عز وجل لمشوا على الماء والريح اهـ فسبحان من جعل الاقرار بالعجز عن ادراك معرفته إيمانا كما جعل اقرار المنعم عليه بالعجز عن ادراك شكره شكرا قال محمود الوراق

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة … على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله … وان طالت الأيام واتصل العمر
إذا مس بالسراء عم سرورها … وان مس بالضراء أعقبها الأجر
وما منهما الا له فيه نعمة … تضيق لها الاوهام والبر والبحر

وإذا ثبت العلم بالربوبية تعين الاقرار بالعبودية وإذا تقرر الايمان فى القلب وجبت الطاعة للرب والايمان نوعان ظاهر وباطن فالظاهر النطق باللسان والباطن الاعتقاد بالقلب والمؤمنون متباينون فى منازل القرب متفاوتون فى درجات الطاعة والايمان جامع لهم بقدر حظ كل واحد منهم من الموهبة وتمكنه من علو المرتبة فى الاخلاص لله والتوكل عليه والرضا بحكمه فاما الاخلاص فان لا يطلب العبد بما يعمل جزاء من الخالق والله خلقكم وما تعملون فان كانت الطاعة رجاء للمثوبة وخوفا من العقوبة فذلك العبد لا يكون كامل الاخلاص فانه لنفسه سعى (روى) أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يكن أحدكم كالكلب السوء ان خاف عمل ولا كالأجير السوء ان لم يعط أجر لم يعمل وقال تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة وانما تعينت علينا عبادته ووجبت طاعته بما سبق له من الفضل علينا وتقدم له من الاحسان الينا فضلا عن كونه أمرنا بها ليرتب الجزاء عليها فضلا ويجازى من ضل عنها عدلا وأما التوكل فهو الاعتماد على الله سبحانه عند الحاجة والاستناد إليه مع الضرورة والثقة به عند النازلة مع سكون النفس وطمأنينة القلب فالمتوكلون على ربهم علموا أنه المقدر والاسباب تحت حكم الخالق المدبر لا يركنون لآباء ولا أبناء ولا لأموال ولا لصنائع بل صرفوا بهديه جميع الأمور اليه ولم يعتمدوا فى حال من

بالأحوال الاعليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وأما الرضافهو طيب النفس بما يجرى به المقدور وقال بعض العلماء أقرب الناس الى الله أرضاهم بما قسم لهم ومن كلام الحكماء رب مسرة هي الداء ومرض هو الشفاء كما قال

كم نعمة مطوية لك بين أنياب النوائب
ومسرة قد أقبلت من حيث ترتقب المصائب
فاصبر على حدثان دهـ ـرك فالأمور لها عواقب
ولكل كرب فرجة ولكل خالصة شوائب

وحسبنا قول الله عز وجل وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم (واعلم) أنه ان يستكمل العبد طاعة ربه الا برفض الدنيا في بعض الحكم ابلغ المواعظ مالم يحجبها عن القلب حاجب وهذه الحجب انما هي عوارض الدنيا ومن كلامهم الدنيا ساعة فاجعلها طاعة قال أبو الوليد الباجي

اذا كنت أعلم علما يقينا بأن جميع حياتي كساعة
فلم لا أكون ضنينا بها وأجعلها في صلاح وطاعة

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أكره الموت قال ألك مال قال نعم قال قدم مالك فان المرء عند ماله (وروى) عن عيسى عليه السلام أنه قال البر في ثلاثة في النطق والنظر والصمت فمن كان منطقه في غير ذكر الله فقد لغا ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته في غير فكر فقد لها وترك الدنيا يكون باطراح الفكرة في أحوالها وترك التمني لملذاتها فان الفكرة تبعث الارادة لتعلق النفس بالفكرة (وليحذر) من ارسال النظر فيما لا يحل فانه سهم صائب وسلطان غالب قال عليه الصلاة والسلام النظر سهم من سهام ابليس فمن تركها مخافة الله تعالى أعقبه ايمانا يجعل طعمه في قلبه. من كلام الحكماء من أطلق طرفه كثر أسفه ادمان النظر يكشف الخبر ويفضح البشر ويطول به المكث في سقر احفظ عينيك فانك ان اطلقتهما أوقعتاك في مكروه وان ملكتهما ملكت سائر جوارحك (قيل لافلاطون) أيهما أشد ضررا بالقلب السمع أم البصر قال هما للقلب كالجناحين للطائر لا يستقل الا بهما ولا ينهض الا بقوتهما وربما قص أحدهما فنهض بالآخر على تعب ومشقة وقال محمد بن ضوء كفى بالعبد نقصانا عند الله وضعة عند ذوي العقول أن ينظر الى كل ما يسنح له (رأى بعض الزهاد) رجلا يضحك الى غلام فقال له ياخرب العقل والقلب وياخرب الطرف أما تستحي من كرام كاتبين وملائكة حافظين

يحفظون الأفعال ويكتبون الاعمال وينظرون اليك ويشهدون عليك بالبلاء الظاهر والغل الدخيل المخامر الذى أقمت نفسك فيه مقام من لا يبالى من وقف عليه ونظر من الخلق اليه وللقاضى الارجانى

تمتعا ياناظرى بنظرة فأوردتما قلبى أشر الموارد
أعيناى كفا عن فؤادى فانه من البغي سعى اثنين فى قتل واحد

وقال على كرم الله وجهه العيون مصائد الشيطان والعين انفذ الجوارح سرعة وأشدها صرعة فمن اتبع جوارحه نفسه فى طاعة ربه فقد وصل أمله ومن اتبع جوارحه نفسه فى نيل لذته فقد أحبط عمله وأنشدوا

إذا ماصفت نفس المريد لطاعة ولما تشبها للمعاصي شوائب
واتبعها فعل الجوارح كلها فتلك عليه أنعم ومواهب
تلقنه فى دار الخلود كرامة اذاجب للعاصى سنام وغاربه

قال عبدالله بن المبارك أصل الايمان التصديق بما جاءت به الرسل فمن صدق القرآن خرج الى العمل به ونجا من الخلود فى النار ومن اجتنب المحارم خرج الى التوبة ومن أخذ القوت من حله خرج الى الورع ومن أدى الفرائض صح إسلامه ومن صدق لسانه سلم من التبعات ومن رد المظالم نجا من القصاص ومن أتى بالسنن زكت أعماله ومن أخلص لله قبل عمله (وروى) عن أبى الدرداء أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله أوصنى قال له اكتسب طيبا واعمل صالحا وسل الله رزق يوم ليوم وعد نفسك من الموتى وليحذر من الاعجاب بالعمل فانه من أعظم الآفات وأحبط للاعمال فان المعجب بعمله ممتن على ربه ومايدريه أقبل منه أم رد عليه رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا وليحذر أيضا من الرياء قيل فى قوله تعالى وبدا لهم من الرياء مالم يكونوا يحتسبون قيل عملوا أعمالا كانوا يرونها فى الدنيا من الحسنات فبدت لهم يوم القيامة من السيئات وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية قال ويل لأهل الرياء وقال أيضا فى قوله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أى لا يظهرها رياء ولا يخفيها حياء روى عن ابن مسعود أن آخر مانزل من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قال محمد بن بشير

مضى أمسك الأدنى شهيدا معدلا ويومك هذا بالفعال شهيد
فان تك بالامس اقترفت اساءة فثن باحسان وأنت حميد

ولا ترج فعل الخير منك إلى غد   لعل غداً يأتى وأنت فقيد
(وقال غيره) تعجل الذنب بما تشتهى   وتأمل التوبة فى قابل
والموت يأتى بعد ذا غفلة   ماذاك فعل الحازم العاقل

وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما نال وحسن الصبر على ما قد فات وفى بعض الحكم المنثورة من صبر على البلاء وصل إلى الوفاء قال

عليك بالصبر إن نابتك نائبة   من الزمان ولا تركن إلى الجزع
وإن تعرضت الدنيا بزينتها   فالصبر عنها دليل الخير والورع
فجاهد النفس قسراً فيهما أبداً   تلق الذى ترتجيه غير ممتنع

وقال آخر
الصبر مفتاح ما يرجى   ولم يزل دائما يعين
فاصبر وإن طالت الليالى   فربما ساعد الحزون
وربما نيل باصطبار   ماقيل هيهات لا يكون

وقال الآخر
الصبر أوثق عروة الايمان   وجنة من نزغة الشيطان
الصبر فيه عواقب محمودة   والطيش فيه عواقب الخسران
فاذا لقيت من الزمان ملمة   وكذاك فينا عادة الأزمان
فتدرع الصبر الجميل تيقنا   إن التصبر رائد الرضوان

والصبر له فروع صبر على الفرائض بالمواظبة عليها بكمالها فى أحب أوقاتها وصبر على النوافل وصبر على أذى الأصحاب والجار وصبر على الأمراض وصبر على الفقر والصبر عن المعاصى وعن الشهوات وعن الشبهات وعن فضول جميع جوارح البدن وغير ذلك

(الباب الثامن والعشرون فى بيان ذكر الموت)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كثروا من ذكر هازم اللذات معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة وإنما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافى عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك فى شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وإنما قال هذا لأن

الدنيا سجن المؤمن إذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت إطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة في حقه وقال ﷺ الموت كفارة لكل مسلم وأراد بهذا المسلم حقاً المؤمن صدقاً الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي إلا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر وإقامته الفرائض قال عطاء الخرساني مر رسول الله ﷺ بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ أكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال ﷺ كفى بالموت مفرقاً وقال عليه السلام كفى بالموت واعظاً وخرج رسول الله ﷺ الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وذكر عند رسول الله ﷺ رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال كيف ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر رضي الله عنهما أتيت النبي ﷺ عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس وأكرم الناس يارسول الله فقال أكثرهم ذكراً للموت وأشدهم استعداداً له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة وقال الحسن رحمه الله تعالى فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحاً وقال الربيع بن خيثم ما غائب ينتظره المؤمن خيراً له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي أحداً وسلوني الى ربي سلا (وكتب) بعض الحكماء الى رجل من إخوانه يا أخي احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة وقال إبراهيم التيمي شيآن قطعا عني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم إلا والهين وقال أشعث كنا ندخل على الحسن فانما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية رضي الله عنها أن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت أكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها

وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكى حتى تنخلع أوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط إلا أصبته من الموت حذرا عليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظنى فقال أنت أول خليفة تموت قال زدنى قال ليس من آبائك أحد الى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبرا فى داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة واحدة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة أكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال أبو سليمان الدارانى قلت لأم هرون أتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته (قال أبو موسى التيمى) توفيت امرأة الفرزدق خرج فى جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن رضى الله عنه فقال الحسن يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال

أخاف وراء القبر إن لم تعافنى ... أشد من القبر التهابا وأضيقا
إذا جاءنى يوم القيامة قائد ... عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى النار مغلوق القلادة أزرقا

وقد أنشد فى أهل القبور

قف بالقبور وقل على ساحاتها ... من منكم المغمور فى ظلماتها
ومن المكرم منكم فى قعرها ... قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذى العيون فواحد ... لا يستبين الفضل فى درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن ... تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل فى روضة ... يفضى إلى ماشاء من دوحاتها
والمجرم الطاغى بها متقلب ... فى حفرة يأوى الى حياتها
وعقارب تسعى اليه فروحه ... فى شدة التعذيب من لدغاتها

وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فأنشدت أقول

أتيت القبور فناديتها ... فاين المعظم والمحتقر

وأين المدل بسلطانه وأين المزكى إذاماافتخر

قال فنوديت من بينها أسمع صوتاً ولاأرى شخصاوهو يقول

تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر

تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور

فياسائلى عن أناس مضوا أما لك فيما ترى معتبر

(وجد مكتوب على قبر)

تناجيك أجداث وهن صموت وسكانها تحت التراب خفوت

أياجامع الدنيا لغير بلاغة لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

(وقال ابن السماك مررت على المقابر فاذا على قبر مكتوب)

يمر أقاربي جنباتْ قبرى كأن أقاربى لم يعرفونى

ذوو الميراث يقتسمون مالى وما يألون إن جحدوا ديونى

وقد أخذوا سهامهم وعاشوا فبالله أسرع ما نسونى

(ووجد على قبر مكتوباً)

إن الحبيب من الأحباب مختلس لايمنع الموت بواب ولاحرس

فكيف تفرح بالدنيا ولذتها يامن يعد عليه اللفظ والنفس

أصبحت ياغافلا فى النقص منغمسا وأنت دهرك فى اللذات منغمس

لايرحم الموت ذا جهل لغرته ولاالذى كان منه العلم يقتبس

كم أخرس الموت فى قبر وقفت به عن الجواب لسانا مابه خرس

قدكان قصرك معمورا له شرف فقبرك اليوم فى الأجداث مندرس

(ووجد على قبر مكتوبا)

وقفت على الأحبة حين صفت قبورهم كأفراس الرهان

فلما بكيت وفاض دمعى رأت عيناى بينهم مكانى

(ووجــد على قبر طبيب مكتوبا)

قد قلت لما قال لى قائل قد صار لقمان إلى رمسه

فاين من يوصف من طبه وحذقه فى الماء مع جسه

هيهات لايدفع عن غيره من كان لايدفع عن نفسه

(ووجد على قبر آخر مكتوبا)

يا أيها الناس كان لى أمل قصر بى عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل أمكنه فى حياته العمل
ما أنا وحدى نقلت حيث ترى كل الى مثله سينتقل

﴿ الباب التاسع والعشرون فى ذكر السموات والأجناس المختلفة ﴾

روى أول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بنظر الهيبة فذابت وارتعدت من خوف ربها فصارت ماء ثم نظر اليها بنظر الرحمة فجمد نصفها فخلق منه العرش فارتعد العرش فكتب الله عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن العرش وترك الماء على حاله يرتعد الى يوم القيامة وذلك قوله تعالى وكان عرشه على الماء ثم تلاطم وتموج وصعدت منه أدخنة وارتفع بعضها متراكما على بعض وكان له زبد فخلق الله تعالى منه السموات والأرض طباقا فكانتا رتقا فخلق الريح فيها ففتق بين أطباق السماء وأطباق الأرض كما أخبر سبحانه وتعالى بقوله ثم استوى الى السماء وهى دخان قال أهل الحكمة إنما خلق الله تعالى السماء من دخان ولم يخلقها من بخار لأن الدخان خلق متماسك الأجزاء يستقر منتهاه والبخار متراجع وذلك من كمال علمه سبحانه وحكمته ثم نظر تعالى الى الماء بعين الرحمة فجمد كما جاء فى الحديث (فائدة) بين سماء الدنيا والأرض وكذا بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك وقيل إن السماء الدنيا أشد بياضا من اللبن وإنما اخضرت من خضرة جبل قاف واسم تلك السماء رقيعة والثانية من حديد تتلألأ نورا واسمها فيدوم أو ماعون والثالثة من نحاس يقال لها ملكوت أو هاريون والرابعة من فضة بيضاء يكاد نورها يخطف الأبصار واسمها الزاهرة والخامسة من ذهب أحمر يقال لها المزينة أو المسهرة والسادسة من جوهرة تتلألأ نورا واسمها الخالصة والسابعة من ياقوتة حمراء واسمها اللابية أو الدامعة وفيها البيت المعمور له أربعة اركان ركن من ياقوتة حمراء وركن من زبرجدة خضراء وركن من فضة بيضاء وركن من ذهب أحمر وورد أن البيت المعمور من العقيق يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون اليه الى يوم القيامة والمعتمد أن الأرض أفضل من السماء لأن الأنبياء خلقوا منها ودفنوا فيها وأفضل طبقات الأرض أعلاها المذكور ولأنه محل انتفاع العالم (وعن ابن عباس) أفضل السموات هى التى يلى سقفها عرش الرحمن وهى الكرسى لقربها من العرش ولأن جميع النجوم المنتفع بها مثبتة فيها غير السبعة السيارة أما هى فمثبتة فى السموات السبع فزحل فى السابعة وهو ليوم السبت

والمشترى فى السادسة وهو ليوم الخميس والمريخ فى الخامسة وهو ليوم الثلاثاء والشمس فى الرابعة وهو ليوم الأحد والزهرة فى الثالثة وهى ليوم الجمعة وعطارد فى الثانية وهو ليوم الأربعاء والقمر فى الأولى وهو ليوم الاثنين (نكتة لطيفة) من عجيب صنع البارى تبارك وتعالى أن خلق السموات السبع من دخان مع كون كل سماء لا تشبه صاحبتها وأنزل من السماء ماء فأخرج به من أنواع النبات والأثمار المختلفة اللون والطعم كما قال تعالى ونفضل بعضها على بعض فى الأكل وخلق أولاد آدم على طبقات شتى منهم الأبيض والأسود والسهل والحزن والمؤمن والكافر والعالم والجاهل مع أن الأصل آدم فسبحان من أتقن كل شىء خلقه (الباب الثلاثون فى بيان الكرسى والعرش والملائكة المقربين والأرزاق والتوكل)

قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والأرض قيل كرسيه مجاز عن علمه وقيل ملكه وقيل الفلك المعروف روى عن على كرم الله وجهه أن الكرسى لؤلؤة وطولها لا يعلمه إلا الله تعالى. وفى الخبر ما السموات والأرضون السبع مع الكرسى إلا كحلقة فى فلاة وأخرج ابن ماجه أن السموات فى جوف الكرسى والكرسى بين يدى العرش (وعن عكرمة) قال الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسى والعرش جزء من سبعين جزء من نور الستور يعنى بها الحجب وورد أن بين حملة العرش وحملة الكرسى سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ولولا ذلك لاحترق حملة الكرسى من نورهم والعرش جسم نورانى علوى فوق الكرسى فهو غيره خلافا للحسن البصرى قيل من ياقوتة حمراء وقيل من جوهرة خضراء وقيل من درة بيضاء وقيل من نور والأولى الامساك عن القطع بحقيقته. يسميه الفلكيون بالفلك التاسع والفلك الأعلى وفلك الأفلاك والفلك الأطلس أى الخالى من الكواكب إذ أكلها على ما قال قدماء أهل الهيئة ثوابت فى الفلك الثامن المسمى عندهم بفلك البروج وعند أهل الشرع بالكرسى والعرش سقف المخلوقات فلا شىء يخرج عن دائرته فهو منتهى عالم العباد لا مجال للادراك وراءه ولا مطلب لطالب فوقه قال الله تعالى فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وصفه بالعظم لأنه أعظم المخلوقات قد تحقق ﷺ بالتوكل كما أمر ولذا سمى فى التوراة وغيرها بالمتوكل كيف والتوكل فرع التوحيد والمعرفة وهو ﷺ سيد الموحدين ورأس العارفين ولا ينافى التوكل الأخذ فى الأسباب كما قد يتوهم بل هو أيضا مأمور به فقد قال له ﷺ أعرابى أأعقلها

ناقتي أم أتركها وأتوكل فقال أعقلها وتوكل وقال ﷺ لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا أي جياعا وتروح بطانا أي شباعا فأشار بقوله تغدو الى التسبب (حكاية) التقى ابراهيم بن أدهم وشقيق البلخي بمكة فقال له ابراهيم ما بدأ أمرك الذي بلغك هذا قال مررت ببعض الفلوات فرأيت طيرا مكسور الجناحين في فلاة من الارض فقلت انظر من أين يرزق هذا فقعدت بحذائه فاذا أنا بطير قد أقبل في منقاره جرادة فوضعها في منقار الطير المكسور الجناحين فقلت لنفسي ان الذي قيض هذا الطير لهذا الطير قادر أن يرزقني حيث كنت فتركت التكسب واشتغلت بالعبادة فقال ابراهيم ولم تكون أنت الطير الصحيح الذي أطعم الطير العليل حتى تكون أفضل منه أما سمعت عن النبي ﷺ اليد العليا خير من اليد السفلى ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين في أموره كلها حتى يبلغ منازل الابرار فأخذ شقيق بيد ابراهيم فقبلها وقال أنت أستاذنا يا أبا اسحق ثم اذا تسبب الانسان فليجتهد ألا ينظر الى أسبابه ولا يقف عندها بل يجعل مولاه مطمح نظره ومرمى قصده كالسائل يقصد الناس بوعاء في يده ولا ينظر اليه وانما ينظر إلى الذين يعطونه وفي الحديث من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يده (وقد قيل) لحذيفة المرعشي وكان قد خدم ابراهيم بن أدهم ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا في طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بعد البسملة أنت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل معنى وكتب

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر ... أنا جائع أنا ضائع أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين لنصفها ... فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها ... فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع الرقعة فقال أخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة الى أول من يلقاك فخرجت فأول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الى صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة فقال هذا نصراني فجئت الى ابراهيم أخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني

راكب على رأس ابراهيم يقبله وأسلم (فائدة) قال ابن عباس لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا فخلق مع كل واحد منهم مثل من في السموات السبع من الملائكة فقال احملوا عرشي فلم يطيقوا فخلق مع كل واحد منهم مثل من في السموات السبع من الملائكة ومن في الارض من الخلق وقال احملوا عرشي فلم يطيقوا فقال قولوا لاحول ولاقوة الا بالله فلما قالوها حملوه فنفذت أقدامهم في الارض السابعة على متن الريح فلما لم تستقر أقدامهم على شيء تمسكوا بالعرش ولم يفتروا عن قولهم لاحول ولاقوة الا بالله خيفة أن ينقلب أحدهم فلا يعرف أين يهوى فهم حاملون للعرش وهو حاملهم والكل محمول بالقدرة وروى من قال اذا أصبح واذا أمسى حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله تعالى ما أهمه صادقا كان أو كاذبا وفي رواية كفاه الله تعالى ما أهمه من أمر آخرته ودنياه .

(الباب الحادي والثلاثون في ترك الدنيا وذمها)

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الأخبار الواردة فيها فقد روى ان رسول الله ﷺ مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على أهلها قالوا من هوانها ألقوها قال والذى نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال ﷺ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال رسول الله ﷺ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال أبو موسى الاشعرى قال رسول الله ﷺ من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال ﷺ حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال زيد بن أرقم كنا مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما دنا من فيه بكى حتى ابكى أصحابه وسكتوا وسكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذى تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان أفلت مني لم يفلت مني من بعدك وقال ﷺ يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروى أن رسول الله ﷺ وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا

وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق وأن الاجسام التى ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وأن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون أن بنى إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا فى الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام أيضا يا معشر الحواريين انى قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدى فان من خبث الدنيا ان عصى الله فيها وان من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا وقال أيضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعكم فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه وقال أبو موسى بن يسار قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وأنه منذ خلقها لم ينظر اليها (وروى) أن سليمان بن داود عليهما السلام مر فى موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله قال فمر بعابد من بنى اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فان ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شيء وألزم الله قلبه أربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا وقال ابو هريرة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدى وأتى بى واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه رؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كأملكم ثم هى اليوم عظام بلا جلد ثم هى

صائرة رمادا وهذه العذرات هى ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها فى بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ويروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم الى الأرض قال له ابن للخراب ولد للفنا. وقال داود بن هلال مكتوب فى صحف ابراهيم عليه السلام يادنيا ما أهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صغير والى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ولا يدوم لك أحد وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين اطلعونى من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم مالهم عندى من الجزاء إذا وفدوا إلى من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتى وقال رسول الله ﷺ الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها وتقول يوم القيامة يارب اجعلنى لأدنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكتى يالاشىء انى لم أرضك لهم فى الدنيا أرضاك لهم اليوم وروى فى أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا فى شىء من أطعمة الجنة الا فى هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها قال فجعل يدور فى الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أى شىء تريد قال آدم أريد أن أضع ما فى بطنى من الأذى فقيل للملك قل له فى أى مكان تريد أن تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الانهار أم تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك أهبط الى الدنيا وقال ﷺ ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شىء من الدنيا وثبوا عليه وقال ﷺ فى بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان خلقت لكم وأنتم خلقتم للاخرة والذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة فى قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار فى اناء واحد وروى أن جبريل عليه السلام قال

لنوح عليه السلام يا أطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يكنك قال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ألا أنه من رغب فى الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد فى الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية إلا أنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى إلا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا (وروى) أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ اليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف فى جبل فأتاه فاذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال إلهى جعلت لكل شىء مأوى ولم تجعل لى مأوى فأوحى الله تعالى اليه مأواك فى مستقر رحمتى لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدى ولأطعمن فى عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمار الدنيا ولآمرن مناديا ينادى أين الزهاد فى الدنيا زوروا عرس الزاهد فى الدنيا عيسى بن مريم وقال عيسى بن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ومافيها وتغره ويأمنها ويثق بها وتخذله وويل للمغترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ياموسى مالك ولدار الظالمين أنها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هى إلا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هى ياموسى انى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم (وروى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاءه بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشىء قالوا أجل يا رسول الله قال فابشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت

على من كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ ان أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض فقيل ما بركات الأرض قال زهرة الدنيا وقال ﷺ لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن إصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها موتى فى الافنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فأوحى اليه إذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف على نشز ثم نادى يا أهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا فى عافية وأصبحنا فى الهاوية قال وكيف ذاك قالوا بحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصى قال وكيف كان حبكم للدنيا قالوا حب الصبي لأمه اذا أقبلت فرحنا بها واذا أدبرت حزنا وبكينا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيبونى قال لأنهم ملجمون بلجم من نار بايدى ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتني أنت من بينهم قال لأني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم فانا معلق على شفير جهنم لا أدرى أنجو منها أم أكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال أنس كانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال ﷺ أنه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من الذى يبنى على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحببكم الله تعالى (وقال أبو الدرداء) قال رسول الله ﷺ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم الى الصعدات تجارون وتبكون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها إلا ما لا بد لكم منه ولكن غيب عن قلوبكم ذكر الاخرة الأمل فصارت الدنيا ملك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التى لا تدع هواها مخافة مما فى عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وأنتم اخوان ودين الله ما فرق بين أهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم ما لكم تناصحون فى أمر الدنيا ولا تناصحون فى أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته ما هذا إلا من قلة الايمان فى قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة

شرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف فى طلب أمر لعلكم لاتدركونه فبئس القوم وأنتم ماحققتم إيمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنت فى شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فاتونا لنبين لكم ولنريكم من النور ماتطمئن اليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تستبينون صواب الرأى فى دنياكم وتأخذون بالحزن فى أموركم مالكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك فى وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لايتبين ذلك فى وجوهكم ولا يتغير حالكم إنى لاأرى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما أن يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فأصبحتم على الغل ونبتت مراعيكم على الأمل وتصافيتم على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراحنى منكم وألحقنى بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد أسمعتكم وان تطلبوا ماعند الله تجدوه يسيرا وبالله أستعين على نفسى وعليكم (وقال عيسى) عليه السلام يامعشر الحواريين أرضوا بدنىء الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدنىء الدين مع سلامة الدين وفى معناه قيل

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا ... وما أراهم رضوا فى العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك ... كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام ياطالب الدنيا لتبر تركك الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لتأتينكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب (وأوحى) الله تعالى إلى موسى عليه السلام ياموسى لاتركنن إلى حب الدنيا فلن تأتينى بكبيرة هى أشد منها ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكى ورجع وهو يبكى فقال موسى يارب عبدك يبكى من مخافتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دمع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا (الآثار) قال على رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها (وقال الحسن) رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من

نافسك فى دينك فنافسه ومن نافسك فى دنياك فالقها فى نحره (وقال لقمان عليه السلام) لابنه يا بنى ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثيرة فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما اراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتى فى هذه الآية إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا (وقال بعض الحكماء) إنك لن تصبح فى شىء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك فى أكلة وصم عن الدنيا وافطر عن الآخرة وان رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الأمنية قيل فما حال أهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وفى ذلك قيل

ومن يحمد الدنيـــا لعيش يسره فسوف لعمرى عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية وقال بعضهم عيب من الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما ان تنقص (وقال سفيان) أما ترى النعم كانها مغضوب عليها قد وضعت فى غير أهلها وقال أبو سليمان الدارانى من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لأبى حازم أشكو اليك حب الدنيا وليست لى بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حله ولا تضعه إلا فى حقه ولا يضرك حب الدنيا وإنما قال هذا لأنه لو آخذ نفسه بذلك لأتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها (وقال يحيى بن معاذ) الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجىء فى طلبه فيأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغى لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى (وقال أبو حازم) إياكم والدنيا فانه بلغنى أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا فقال هذا اعظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله

عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وفى ذلك قيل

وما المال والاهلون إلا وديعة ولا بد يوما أن ترد الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من حب شيئا أكثر من ذكره
وقيل لابراهيم بن أدهم كيف أنت فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا مانرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

(وقيل أيضا فى ذلك)

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بنى بنيانه فاقامه فلما استوى ماقد بناه تهدما

(وقيل أيضا فى ذلك)

هب الدنيا تساق اليك عفوا أليس مصير ذاك الى انتقال
وما دنياك إلا مثل فىء أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يابنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا (وقال مطرف بن الشخير) لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء الكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب وفى ذلك قيل

ياخاطب الدنيا الى نفسها تنح عن خطبتها تسلم
إن التى تخطب غدارة قريبة العرس من المأتم

وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى الله إلا فيها ولا ينال ماعنده إلا بتركها وفى ذلك قيل

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

(وقيل أيضا)

ياراقد الليل مسرورا بأوله ان الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفنى القرون التى كانت منعمة كر الجديدين إقبالا وإدبارا

كم قد أبادت صروف الدهر من ملك قد كان فى الدهر نفاعاً وضرارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء له يمسى ويصبح فى دنياه صفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة حتى تعانق فى الفردوس أبكارا
ان كنت تبغى جنان الخلد تسكنها فينبغى لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو إمامة الباهلي رضى الله عنه لما بعث محمد ﷺ أتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي الا أن لا يعبدوا الأوثان وانما أغدوا عليهم وأروح بثلاث أخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه وإمساكه عن حقه والشر كله من هذا تبع وقال رجل لعلى كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين صف لى الدنيا قال وما أصف لك من دار صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن فى حلالها الحساب وفى حرامها العقاب وفى متشابهها العتاب وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم أقصر فقيل اقصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا وقال ابو سليمان الداراني اذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزاحمها فاذا كانت الدنيا فى القلب لم تزاحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ماذكره سيار بن الحكم صح اذا قال الدنيا والآخرة يجتمعان فى القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعاله وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله على كرم الله وجهه حيث قال الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضى إحداهما تسخط الأخرى (وقال الحسن) والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذى تمشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت الى ذا أو ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ما تقول فى رجل أتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه أيحسن له أن يتعيش فيه يعنى يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره (وقال الفضيل) لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لا أحاسب عليها فى الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه (وقيل) لما قدم عمر رضى الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم

وسأل له ثم اتى منزله فلم ير فيه إلا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضى الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا امير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا وقال وهب قرأت فى بعض الكتب الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يابنى إنك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فأنت الى دار تقرب منها أقرب من دار تباعدت عنها (وقال سعيد بن مسعود) اذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذى يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله ثلاث الا والذى عليه أكثر من الذى له وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا من قال ذا قاله من خلقها ومن هو أعلم بها إياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الأشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان أخذه من حله حوسب به وان أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته فى دينه ويجزع من مصيبته فى دنياه (وكتب الحسن) الى عمر ابن عبد العزيز سلام عليك أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل (وقال الفضيل بن عياض) الدخول فى الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وعجبا لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود لباد الخلق ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده أو اجل حضر فتدفعه قال لا أملك ذلك قال لا حاجة لى اليك وقال داود الطائى رحمه الله يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك وانما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوفت بعملك كأن منفعته لغيرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه وقال أبو حازم ما فى الدنيا شىء يسرك إلا وقد ألصق الله اليه شيئا يسوءك وقال الحسن لا

تخرج نفس بن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث أنه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض العبادة نلت الغنى فقال إنما نال الغنى من عتق من رق الدنيا وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا ما كان فى قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعرى أى عذاب الله ينزل علينا وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وقال أبو الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هى لأحد بأهنا منها لمن أهانها وقال أيضا اذا أراد الله بعبد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا انفذ أعاد عليه واذا أهان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول فى دعائه يا ممسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنك امسك الدنيا عنى وقال محمد بن المنكدر أرأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد فى سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال ان هذا عظم فى عينه ما صغره الله وصغر فى عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شىء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالى تنادى ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يارب يارب لم تبغضنى فيقول لها اسكتى يا لا شىء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب فى القلب قد احتوشته فتى يصل الخير اليه (وقال وهب بن منبه) من فرح قلبه بشىء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة وضيع نفسه قيل له انه كان يفعل ويفعل وذكروا أبوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هى قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هى قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها (وقال الجنيد) كان الشافعى رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان الحق فى الدنيا وعظ أخا له فى الله وخوفه بالله فقال يا أخى إن الدنيا دحض مزلق ودار مذلة عمرانها الى الخراب صائر وساكنها الى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها إعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله وارض برزق الله لا تتسلف من دار فنائك الى دار بقائك فان عيشك فىء زائل

وجدار مائل أكثر من عملك وأقصر من أملك (وقال ابراهيم بن أدهم لرجل) أدرهم فى المنام أحب اليك أم دينار فى اليقظة فقال دينار فى اليقظة فقال كذبت لأن الذى تحبه فى الدنيا كأنك تحبه فى المنام والذى لا تحبه فى الآخرة كأنك لا تحبه فى اليقظة وعن اسماعيل بن عباش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا ياخنزيرة فلو وجدوا لها اسما أقبح من هذا السموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبنى قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه وقال أيضا الدنيا بلغ من شؤمها أن تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبدالله من اراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمطفىء النار بالتبن (وقال بندار) اذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون فى الزهد فاعلم أنهم فى سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها يعنى الحرص حتى يصيروا رمادا ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جواهر لاحد لقيمته وقال على كرم الله وجهه إنما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات الماء ويستوى فيه البر والفاجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال وأشرف المنكوحات المرأة وهى مبال فى مبال وأن المرأة لتزين أحسن شىء منها ويراد أقبح شىء منها وأشرف المشمومات المسك وهو دم

(الباب الثانى والثلاثون فى ذم الدنيا أيضا)

قال بعضهم ياأيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل ودها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل أوهل الى الطبيب من سبيل فتدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولماله أحصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم أخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك وثبت

يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الأعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك أخوانك وأحضرت أكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك الى مالك وبقيت مرتهنا بأعمالك (وقال بعضهم) لبعض الملوك ان أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لأنه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه او على جمعه فتفرقه أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد أو تدب الى جسمه فتسقمه أو تفجعه بشيء هو ضنين به بين أحبابه فالدنيا أحق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بيناهي تضحك صاحبها اذا أضحكت منه غيره وبيناهي تبكي له اذا أبكت عليه وبينا هي تبسط كفه بالاعطاء إذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا (وكتب) الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة اليها عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت بآمالها وسوفت بخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون لها ناظره والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قالية فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالأول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور أشخصته إلى مكروه الضار في أهلها غار والنافع فيها غدا رضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وأدبر ولا يدري ما هو آت فينتظر أمانيها كاذبة وآمالها باطلة

وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها أذكره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضعه مليكه فزواها عن الصالحين اختبارا وبسطها لأعدائه اغترارا افيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ونسى ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعز أنه قال لموسى عليه السلام إذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فانه كان يقول إدامى الجوع وشعارى الخوف ولباسى الصوف وصلائى فى الشتاء مشارق الشمس وسراجى القمر ودابتى رجلاى وطعامى وفاكهتى ما أنبتت الأرض أبيت وليس لى شىء وأصبح وليس لى شىء وليس على الأرض أحد أغنى منى وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذى لبس من الدنيا فان ناصيته بيدى ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا باذنى ولا يعجبنكما ما تمتع به منها فانما هو زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت ولكنى أرغب بكما عن ذلك فأزوى ذلك عنكما وكذلك أفعل بأوليائى إنى لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعى الشفيق غنمه من مراتع الهلكة وانى لأجنبهم ملاذها كما يجنب الراعى الشفيق إبله عن منازل الغرة وما ذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفرا إنما يتزين لى أوليائى بالذل والخوف والخضوع والتقوى تنبت فى قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهى ثيابهم التى يلبسون ودثارهم الذى يظهرون وضميرهم الذى يستشعرون ونجاتهم التى بها يفوزون ورجاؤهم الذى إياه يأملون ومجدهم الذى به يفخرون وسيماهم التى بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم أنه من أخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة وخطب على كرم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها اعلموا أنكم ميتون مبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا فانها بالبلاء

محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل مافيها الى زوال وهي بين أهلها دول وسجال لاتدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا أهلها منها فى رخاء وسرور إذاهم منها فى بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لايدوم وانما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً وأشد منكم بطشاً وأعمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المسندة فى القبور اللاطية الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لايستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجع بهم الأحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم إياب هيهات هيهات كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فكأن قد صرتم الى ماصاروا اليه من البلى والوحدة فى دار المثوى وارتهنتم فى ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الأمور وبعثرت القبور وحصل مافى الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد وقال بعض الحكماء الأيام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالى فى بدنك لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك واستثقلت مر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذتها وأنها لأمر من العلقم إذا عجنها الحكيم

وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ
.... نسأله أن يرشدنا الى الصواب وقال بعض الحكماء وقد ابتدأ بوصف الدنيا وقدر بقائها فقال الدنيا
وقتك الذى يرجع اليك فيه طرفك لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه وما لم يأت فلا علم
لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير
والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والأمل طويل
والعمر قصير والى الله تصير الأمور وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال يا أيها
الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فانكم حمقى وإن كنتم تكذبون به فانكم هلكى
فما خلقتم لأبد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله إنكم فى دار لكم فيها من طعامكم
غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها
فاعملوا لما أنتم صائرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل وقال على كرم الله وجهه فى
خطبته أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها المبلية
جسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم فى سفر سلكوا طريقا
وكأنهم قد قطعوه وأفضوا الى علم فكأنهم بلغوه وكم عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهى الى
الغاية وكم عسى أن يبقى من له يوم فى الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا
لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فانه الى زوال عجبت لطالب
الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين لما علم أهل الفضل والعلم
والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرضها لأوليائه وأنها عنده حقيرة
ذليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها أكلوا منها قصدا وقدموا
فضلا وأخذوا منها ما يكفى وتركوا ما يلهى لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من
الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا الى الدنيا بعين أنها فانية والى الآخرة أنها باقية فتزودوا
من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا الى الآخرة بقلوبهم
فعلموا أنهم سينظرون اليها بأعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون اليها
بأبدانهم تعبوا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم
وكرهوا ما كره لهم

(الباب الثالث والثلاثون فى فضل القناعة)

اعلم أنه ينبغى أن يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما فى أيديهم ولا
حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الضرورة من

المطعم والملبس والمسكن ويقتصر على أقله قدرا واخسه نوعا ويرد أمله الى يومه أو إلى شهر ولا يشتغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق إلى الكثير أو طول أمله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص جره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروءات وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله ﷺ لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وعن أبي واقد الليثي قال كان رسول الله ﷺ اذا أوحى اليه أتيناه يعلمنا مما أوحي اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول إنا أنزلنا المال لاقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثان وان كان له الثاني لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب وقال أبو موسى الأشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها أن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب وقال ﷺ منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال ﷺ يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الأمل وحب المال أو كما قال ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال ﷺ طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به قال ﷺ ما من أحد فقير ولا غني الا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتا في الدنيا وقال ﷺ ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال الا أيها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة وروى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أغنى قال أقنعهم بما أعطيته قال فأيهم أعدل قال من أنصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله ﷺ ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وقال أبو هريرة قال لي رسول الله ﷺ يا أبا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله ﷺ عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري أن أعرابيا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله عظني وأوجز فقال اذا صليت فصل

صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس مما في أيدي الناس وقال عوف ابن مالك الاشجعي كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله قلنا أوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال أن لا تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه وقال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى وأنه من يأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفي ذلك قيل

العيش ساعات تمر ۰ وخطوب أيام تكر ۰ اقنع بعيشك ترضه

واترك هواك تعيش حر ۰ فلرب حتف ساقه ۰ ذهب ودر وقوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتاج الى أحد وقال سفيان خير دنيا كم مالم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم وقال ابن مسعود ما من يوم إلا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط ابن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس ويروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا لك كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت واذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فان ما يأتيه ما قسم له من الرزق أو ما رزق (وكتب بعض بني أمية) الى أبي حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت حوائجي الى مولاي فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء أي شيء أسر العاقل وأيما شيء اعون على دفع الحزن فقال أسرها اليه ما قدم من صالح العمل وأعوانها على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما الحسود واهناهم عيشا القنوع واصبرهم على الأذى الحريص اذا طمع وأخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وفي ذلك قيل

ارفه ببال فتى امسى على ثقة ۰ ان الذي قسم الارزاق يرزقه

فالعرض منه مصون لا يدنسه ۰ والوجه منه جديد ليس يخلقه

ان القناعة من يحلل بساحتها لم يلق فى دهره شيئا يؤرقه

(وقد قيل أيضاً)

حتى متى أنا فى حل وترحال وطول سعى وإدبار وإقبال
ونازح الدار لاأنفك مغتربا عن الأحبة لايدرون ماحالى
تمشرق الارض طوراً ثم مغربها لايخطر الموت من حرصى على بالى
ولو قنعت أتانى الرزق فى دعة ان القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضى الله عنه ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى حلتان لشتائى وقيظى ومايسعنى من الظهر لحجى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا بأوضعهم فوالله ماأدرى أيحل ذلك أم لا كأنه شك فى أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التى تجب القناعة بها وعاتب إعرابى أخاه على الحرص فقال ياأخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لاتفوته وتطلب أنت ماقد كفيته وكأن ماغاب عنك قد كشف لك وماأنت فيه قد نقلت عنه كأنك ياأخى لم تر حريصا محروما وزاهداً مرزوقا وفى ذلك قيل

أراك يزيدك الاثراء حرصا على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية إن صرت يوما اليها قلت حسبى قد رضيت

وقال الشعبى حكى أن رجلا صاد قنبراً فقالت ماتريد أن تصنع بى قال أذبحك وآكلك قالت والله ماأشفى من قرم ولاأشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من أكلى أما واحدة فأعلمك وأنا فى يدك وأما الثانية فاذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الأولى قالت لاتلفهن على مافاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قالت هاك الثانية لاتصدقن بمالايكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل تقول ياشقى لوذبحتنى لأخرجت من حوصلتى درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعض على شفته وتلهف وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لاتلفهن على مافاتك ولاتصدقن بمالايكون أنا لحمى ودمى وريشى لايكون عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلتى درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمى فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر مالايكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل على قلبك وقيد فى رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال أبو محمد اليزيدى دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب

فيها بالذهب فلما رآنى تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أضفت اليهما ثالثا وأنشدنى

اذا سد باب عنك دون حاجه   فدعه لاخرى ينفتح لك بابها
فان قراب البطن يكفيك ملؤه   ويكفيك سوآت الامور اجتنابها
ولا تك مبذلا لعرضك واجتنب   ركوب المعاصى يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد أن وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لى قول كعب قال يطمع الرجل فى الشىء يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشره فشره النفس فى هذا وفى هذا حتى لاتحب ان يفوتها شىء ويكون لك هذا حاجة وإلى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شاء واستمكر منك وخضعت له فمن أحبك للدنيا اسلمت عليه إذا مرت به وعدته إذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك

﴿ الباب الرابع والثلاثون فى فضل الفقراء ﴾

قال صلى الله عليه وسلم خير هذه الأمة فقراؤها وأسرعها تضجعا فى الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم ان لى حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى الفقر والجهاد (وروى) أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك أينما كنت فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لادار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لاعقل له فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت وروى أن المسيح صلى الله عليه وسلم مر فى سياحته برجل نائم ملتف فى عباءة فأيقظه وقال يا نائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد منى أنى قد تركت الدنيا لأهلها فقال له فنم إذاً يا حبيبى ومر موسى عليه السلام برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته فى التراب وهو متزر بعباءة فقال يارب عبدك هذا فى الدنيا ضائع فأوحى الله تعالى اليه يا موسى أما علمت أنى اذا نظرت الى عبد بوجهى كله زويت عنه الدنيا كلها وعن أبى رافع أنه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فأرسلنى الى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول لك محمد أسلفنى أو بعنى دقيقا الى هلال رجب قال فأتيته فقال لا والله إلا برهن فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله انى لأمين فى أهل السماء أمين فى أهل الارض ولو باعنى أو أسلفنى لأديت اليه اذهب

يدعى هذا اليه فأرهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الآية وهذه الآية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم الفقر أزين للمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم معافى في جسمه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الأحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال بعضهم أخبر أصحابي مر نبي من الأنبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال باسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء ثم مر بآخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب ما هذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال رضيت يا رب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء وفي لفظ آخر فقلت أين الأغنياء فقيل حبسهم الجد وفي حديث آخر فرأيت أكثر أهل النار النساء فقلت ما شأنهن فقيل شغلهن الأحمران الذهب والزعفران وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وفي آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه وفي حديث آخر رأيته دخل الجنة زحفا وقال المسيح صلى الله عليه وسلم بشدة يدخل الغني الجنة وفي خبر آخر عن أهل البيت رضي الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا وفي الخبر اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام يا رب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك قال كل فقير فقير فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديد الضر وقال المسيح صلوات الله وسلامه عليه إني لأحب المسكنة وأبغض النعماء وكان أحب الأسامي اليه صلوات الله عليه أن يقال له يا مسكين ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا نجيء ونجيء اليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك وذلك لأنهم شكوا اليه التأذي بروائحهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروائح

من ثيابهم فاشتد ذلك على الأغنياء منهم الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجمعهم وإياه مجلس واحد فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحياة الدنيا يعني الأغنياء ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الأغنياء وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية واستأذن ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشراف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى يعني ابن أم مكتوم أما من استغنى فأنت له تصدى يعني هذا الشريف وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى إليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف فمن أطعمك في أو كساك في يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة وقال عليه السلام أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادي فان لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فاذا بلال ونظرت في أعلاها فاذا فقراء أمتي وأولادهم ونظرت في أسفلها فاذا فيه من الأغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شأنهم قال أما النساء فاضربهن الأحمران الذهب والحرير وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت أصحابي فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم جاء بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلفك عني قال يا رسول الله والله ما وصلت اليك حتى لقيت المشيبات وظننت أني لا أراك فقلت ولم قال كنت أحاسب بمالي فانظر إلى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بانهم من أهل الجنة وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استضر بالغنى الى هذا الحد ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم ير له شيئا فقال لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم الا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وقال عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا

منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول ﷺ قلت نعم بابي أنت وأمي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليك أدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ما على الا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بي الجوع فبكى رسول الله ﷺ وقال لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ماذقت طعاما منذ ثلاث واني لاكرم على الله منك ولو سألت ربي لاطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فاين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا وسيدا في الآخرة (وروى) عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال اذا أبغض الناس فقراءهم واظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله بأربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ذو الدرهمين اشد حبسا أو قال اشد حسابا من ذي الدرهم وأرسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر بالف دينار فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أريني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى أن الرجل من الاغنياء يدخل في غمارهم(١) فيؤخذ بيده فيستخرج وقال ابو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أيها تريد (وقيل) جاء فقير الى مجلس الثوري رحمه الله فقال له تخط لو كنت غنيا لما قربتك وكان من الاغنياء أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة

---

(١) قوله في غمارهم بضم الغين المعجمة وفتحها أي في زحمتهم وجماعتهم الكثيرة كما في القاموس اه مصححه

تقريبه للفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رأيت الغنى أذل منه فى مجلس الثورى
ولا رأيت الفقير أعز منه فى مجلس الثورى رحمه الله وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو
خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الغنى لفاز
بهما جميعا ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعا وقال ابن
عباس ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر وقال لقمان عليه السلام لابنه لا تحقرن أحدا
لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك للفقراء من أخلاق المرسلين
وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وفى الاخبار
عن الكتب السالفة أن الله تعالى أوحى الى بعض انبيائه عليهم السلام احذر ان أمقتك
فتسقط من عينى فاصب عليك الدنيا صبا ولقد كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تفرق مائة
ألف درهم فى يوم واحد يوجهها اليها معاوية وابن عامر وغيرهما وان درعها مرقوع وتقول لها
الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتينى لفعلت
وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان اردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء وايالك
ومجالسة الاغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقعيه وجاء رجل الى ابراهيم بن أدهم بعشرة الاف
درهم فابى عليه ان يقبلها فالح عليه الرجل فقال له ابراهيم أتريد أن امحو اسمى من ديوان
الفقراء بعشرة الاف درهم لا أفعل ذلك أبدا رضى الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن
هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا
من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالأول القانع وهذا الراضى ويكاد يشعر هذا
بمفهومه ان الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة فى فضل الفقر تدل على
ان له ثوابا كما سيأتى تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله فى حبس الدنيا عنه
ورب راغب فى المال لا يخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة فى فعله فتلك الكراهة هى
التى تحبط ثواب الفقر (وروى) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أن
لكل شيئا مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم هم جلساء الله تعالى يوم
القيامة وروى عن على كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب العباد الى الله تعالى الفقير
القانع برزقه الراضى عن الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت ال محمد كفافا وقال ما من أحد
غنى ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان اوتى قوتا فى الدنيا وأوحى الله تعالى الى اسمعيل عليه
السلام أطلبنى عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال صلى الله عليه وسلم لا أحد

أفضل من الفقير اذا كان راضيا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتى من خلقى فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون لعطائى الراضون بقدرى أدخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس فى الحساب يترددون. فهذا فى القانع الراضى وأما الزاهد فسنذكر فضله ان شاء الله تعالى واما الآثار فى الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى أن القناعة يضادها الطمع وقد قال عمر رضى الله عنه أن الطمع فقر واليأس غنى وأنه من يئس عما فى أيدى الناس وقنع استغنى عنهم وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ما من يوم الا وملك ينادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه ما من أحد الا وفى عقله نقص وذلك أنه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان فى هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان ابراهيم ابن أدهم من أهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم اذ نظر الى رجل فى فناء القصر وفى يده رغيف يأكله فلما أكل نام فقال لبعض غلمانه إذا قام فجئنى به فلما قام جاء به اليه فقال ابراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابراهيم فى نفسه فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا فقال الا أدلك على من رضى بشر من هذا قال بلى قال من رضى بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد بن واسع رحمة الله عليه يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول من رضى من الدنيا بهذا لم يحتج الى احد وقال الحسن رحمه الله لعن الله أقواما اقسم لهم الله تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض إنه لحق الآية وكان أبو ذر رضى الله عنه يوما جالسا فى الناس فاتته امرأته فقالت له اتجلس بين هؤلاء والله ما فى البيت هفة ولا سفة فقال يا هذه أن بين أيدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهى راضية وقال ذو النون رحمه الله أقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن واليأس عما فى أيدى الناس ويروى أن الله عز وجل قال فى بعض الكتب السالفة المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا محسن اليك وقد قيل فى القناعة

أضرع الى الله لا تضرع الى الناس ... واقنع بيأس فان العز فى اليأس

واستغن عن ذي قربى وذي رحم ... ان الغنى من استغنى عن الناس

وقد قيل فى هذا المعنى أيضا

ياجامعا مانعا والدهر يرمقه ... مقدرا أى باب منه يغلقه
مفكرا كيف تأتيه منيته ... اغاديا أم بها يسرى فتطرقه
جمعت مالا فقل لى هل جمعت له ... يا جامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ... ماالمال مالك الا يوم تنفقه
أرفه ببال فتى يغدو على ثقة ... أن الذى قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون مايدنسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها ... لم يلق فى ظلها هما يؤرقه

(الباب الخامس والثلاثون فى اتخاذ ولى من دون الله سبحانه وتعالى وفى بيان العرصات)

قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار الآية قال بعض المفسرين أجمع أهل اللغة على أن الركون مطلق الميل والسكون يسيرا أو كثيرا وقال عبد الرحمن بن زيد الركون هنا الادهان وذلك أن لا ينكر عليهم كفرهم وعن عكرمة لا تصطنعوهم والظاهر من الآية عموم النهى عن الركون الى المشركين وفسقة المسلمين وقال النيسابورى فى تفسيره قال المحققون الركون المنهى عنه هو الرضا بما عليه الظلمة أو تزيين طريقتهم وتحسينها عند غيرهم ومشاركتهم فى شىء من أبواب المظالم فاما مداخلتهم لدفع شىء من الضر أو اجتلاب منفعة عاجلة فغير داخلة فى الركون قال وأقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بالكلية أليس الله بكاف عبده اه قلت ولقد صدق فحسم مادة الركون اليهم ولاسيما فى هذه الازمان التى لا يمكن فيها انكار المنكر والامر بالمعروف مع ما فى الركون اليهم من الغرور والغرور واذا كان حال الميل فى الجملة الى من وجد منه ظلم ما فى الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين فى الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على صحبتهم ومنادمتهم ويلقى شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزين بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية وهو فى الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوضة خفيف بمعزل عن ان تميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (وروى) مثل الجليس الصالح مثل حامل المسك ان لم يعطك أصابك من ريحه ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ان لم

بصر قال أصابك من دخانه قال الله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الآية وقال ﷺ من عظم غنيا لغناه فقد ذهب ثلث دينه وقال ﷺ اذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز لذلك العرش وقال الله تعالى يوم ندعوا كل أناس بامامهم يعني في عرصات القيامة وقد اختلف المفسرون في تعيين الامام الذي يدعى كل اناس به فقال ابن عباس وغيره أنه كتاب كل انسان الذي فيه عمله أي يدعى كل انسان بكتاب عمله ويؤيد هذا قوله تعالى فامامن أوتي كتابه بيمينه الآية وقال ابن زيد الامام هو الكتاب المنزل فيقال يا أهل التوراة يا أهل الانجيل يا أهل القرآن وقال مجاهد وقتادة إمامهم نبيهم فيقال هاتوا متبعي ابراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي عيسى هاتوا متبعي محمد ﷺ وعليهم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه المراد بالامام امام عصرهم فيدعى أهل كل عصر بامامهم الذي كانوا ياتمرون بامره وينتهون بنهيه وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ اذا جمع الله الأولين والاخرين يوم القيامة رفع لكل غادر لواء فيقال هذه غدرة فلان ابن فلان وروى الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ في تفسير هذه الاية يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ستين ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق الى اصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم فيقول ابشروا لكل رجل منكم مثل هذا وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ستين ذراعا على صورة آدم ويلبس تاجا فيراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا قال فياتيهم فيقولون اللهم اخزه فيقول أبعدكم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا وقال الله تعالى إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها الى آخر السورة قال ابن عباس رضي الله عنهما أي تحركت من أسفلها وأخرجت ما في جوفها من الاموات والدفائن وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قرأ رسول الله ﷺ يومئذ تحدث أخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان اخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بكل عمل عمل على ظهرها وعن رسول الله ﷺ انه قال تحفظوا من الأرض فانها أمكم وانه ليس من أحد عامل عليها خيرا أو شرا إلا وهي مخبرة أخرجه الطبراني

(الباب السادس والثلاثون في النفخ والفزع والحشر من المقابر)

قال رسول الله ﷺ كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك أن

اسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الأولى فاذا نفخ صعق من فى السموات ومن فى الأرض أى مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائل ثم روح اسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبس الخلق بعد النفخة الأولى فى البرزخ أربعين سنة ثم يحيي الله إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فلذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون على أرجلهم ينظرون الى البعث وقال ﷺ حين بعثت أتى صاحب الصور فأهوى به الى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ الا فاتقوا النفخة فتفكر فى الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل إن كنت فى الدنيا من المترفهين والأغنياء المتنعمين فلوك الأرض فى ذلك اليوم أذل أهل الأرض الجمع وأصغرهم وأحقرهم يوطئون بالأقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البرارى والجبال منكسة رؤسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم أقبلت الشياطين والمردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خشية من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر فى حالك وحال قلبك هنالك ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا الى أرض المحشر أرض بيضاء قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ولا ترى عليها ربوة يختفى الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الأعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الارض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هى النفخة الأولى والرادفة هى الثانية وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار أن تكون خاشعة قال رسول الله ﷺ يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى ليس فيها معلم لأحد قال الراوى والعفرة بياض ليس بالناصع والنقى هو النقى عن القشر والنخالة

ومعلم أى لابناء يستتر ولاتفاوت يرد البصر ولا تظن أن تلك الأرض مثل الدنيا بل لاتساويها إلا فى الاسم قال تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات قال ابن عباس يزاد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمد مد الأديم العكاظى أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات بذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يامسكين فى هول ذلك اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الأرض لخمود سراجها فبيناهم كذلك اذا دارت السماء من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام والملائكة قيام على حافتها وأرجائها فيا هول صوت انشقاقها فى سمعك وياهيبة ليوم تنشق فيها السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن وانتشر الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله ﷺ يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان قالت سودة زوج النبى صلى الله عليه وسلم رواية الحديث قلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلاقدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم فى طبع الآدمى إنكار كل مالم يأنس به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهى تمشى على بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصور المشى على غير رجل والمشى بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد فاياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما فى الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكارا لها فاحضر فى قلبك صورتك وأنت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاوة وأعظم هذه الحال فانها عظيمة ثم تفكر فى ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وسبع وطير [illegible]

عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدنيت من رؤوس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به إلا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضحى لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاخنزاء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة أذنيه وبعضهم يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه الى أنصاف أذنيه وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث آخر قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه وأشار بيده فألجمها فاه ومن يغطيه العرق وضرب بيده على رأسه هكذا فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة كربهم وفيهم من ينادي فيقول رب ارحني من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدري الى أين يبلغ بك العرق واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف ونهي عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار في القيامة فانه يوم عظيمة شدته طويلة مدته

(الباب السابع والثلاثون في بيان القضاء بين الخلائق)

قال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قلنا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار له ولا متاع قال المفلس من أمتي من يأتي

يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان فإن سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت أنه لا ينقضي عنك يوم إلا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء فقد روى أبو ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال يا أبا ذر اتدري فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة وقال أبو هريرة في قوله عز وجل وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا امم أمثالكم انه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى ان يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف انت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول اين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسببه الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر اصناف المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله ﷺ انه الشيطان قد يئس ان تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى انهن ينجينه فما يزال عبد يجيء فيقول يا رب فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم يلبثوا ان أعظموا نارهم وصنعوا ما ارادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى إنك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله ايكرر علينا

مما كان ينافى الدنيا مع خواص الذنوب قال: لتؤدون عليكم حتى تؤدوا الى كل ذى حق حقه قال الزبير والله إن الامر لشديد فاعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوه ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول يحشر الله العباد عراة غبرا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شىء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار مظلمة حتى أقتصه منه ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولا لأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقتصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وإنما نأتى الله عز وجل عراة غبرا بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق فى معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة اليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله فعساه يقربه ذلك إلى الله تعالى فينال به لطفه الذى ادخره لأحبابه المؤمنين فى دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحكك يارسول الله بأبى أنت وأمى قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة فقال أحدهما يارب خذلى مظلمتى من أخى فقال الله تعالى اعط أخاك مظلمته فقال يارب لم يبق من حسناتى شىء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شىء قال يارب يتحمل عنى من أوزارى قال وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال إن ذلك اليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك وانظر فى الجنان فرفع رأسه فقال يارب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبى هذا أو لأى صديق هذا أو لأى شهيد هذا قال لمن أعطانى الثمن قال يارب ومن يملك ثمنه قال أنت تملكه قال وما هو قال عفوك عن أخيك قال يارب إنى قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال ﷺ عند ذلك اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على أن ذلك إنما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق فتفكر الآن فى

نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد. كيف يكون سرورك من منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضاء وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا ابيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا رأسك خاليا عن الأوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك وخلق الأولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك فى حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤوس الأشهاد هذا فلان بن فلان رضى الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا أفترى أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التى تنالها فى قلوب الخلق فى الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك فان كنت تعلم أنه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى إدراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافى والنية الصادقة فى معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك إلا به وإن تكن الأخرى والعياذ بالله بأن خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهى عند الله عظيمة فمقتك لأجلها فقال عليك لعنتى يا عبد السوء لا أتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء إلا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون عليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين وعند ذلك تتناول اليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فأقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها (١) وصورها المنكرة فأخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلائق وهم ينظرون الى اسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك وأنت تنادى بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدع اليوم ثبورا واحدا وادع ثبورا كثيرا وتنادى الملائكة ويقولون هذا فلان ابن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أو طلبا للمكانة فى قلوبهم أو خوفا من الافتضاح عندهم فما أعظم جهلك إذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله فى الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم فى ذلك الملأ العظيم من التعرض لسخط الله وعقابه الأليم والسياق بأيدى الزبانية إلى سواء الجحيم فهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر

---

(١) قوله وزعارتها بالزاى المفتوحة أى شراستها

﴿ الباب الثامن والثلاثون فى بيان ذم المال ﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسرانا عظيما وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وقال إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وقال تعالى ألهاكم التكاثر وقال رسول الله ﷺ حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وقال ﷺ ما ذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر إفسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه فى دين الرجل المسلم وقال ﷺ هلك المكثرون الأمل قال به فى عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله أى أمتك شر قال الأغنياء وقال ﷺ سيأتى بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها يركبون فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون إلههم وربا دون ربهم الى أمرها ينتهون ولهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام وقال ﷺ دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر وقال ﷺ يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وقال رجل يا رسول الله مالى لا أحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلحقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه وقال ﷺ أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثانى إلى قبره والثالث إلى محشره فالذى يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذى يتبعه إلى قبره فهو أهله والذى يتبعه الى محشره فهو عمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام مالك تمشى على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والمدر عندى سواء وكتب سلمان الفارسى إلى أبى الدرداء رضى الله عنهما يا أخى إياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدى شكره فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين

يديه كلما انكفأ به الصراط قال له امض فقد أديت حق الله فى ثم يجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما انكفأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله فى فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور وقال ﷺ إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال ﷺ لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا وروى أن رجلا نال من أبي الدرداء وأراه أسوأ فقال اللهم من فعل سوءا فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لأنه لابد وأن يفضى إلى الطغيان ووضع على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما إنك مالم تخرج عنى لا تنفعني وروى أن عمر رضى الله عنه أرسل إلى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا أرسله اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته فى أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركنى عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت أول نساء رسول الله ﷺ لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذله الله وقيل أن أول ماضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان إن الدراهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه إن لدغك قتلك سمه قيل وما رقيته قال أخذه من حله ووضعه فى حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لى الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقالت إن سرك أن يعيذك الله منى فابغض الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفى ذلك قيل

إنى وجدت فلا تظنوا غيره ... أن التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته ... فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

﴿ وفى ذلك قيل أيضاً ﴾

لا يغرنك من المرء قميص رقعه ... أو إزار فوق عظم الساق منه رفعه
أو جبين لاح فيه أثر قد خلعه ... أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير المؤمنين صنعت صنيعاً لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار

وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقعدوني فأقعده فقال أما قولك لم أدع لهم ديناراً ولا درهما فاني لم أمنعهم حقاً لهم ولم أعطهم حقاً لغيرهم وإنما ولدي أحد رجلين إما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين وإما عاص لله فلا أبالي على ما وقع وروى عن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيراً فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكن أدخره لنفسي عند ربي وأدخر ربي لولدي (ويروى) أن رجلا قال لأبي عبد ربه يا أخي لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير فأخرج ابو عبد ربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله

﴿الباب التاسع والثلاثون في الأعمال والميزان وعذاب النار﴾

يا أخي لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب الى الايمان والشمائل فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلتقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها وقسم آخر لا سيئة لهم فينادى مناد ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى وينادى عليهم سعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث وهم الأكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسناتهم أو سيآتهم ولكن يأبى الله إلا أن يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيآت وينصب الميزان وتشخص الأبصار الى الكتب أتقع في اليمين أو في الشمال ثم الى لسان الميزان أيميل إلى جانب السيآت أو إلى جانب الحسنات وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق وروى الحسن أن رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خد رسول الله ﷺ فانتبه فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة قال والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن فان أحداً لا يذكر إلا نفسه إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله وعند الصراط وعن أنس قال يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوته يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خف ميزانه نادى بصوته

الخلائق شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبايديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار الى النار وقال رسول الله ﷺ فى يوم القيامة انه يوم ينادى الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك ألبسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة فلما رأى رسول الله ﷺ ما عند أصحابه قال اعملوا وابشروا فو الذى نفس محمد بيده إن معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتاه مع من هلك من بنى آدم وبنى إبليس قالوا وماهما يارسول الله قال يأجوج ومأجوج قال فسرى عن القوم فقال اعملوا وابشروا فو الذى نفس محمد بيده ما أنتم فى الناس يوم القيامة إلا كالشامة فى جنب البعير أو كالرقمة فى ذراع الدابة يا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر الى موردك فانك أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فأنت من الورود على يقين ومن النجاة فى شك فاستشعر فى قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه وتأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ما قاسوا فبيناهم فى كربها وأهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى اشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادى من الزبانية قائلا أين فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الأمل المضيع عمره فى سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون له ذق إنك أنت العزيز الكريم فأسكنوا دارا ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك ومالهم فيها فكاك قد شدت أقدامهم الى النواصى واسودت وجوههم من ظلمة المعاصى ينادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها يامالك قد حق علينا الوعيد يامالك قد أثقلنا الحديد يامالك قد نضجت منا الجلود يامالك أخرجنا منها فانا لا نعود فتقول الزبانية هيهات لات حين امان ولا خروج لكم من

دار الهوان فاخسؤا فيها ولا تكلمون ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتتقطع من العطش أكبادهم وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الأطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد اسودت وجوههم أشد سواد من الحميم وأعميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم إلى أعناقهم وجمع بين نواصيهم وأقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤن حسك الحديد بأحداقهم فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم هذا بعض جملة أحوالهم وانظر الآن في تفصيل أهوالهم وتفكر أيضاً في أودية جهنم وشعابها فقد قال النبي ﷺ إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال علي كرم الله وجهه قال رسول الله ﷺ تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قيل يا رسول الله وما واد أو جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن في عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنتهي هاوية من

جهنم إلا هاوية أعمق منها قال أبو هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاماً والآن انتهى إلى قعرها ثم انظر إلى تفاوت الدركات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها إلى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه إلا أن أقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما تشككت في شدة عذاب النار فقرب أصبعك في النار وقس ذلك به ثم اعلم أنك أخطأت في القياس فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها هيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هرباً مما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الأخبار حيث قيل أن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضا فأذن لها في نفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدونه في الصيف من حرها وأشد ما تجدونه في الشتاء من زمهريرها وقال أنس بن مالك يؤتى بأنعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا ويؤتى بأشد الناس ضرا في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل رأيت ضرا قط فيقول لا وقال أبو هريرة لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا وقد قال بعض العلماء في قوله تلفح وجوههم النار أنها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحما على عظم إلا ألقته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من أبدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن دلوا من غساق جهنم ألقي في الدنيا لأنتن أهل الأرض فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش فيسقى أحدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه

ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجرة من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وقال تعالى إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ثم إن مرجعهم لالى الجحيم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية وقال إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف من يكون طعامه ذلك وقال أنس قال رسول الله ﷺ ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم فى دنياكم التى أنتم فيها طيبتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم فى دنياكم التى أنتم فيها خبثتها عليكم وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذا غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بشراب فيستغيثون بشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخل الشراب بطونهم قطع ما فى بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال قال فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم إنكم ماكثون قال الأعمش أنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك أخذا فى الزفير والحسرة والويل (وقال أبو أمامة) قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه فوقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال تعالى وإن يستغيثوا يغاثوا

جماء كالمهل يشوى الوجوه فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاعة منظرها وقد سلطت على أهليها وأغريت بهم فهى لاتفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهازمه يعنى أشداقه فيقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الاية وقال رسول الله ﷺ ان فى النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وان فيها العقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب انما تسلط على من سلط عليه فى الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وقى ذلك وقى هذه الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله فى تعظيم أجسام أهل النار فان الله تعالى يزيد فى أجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع اجزائها دفعة واحدة على التوالى قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ ضرس الكافر فى النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث وقال رسول الله ﷺ شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال ﷺ أن الكافر ليجر لسانه فى سجين يوم القيامة يتواطأه الناس ومع عظم الاجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن فى قوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر الان فى بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم فى أول القائهم فى النار قال رسول الله ﷺ يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك وقال انس قال رسول الله ﷺ يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى فى وجوههم كهيئة الاخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت ومادام يؤذن لهم فى البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضا من ذلك (وقال محمد بن كعب) لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل فى أربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا فيقولون ربنا أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بانه إذا دعى الله

وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيجيبهم الله اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب قال مالك ابن أنس رضي الله عنه قال زيد بن اسلم في قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا أجزعنا ام صبرنا وقال ﷺ يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتني ذلك الرجل وروى الحسن رضي الله عنه جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم تبكي فقال أخشى أن يطرحني في النار ولا يبالي فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية له فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم فإنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله ﷺ يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا فيقول الله تعالى ذاك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس

ولم تطيعونى وتركتم الناس ولم تتركوا لى فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم قال احمد بن حرب أن أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح وقال داود إلهى لا صبر لى على حر شمسك فكيف صبرى على حر نارك ولا صبر لى على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يا مسكين فى هذه الاهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون وأن هذا أمر قد قضى وفرغ منه قال الله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ولعمرى الاشارة به الى يوم القيامة بل فى ازل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدرى أن القضاء بماذا سبق فى حقك فان قلت فليت شعرى ماذا موردى والى ماذا مآلى ومرجعى وما الذى سبق به القضاء فى حقى فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهو أن تنظر الى أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا إلا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضى عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين والله أعلم

﴿الباب الأربعون فى فضل الطاعة﴾

اعلم أن طاعة الله سبحانه وتعالى جماع الخير كله وقد حث الله تعالى عليها فى كتابه فى آيات متعددة وبها أرسل الرسل ليخرج الناس من ظلمات النفوس الى أنوار معرفة القدوس وليتمتعوا فى دار النعيم التى أعدت للمتقين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فانهم لم يخلقوا عبثا بل ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى وهو الغنى عن طاعتهم ولا تضره معصيتهم ولا تنقص من كمالاته شيئا فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها والله الغنى وأنتم الفقراء يا عجبا أحدنا يشترى الرقيق ويحب أن يكون قائما بما يلزم من الخدمة ناصحا فيها منقادا لمولاه الذى استولى عليه بالعرض اليسير

الفانى ويمقته بزلة واحده ويغضب عليه وربما منعه مرتبة أوطرده أو باعه فمالنا لا نطيع مولانا الحقيق الذى خلقنا وسوانا ونقع فى زلات عدد المطر ومع ذلك لم يمنع نعمه عنا وامداداته التى لولاها لهلكنا وهو قادر على البطش بنا بمجرد ارتكاب زلة واحدة لكنه يمهلنا لعلنا نتوب فيقبلنا ويغفر زلتنا ويستر عورتنا فالعاقل يعرف من هو الاحق بالطاعة فيقبل عليه ويتوجه بكليته اليه وكلما أذنب تاب والى خالقه أناب ولا ييأس من رحمته ويتحبب اليه بشكر نعمته ويواظب على ذلك عسى أن يكتب من المحبين فيأتيه الموت وهو مشتاق الى مولاه ومولاه أشد شوقا الى لقائه (قال أبو الدرداء) لكعب رضى الله عنهما أخبرنى عن أخص آية يعنى فى التوراة فقال يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقائى وانى الى لقائهم لاشد شوقا قال ومكتوب الى جانبها من طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى فقال أبو الدرداء أشهد أنى لسمعت رسول الله ﷺ يقول هذا وفى أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى قال ياداود أبلغ أهل أرضى أنى حبيب لمن حبنى وجليس لمن جالسنى ومؤنس لمن انس ذكرى وصاحب لمن صاحبنى ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى ما أحبنى عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسى وأحببته حبا لا يتقدمه أحد من خلقى من طلبنى بالحق وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى فارفضوا ياأهل الأرض ماأنتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتى ومصاحبتى ومجالستى وآنسوا بى أؤانسكم وأسارع الى محبتكم فانى خلقت طينة أحبابى من طينة ابراهيم خليلى وموسى نجيى ومحمد صفيى وخلقت قلوب المشتاقين من نورى ونعمتها بجلالى (وروى) عن بعض السلف أن الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين أن لى عبادا من عبادى يحبونى وأحبهم ويشتاقون الى وأشتاق اليهم ويذكرونى وأذكرهم وينظرون الى وأنظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطائر الى وكره عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط بالظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى أقدامهم وافترشوا الى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا الى بانعامى فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعينى مايتحملون من أجلى وبسمعى مايشتكون من حبى أول ما أعطيهم ثلاث أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم والثانية لو كانت

السموات والأرض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه (وفي أخبار داود عليه السلام) أن الله تعالى أوحى إليه يا داود إلى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق إلى قال يارب من المشتاقون إليك قال إن المشتاقين إلى الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم خرقا ينظرون إلى لأحمل قلوبهم بيدي فأضعها على سمائي ثم أدعو نجباء ملائكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فأقول إني لم أدعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين إلى وأباهي بكم أهل الشوق إلى فان قلوبهم لتضيء في سمائي للملائكة كما تضيء الشمس لأهل الأرض يا داود إني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدثي وجعلت أبدانهم موضع نظري إلى الأرض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به إلى يزدادون في كل يوم شوقا قال داود يارب أرني أهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه أربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول فاذا أتيتهم فاقرئهم مني السلام وقل لهم إن ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة فانكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم فأتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله عز وجل فلما نظروا إلى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود إني رسول الله إليكم جئتكم لأبلغكم رسالة ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا أسماعهم نحو قوله وألقوا أبصارهم إلى الأرض فقال داود إني رسول الله إليكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة ألا تنادوني أسمع صوتكم وكلامكم فانكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم وأنظر إليكم في كل ساعة نظرة الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك أفنجترىء على الدعاء وقد علمت أنه لا حاجة لنا في شيء من أمورنا فأدم علينا لزوم الطريق إليك وأتمم لنا بذلك المنة علينا وقال الآخر نحن مقصرون في طلب رضاك فأعنا عليه بجودك وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك أفيجترىء على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال الآخر كلت ألسنتنا عن دعائك لعظم شأنك

وقربك من أوليائك وكثرة منتك على أهل محبتك وقال آخر انت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا فى شكرك وقال الآخر قدعرفت حاجتنا إنماهى النظر الى وجهك وقال الآخر كيف يجترىء العبد على سيده اذأمرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدى به فى الظلمات من أطباق السموات وقال الآخر ندعوك أن تقبل علينا وتديمه عندنا وقال الآخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الآخر لاحاجة لنا فى شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الآخر أسألك من بينهم أن تعمى عينى عن النظر الى الدنيا وأهلها وقلبى عن الاشتغال بغير الآخرة وقال الآخر قد عرفته تباركت وتعاليت انك أنت تحب أوليائك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شى دونك فأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل لهم قدسمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سردابا فانى كاشف الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا نورى وجلالى فقال داود يارب بم نالوا هذه منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بى ومناجاتهم لى وان هذا منزل لايناله إلا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لى واختارنى على جميع خلقى فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بينى وبينه حتى ينظر إلى نظر الناظر بعينه الى الشيء وأريه كرامتى فى كل ساعة وأقربه من نور وجهى إن مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفوقة ولدها وإن عطش أرويته وأذيقه طعم ذكرى فاذا فعلت ذلك به ياداود عميت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحببها اليه لايفتر عن الاشتغال بى يستعجلنى القدوم وأنا أكره أن أميته لانه موضع نظرى من بين خلقى لايرى غيرى ولا ارى غيره فلو رأيته ياداود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه اذسمع بذكرى أباهى به ملائكتى وأهل سمواتى يزداد خوفا وعبادة وعزتى وجلالى ياداود لاقعدنه فى الفردوس ولأشفين صدره من النظر الى حتى يرضى وفوق الرضا (وفى أخبار داود أيضا) قل لعبادى المتوجهين الى محبتى ماضركم اذا احتجبت عن خلقى ورفعت الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا الى بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت دينى لكم وماضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضائى (وفى أخبار داود أيضا) أن الله تعالى أوحى اليه تزعم انك تحبنى فان كنت تحبنى فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبى وحبها لايجتمعان فى قلب ياداود خالص حبيبى مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك

فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به وأما ما أشكل عليك فقلدنيه حقا على انى اسارع الى سياستك وتقويمك وأكون قائدك ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدائد وانى قد حلفت على نفسى إنى لا أثيب إلا عبدا قد عرفت من طلبته وإرادته القاء كنفه بين يدى وأنه لا غنى به عنى فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك وأسكن الغنى قلبك فانى قد حلفت على نفسى أنه لا يطمئن عبد لى إلى نفسه ينظر الى فعالها إلا وكلته اليها أضعف الأشياء التى لا تضاد عملك فتكون متعنيا ولا ينفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتى حداً فليس لها غاية ومتى طلبت منى الزيادة أعطك ولا تجد للزيادة منى حدا ثم أعلم بنى إسرائيل أنه ليس بينى وبين أحد من خلقى نسبه فلتعظم رغبتهم وإرادتهم عندى أبح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعنى بين عينيك وانظر إلى ببصر قلبك ولا تنظر بعينك التى فى رأسك الى الذين حجبت عقولهم عنى فأمرجوها فوسخت بانقطاع ثوابى عنها فانى حلفت بعزتى وجلالى لا أفتح ثوابى لعبد دخل فى طاعتى للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين علم أهل محبتى منزلة المريدين عندى لكانوا لهم أرضا يمشون عليها ياداود لان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندى جهيدا ومن كتبته عندى جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين ياداود تمسك بكلامى وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب عنك محبتى لا تيئس عبادى من رحمتى اقطع شهوتك لى فانما أبحت الشهوات لضعفة خلقى ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتى وإنما عقوبة الأقوياء عندى فى موضع التناول أدنى ما يصل اليهم أن أحجب عقولهم فانى لم أرض الدنيا لحبيبى ونزهته عنها ياداود لا تجعل بينى وبينك عالما يحجبك بسكره عن محبتى أولئك قطاع الطريق على عبادى المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم وإياك والتجربة فى الافطار فان محبتى للصوم إدمانه

﴿الباب الحادى والاربعون فى الشكر﴾

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر فى كتابه مع أنه قال ولذكر الله أكبر فقال تعالى فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون وقال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزى الشاكرين وقال عز وجل أخبارا عن ابليس اللعين

لاقعدن لك صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر طعن اللعين فى الخلق فقال ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادى الشكور وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى لان شكرتم لأزيدنكم واستثنى فى خمسة أشياء فى الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء وقال فيكشف ماتدعون اليه إن شاء وقال ويرزق من يشاء بغير حساب وقال ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من أخلاق الربوبية إذ قال تعالى والله شكور حليم وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (وأما الأخبار) فقد قال رسول الله ﷺ الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر (وروى) عن عطاء أنه قال دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت اخبرينا بأعجب مارأيت من رسول الله ﷺ فبكت وقالت وأى شأنه لم يكن عجبا أتانى ليلة فدخل معى فى فراشى أو قالت فى لحافى حتى مس جلدى جلده ثم قال يا ابنة أبى بكر ذرينى أتعبد لربى قالت قلت انى أحب قربك لكنى أوثر هواك فأذنت له فقام الى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكى حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة فقلت يارسول الله مايبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى على ان فى خلق السموات والأرض الآية وهذا يدل على أن البكاء ينبغى أن لا ينقطع أبدا والى هذا السر يشير ماروى أنه مر بعض الانبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فانا أبكى من خوفه فسأل الله أن يجيره من النار فأجاره ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكى الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته إلا بالبكاء فى حال الخوف والشكر جميعا (وروى) عنه ﷺ أنه قال ينادى يوم القيامة ليقم الحامدون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفى لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء وقال ﷺ الحمد رداء الرحمن وأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام إنى رضيت بالشكر مكافأة من أوليائى فى كلام طويل وأوحى الله تعالى اليه أيضا فى صفة الصابرين أن دارهم دار السلام اذا دخلوها ألهمتهم

الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر سنزيدهم وبالنظر الى أزيدهم ولما نزل فى الكنوز ما نزل وقال عمر رضى الله عنه اى المال يتخذ فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن مسعود الشكر نصف الايمان اعلم ان الشكر يتعلق بالقلب واللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق وأما باللسان فاظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى فى طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته حتى أن شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا فى جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضى عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال ﷺ لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد ﷺ السؤال حتى قال فى الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال ﷺ هذا الذى اردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الوفاء باظهار الشوق كل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شىء الى عبد مملوك لا يقدر على شىء فالاحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف الى الشكوى أن تكون شكواه الله تعالى فهو المبلى والقادر على إزالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل وإظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح قال الله تعالى الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وقال الله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روى أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا أمير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان فى المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة أما الرغبة فقد أوصلها الينا فضلك وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك وإنما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف

(الباب الثانى والاربعون فى بيان ذم الكبر)

قد ذم الله الكبر فى مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وقال عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى انه لا يحب المستكبرين

وقال تعالى لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال تعالى إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين وذم الكبر فى القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى جهنم ولا أبالى وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتواقفا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكى فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعنى عبد الله بن عمرو زعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر اكبه الله فى النار على وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الكافرين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليه السلام يوما للطير والانس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا فى مائتى الف من الانس ومائتى الف من الجن حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح فى السموات ثم خفض حتى مست اقدامه البحر فسمع صوتا يقول لو كان فى قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سىء الملكة وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالى لا يدخلنى إلا الضعفاء من الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله للجنة إنما انت رحمتى ارحم بك من اشاء من عبادى وقال للنار إنما انت عذابى اعذب بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد عبد غفل وسها ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وبغى ونسى المبدأ والمنتهى وعن ثابت انه قال بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال إنى آمركما باثنتين وانهاكما عن اثنتين انهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا إله إلا الله فان السموات والارضين وما فيهما لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله فى الكفة الاخرى كانت ارجح منها ولو ان السموات والأرضين وما فيهن كانت حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شىء وبها يرزق كل شىء وقال المسيح

عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جباراً وقال ﷺ أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المقلون وقال ﷺ إن أحبكم إلينا وأقربكم منا فى الآخرة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال ﷺ يحشر المتكبرون يوم القيامة فى مثل صور الذر تطأهم الناس ذرا فى مثل صور الرجال يعلوهم كل شىء من الصغار ثم يساقون إلى سجن فى جهنم يقال له (١) بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من طين الخبال عصارة أهل النار وقال أبو هريرة قال النبى ﷺ يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور الذر تطأهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد ابن واسع قال دخلت على بلال بن أبى بردة فقلت له يا بلال إن أباك حدثنى عن أبيه عن النبى ﷺ أنه قال إن فى جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار فإياك يا بلال تكون ممن يسكنه وقال ﷺ إن فى النار قصراً يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال ﷺ اللهم إنى أعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لا يحقرن أحد أحداً من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الأحنف فزاحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك فى وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب من ابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات وقد قال وفى أنفسكم أفلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن على ما دخل قلب امرىء شىء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل فى ذلك قل أو كثر وسئل سلمان عن السيئة التى لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر إن للشيطان مصالى وفخوخا وإن من مصالى الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله والفخر بإعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه وقال رسول الله ﷺ لا ينظر الله إلى رجل جر إزاره بطراً وقال ﷺ بينما رجل يتبختر فى بردته إذ أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى

(١) قوله بولس بوحدة مضمومة ولام مفتوحة وسين مهملة كما فى القاموس اهـ

يوم القيامة وقال من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيامة وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول أى بنى أرفع إزارك فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء وروى أن رسول الله ﷺ بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى يا ابن آدم تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقى قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وقال ﷺ إذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس بالروم سلط الله بعضهم على بعض قال ابن الأعرابى هى مشية فيها اختيال وقال ﷺ من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبان وعن أبى بكر الهذلى قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الأهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشى يتبختر ونظر اليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بأنفه ثانى عطفه مصعر خده ينظر فى عطفيه أى حميق أنت تنظر فى عطفيك فى نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير مأخوذ بأمر الله فيها ولا مؤدى حق الله منها فى كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به لفتة والله أن يمشى أحد طبيعته أو يتخلج تخلج المجنون خير له من هذا فسمع ابن الأهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الى وتب الى ربك أما سمعت قول الله تعالى ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال له ابن آدم تعجب بشبابك محب لشمائلك كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال فى مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من فى بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو منى على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد ابن واسع ولده يختال فدعاه وقال أتدرى من أنت أما أمك فاشتريتها بمائة درهم وأما أبوك فلا أكثر الله فى المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلا يجر إزاره فقال ان للشيطان إخوانا كررها مرتين أو ثلاثا (وروى) ان مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر فى جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب أما تعرفنى فقال بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وأنشدوا فى هذا المعنى

عجبت من معجب بصورته وكان بالأمس نطفة مذرة
وفى غد بعد حسن هيئته يصير فى القبر جيفة قذرة

وأنشد خلف الأحمر

لنا صاحب مولع بالخلاف كثير الخطأ قليل الصواب
أشد لجاجا من الخنفساء وأزهى اذا مشى من غراب

(وقال آخر)

قلت للمعجب لما قال مثلى لا يراجع يا قريب العهد بالمخرج لم لا تتواضع

(ومثله لذى النون المصرى)

أيها الشامخ الذى لا يرام نحن من طينة عليك السلام
إنما هذه الحياة الدنيا متاع ومع الموت تستوى الأقدام

وقال مجاهد فى قوله تعالى ثم ذهب إلى أهله يتمطى أى يتبختر والله تعالى أعلم

﴿الباب الثالث والأربعون فى التفكر فى الأيام وغيرها﴾

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز فى مواضع لا تحصى فقال تعالى ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار الآية أى تعاقبهما فى المجىء والذهاب يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب احدها جاء الآخر خلفه أى بعده قال تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة قال عطاء أراد اختلافهما فى النور والظلمة والزيادة والنقصان وما أحسن قول القائل

يا راقد الليل مسروراً بأوله ان الحوادث قد تطرقن أسحارا
لا تفرحن بليل طاب أوله فرب آخر ليل أجج النارا

(وقول آخر)

ان الليالى للأنام مناهل تطوى وتنشر دونها الأعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

وأثنى الله على المتفكرين فقال تعالى الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما أن قوماً تفكروا فى الله عز وجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه خرج على قوم ذات يوم وهم

يتفكرون فقال مالكم لاتتكلمون فقالوا نتفكر فى خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا فى خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يارسول الله فأين الشيطان منهم قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا أمن ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم أم لا وعن عطاء قال انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضى الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت ياعبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول رسول الله ﷺ زرغبا تزدد حبا قال ابن عمير فاخبرينا بأعجب ما رأيتيه من رسول الله ﷺ قال فبكت وقالت كل شيء من أمره كان عجبا أتانى مرة فى ليلتى حتى مس جلده جلدى ثم قال ذرينى أتعبد لربى عز وجل فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يابلال وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله تعالى على فى هذه الليلة إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها فقيل للأوزاعى ما غاية التفكر فيهن قال يقرؤهن ويعقلهن وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبى ذر فسألها عن عبادة أبى ذر فقالت كان نهاره أجمع فى ناحية البيت يتفكر وعن الحسن قال تفكر فى الله ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وقيل لابراهيم إنك تطيل الفكرة فقال الفكر مخ العقل وكان سفيان بن عيينة كثيراً ما يتمثل بقول القائل

اذا المرء كانت له فكرة   ففى كل شيء له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم ياروح الله هل على الأرض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلى وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفى قوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق قال أمنع قلوبهم التفكر فى أمرى وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ أعطوا أعينكم حظها من العبادة فقالوا يارسول الله وما حظها من العبادة قال النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها إلى ما قد أدخر لها فى حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم فى الدنيا

عيش ولم تقر لهم فى الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان إنك تطيل الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان إن طول الوحدة أدوم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة (وقال وهب بن منبه) ما طالت فكرة امرىء قط إلا علم وما علم امرؤ قط إلا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة فى نعم الله عز وجل من أفضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن على ورآه ساكتا متفكراً أين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر الناس فى عظمة الله ما عصوا الله عز وجل وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وبينا أبو شريح يمشى إذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكى فقيل له ما يبكيك قال تفكرت فى ذهاب عمرى وقلة عملى واقتراب أجلى وقال ابو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال ابو سليمان أيضا الفكر فى الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكر فى الآخرة يورث الحكمة ويحيى القلوب (وقال حاتم) من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكر فى الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه ويروى أن الله تعالى قال فى بعض كتبه أنى لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر إلى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لى جعلت صمته تفكرا وكلامه حمداً وان لم يتكلم وقال الحسن ان أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال إسحق بن خلف كان داود الطائى رحمه الله تعالى على سطح فى ليلة قمراء فتفكر فى ملكوت السموات والأرض وهو ينظر الى السماء ويبكى حتى وقع فى دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن أنه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذى طرحك من السطح قال ماشعرت بذلك وقال الجنيد اشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يالها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعى رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال أيضا صحة النظر فى الأمور نجاة من الغرور والعزم فى الرأى سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات فى النفس وقوة فى البصيرة ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تقدم وقال ايضا الفضائل

أربع إحداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس

﴿ الباب الرابع والأربعون في بيان شدة الموت ﴾

عن الحسن أن رسول الله ﷺ ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وسئل ﷺ عن الموت وشدته فقال إن أهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف ودخل ﷺ على مريض ثم قال إني أعلم ما يلقى ما منه عرق إلا ويألم للموت على حدته وكان علي كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من موتي على فراش وقال الأوزاعي بلغنا أن الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن أوس الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة وإذا كان للكافر معروف لم يجز به هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيراً من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فأنت كيف تجده فقال كأن السموات مطبقة على الأرض وكأن نفسي يخرج من ثقب إبرة وقال ﷺ موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر (وروي) عن مكحول عن النبي ﷺ أنه قال لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله تعالى لأن في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء إلا مات ويروى لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت ويروى أن ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال أما أنا قد هونا عليك وروي عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه الى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وروي عنه أنه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب وروي عن النبي ﷺ أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون علي سكرات الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم

وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين
إن الموت كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه
رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى وقال النبي ﷺ إن العبد ليعالج كرب الموت
وسكراته وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم
القيامة فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي
وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فإن دواهي الموت ثلاث الأولى شدة النزع
كما ذكرناه الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على
القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته
فقد روي عن ابراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني صورتك
التي تقبض عليها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عني فأعرض عنه ثم التفت
فاذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار
والدخان فغشي على ابراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال
يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه وروى أبو هريرة
عن النبي ﷺ أن داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان إذا خرج غلق الأبواب فغلقها
ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فاذا هي برجل في الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن
جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا
يمنعهم مني الحجاب فقال فأنت والله إذاً ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه وروى
أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله
أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على
سرير ملكي إذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فياليت
مكان من تلك الجموع كان فرقة وياليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية
يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها
من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف
برؤيته في مثل تلك الحال وأما المطيع فانه يراه في أحسن صورة وأجملها فقد روى عكرمة
عن ابن عباس أن ابراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج أغلقه
فرجع ذات يوم فاذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك داري فقال أدخلنيها ربها فقال

أنا ربها فقال أدخلنيها من هو أملك بها مني ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض عني ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا وإن كان فاجراً قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدا الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم مالم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشرين أما أبشر يا عدو الله بالنار أو ابشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا كان خوف أرباب الألباب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار

﴿ الباب الخامس والاربعون في بيان القبر وسؤاله ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي إذ كنت تمر بي فذاذا فان كان مصلحا أجاب عنه مجيب للقبر فيقول أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر إني إذا أتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى الله تعالى والفذاذ هو الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فسره الراوي وقال عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وإن كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة أنا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن صبيح بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر أما كان لك في متقدمنا إياك فكرة أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت في المهلة فلا استدركت ما فات إخوانك وتاديه بقاع الأرض أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن

الارض بمن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله الى القبور وأنت تراه محمولا تهاداه أحبته الى المنزل الذى لا بد له منه (وقال يزيد الرقاشى) بلغنى أن الميت اذا وضع فى قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت أيها العبد المنفرد فى حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا وقال كعب إذا وضع العبد الصالح فى القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال فى القيام لله عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله فى دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبى فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئاً طبت حياً وطبت ميتاً قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشاً من الجنة ودثاراً من الجنة ويفسح له فى قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضىء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره وقال عبيد الله بن عبيد بن عمير فى جنازة بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شىء إلا قبره يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتنى وحذرت ضيقى ونتنى وهولى ودودى فماذا أعددت لى وقال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكساً رأسه ثم قال اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثاً ثم قال إن المؤمن اذا كان فى قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك فى السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل أى رب عبدك فلان فيقول أرجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فانى وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهره انتهاراً شديداً وهى آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب

الريح حسن الثياب فيقول أبشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بخير من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله علمت أن كنت لسريعا الى طاعة الله تعالى بطيئاً عن معصية الله فجزاك الله خيراً قال ثم ينادي مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له باباً الى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب إلى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع الى أهلي ومالي قال وأما الكافر فانه إذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل أي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول الله عز وجل أرجعوه فأروه ما أعددت له من الشر إني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وإنه ليسمع خفق نعالهم إذ ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول أبشر بسخط الله وبعذاب أليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله إن كنت لسريعا الى معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شراً فيقول وأنت فجزاك الله شراً ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار تراباً فيضربه بها ضربة فيصير تراباً ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الأرضين ليس الثقلين قال ثم ينادي مناد أن افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له باباً الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن علي ما من ميت يموت إلا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص إلى حسناته ويطرق عن سيئاته وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضية مرضياً عنك إلى روح الله وكرامته فاذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعاً شديداً ويقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه فاذا أخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وان لها نشيشاً ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين (وعن محمد بن كعب القرظي) أنه كان يقرأ

قوله تعالى حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال أى شيء تريد وفى أي شيء ترغب أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبنى البنيان وتشقق الأنهار قال لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا إنها كلمة هو قائلها أى ليقولنها عند الموت وقال أبو هريرة قال النبي ﷺ المؤمن فى قبره روضة خضراء ويرحب له فى قبره سبعون ذراعا ويضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيماذا أنزلت فان له معيشة ضنكا قال الله ورسوله أعلم قال فى عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلحسونه وينفخون فى جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغى أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان عدد هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فان لها أصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها بأقسام وتلك الصفات بأعيانها هى المهلكات وهى بأعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوى منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذى إيذاء الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها إلا أن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة فامثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغى أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الايمان التصديق والتسليم

﴿ الباب السادس والأربعون فى بيان علم اليقين وعين اليقين والسؤال يوم العرض ﴾

قال الله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين يعنى لو تعلمون أمر القيامة باليقين لألهاكم عن ذلك أى عن التكاثر والتفاخر ولفعلتم ما ينفعكم من الخير ولتركتم ما لا ينفعكم ويقال حقا لو تعلمون علم اليقين كما يعلمه الرسل أن المال والحساب فى الفخر لا ينفعكم يوم القيامة ما افتخرتم بالمال وكثرة العدد لترون الجحيم أقسم الرب إنكم لترون النار وشدتها يوم القيامة عيانا ثم لترونها عين اليقين يعنى لترون الجحيم الرؤية التى هى نفس اليقين وهى المشاهدة والمعاينة التى لا شك فيها فان قيل الفرق بين علم اليقين وعين اليقين قيل له علم اليقين كان الانبياء بنبوتهم وعين اليقين للملائكة لأنهم يعاينون الجنة والنار واللوح والقلم والعرش والكرسي فتكون لهم عين اليقين وإن شئت قلت علم اليقين علم الموت والقبور للأحياء لأنهم يعرفون بان الاموات فى القبور ولكن لا يدرون كيف حالهم فيها وعين اليقين للأموات لانهم عاينوا القبور إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار وإن شئت قلت علم اليقين علم القيامة وعين

اليقين معاينة القيامة وألهو الهاو ان شئت قلت علم اليقين علم الجنة والنار وعين اليقين الرؤية ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يعني لتسئلن يوم القيامة عن نعيم الدنيا من صحة الابدان والاسماع والابصار والمكاسب وملاذ المآكل والمشارب وغير ذلك هل أديتم شكرها لموليها وعرفتموها بها أم كفرتم بها (أخرج) ابن ابي حاتم وابن مردويه عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قرأ رسول الله ﷺ ألهاكم التكاثر يعني عن الطاعات حتى زرتم المقابر يقول حتى يأتيكم الموت كلا سوف تعلمون يعني لو قد دخلتم قبوركم ثم كلا سوف تعلمون يقول لو قد خرجتم من قبوركم الى محشركم كلا لو تعلمون علم اليقين قال لو قد وقفتم على أعمالكم بين يدي ربكم لترون الجحيم وذلك لأن الصراط يوضع وسط جهنم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكدوش في نار جهنم ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم وعن علي رضي الله عنه قال النعيم العافية وعنه قال من أكل خبز البر وشرب من الفرات مبردا وكان له منزل يسكنه فذلك من النعيم الذي يسئل عنه وعن أبي قلابة عن النبي ﷺ في الآية قال ناس من أمتي يعقدون السمن والعسل النقي فيأكلونه وعن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية قال الصحابة يا رسول الله أي نعيم نحن فيه وانا نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير فأوحى الله الى نبيه ﷺ قل لهم أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم (وروى) الترمذي وغيره أنه لما نزلت ألهاكم التكاثر فقرأ حتى بلغ النعيم قالوا يا رسول الله أي نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أي نعيم نسئل قال أما ان ذلك سيكون وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان أول ما يسئل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد (وروى) مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج النبي ﷺ فاذا هو بابي بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما فقوما فقاما معه فأتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا فقال النبي ﷺ أين فلان فقالت انطلق يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله ﷺ وصاحبيه فقال الحمد لله ما أجد اليوم أكرم أضيافا مني فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر فقال كلوا من هذا وأخذ المدية فقال له رسول الله ﷺ اياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما

والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة

﴿ الباب السابع والأربعون فى فضل ذكر الله تعالى ﴾

قال الله تعالى فاذكرونى أذكركم قال ثابت البنانى رحمه الله انى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرته ذكرنى وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وقال عز وجل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس رضى الله عنهما اى بالليل والنهار فى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى فى ذم المنافقين ولا يذكرون الله إلا قليلا وقال عز وجل واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله أكبر قال ابن عباس رضى الله عنهما له وجهان احدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه الى غير ذلك من الايات وقال رسول الله ﷺ ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم وقال ﷺ ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل بين الفارين وقال ﷺ يقول الله عز وجل أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت شفتاه بى وقال ﷺ ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله وقال ولا الجهاد فى سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال ﷺ من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وسئل رسول الله ﷺ أى الأعمال أفضل فقال ان تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل وقال ﷺ أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة وقال ﷺ لذكر الله عز وجل بالغداة والعشى افضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن عطاء المال سحا وقال ﷺ يقول الله تبارك وتعالى إذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملأه واذا تقرب

منى شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الى هرولت اليه يعنى بالهرولة سرعة الإجابة وقال ﷺ سبعة يظلهم الله عز وجل فى ظله يوم لا ظل الا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله وقال

أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وماذاك يارسول الله قال ذكر الله عزوجل دائما وقال ﷺ قال الله عزوجل من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ماأعطى السائلين وقال الفضيل بلغنا أن الله عزوجل قال ياعبدى أذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك مابينهما وقال بعض العلماء ان الله عزوجل يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عزوجل بين نفسك وبين الله عزوجل ماأحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عندما حرم الله عزوجل ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله عزوجل وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ليس يتحسر أهل الجنة على شيء الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها وقال رسول الله ﷺ ماجلس قوم مجلسا يذكرون الله عزوجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده وقال ﷺ مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيآتكم حسنات وقال ﷺ ماقعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبى ﷺ الا كان عليهم حسرة يوم القيامة وقال داود عليه السلام إلهى اذا رأيتنى أجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم فانها نعمة تنعم بها على وقال ﷺ المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السوء وقال ابو هريرة رضى الله عنه أن أهل السماء ليتراؤون بيوت أهل الأرض التى يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله اذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين مايصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا أخذت بأعناقهم اليك وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم فى المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا ياأباهريرة مارأينا ميراثا يقسم فى المسجد قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عزوجل ويقرؤن القرآن قال فذلك ميراث رسول الله ﷺ (وروى) الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى عنه ﷺ أنه قال ان الله

عز وجل ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم الى السماء فيقول الله تبارك وتعالى أى شيء تركتم عبادى يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأونى فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأونى فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من أى شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد نفورا فيقول الله عز وجل وأى شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا فيقول جل جلاله انى أشهدكم أنى قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم وقال ﷺ أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له وقال ﷺ من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرز من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك وقال ﷺ ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء

﴿الباب الثامن والأربعون فى فضائل الصلوات﴾

قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال ﷺ خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة وقال ﷺ مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من دونه قالوا لا شيء قال ﷺ فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال ﷺ ان الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ومعنى يذهبنها يكفرنها حتى كأنها لم تكن وأخرج البخارى ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن ابن مسعود أن

رجلا أصاب من امرأة قبلة فاتى النبى ﷺ فذكر ذلك له كأنه يسأل عن كفارتها فنزلت عليه وأقم الصلاة طرفى النهار الآية فقال الرجل يارسول الله الى هذا قال هى لمن عمل بها من أمتى وأخرج احمد ومسلم وغيرهما عن ابى أمامة أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال يارسول الله أقم فى حد الله مرة أو مرتين فاعرض عنه ثم أقيمت الصلاة فلما فرغ قال أين الرجل قال انا ذا قال أتممت الوضوء وصليت معنا آنفا قال نعم قال فانك من خطيئتك كيوم ولدتك امك فلا تعد وأنزل الله على رسوله حينئذ وأقم الصلاة طرفى النهار الآية وقال ﷺ بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال ﷺ من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ بشىء من حسناته وقال ﷺ الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين وسئل ﷺ أى الاعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها وقال ﷺ من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال ﷺ مفتاح الجنة الصلاة وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب اليه من الصلاة ولو كان شىء أحب اليه منها لتعبد به ملائكته فنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد وقال النبى صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر أى قارب أن ينخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة أنه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا فقد برىء من ذمة محمد عليه السلام وقال أبو هريرة رضى الله عنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلاة فانه فى صلاة ما كان يعمد الى الصلاة وأنه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة وتمحى عنه بالأخرى سيئة فاذا سمع أحدكم الاقامة فلا ينبغى له أن يتأخر فان أعظمكم أجرا ابعدكم دارا قالوا لما يا ابا هريرة قال من اجل كثرة الخطا وقال رسول الله ﷺ ما تقرب العبد الى الله بشىء افضل من سجود خفى وقال رسول الله ﷺ مامن مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة (وروى) ان رجلا قال لرسول الله ﷺ ادع الله ان يجعلنى من اهل شفاعتك وان يرزقنى مرافقتك فى الجنة فقال عليه الصلاة والسلام اعنى بكثرة السجود وقيل اقرب مايكون العبد من الله تعالى ان يكون ساجدا وهو معنى قوله عز وجل واسجد واقترب وقال عز وجل سيماهم فى وجوههم من أثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهى الأصح وقيل هى الغرر التى تكون فى وجوههم يوم القيامة من

اثر الوضوء وقال عليه الصلاة والسلام اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول ياويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلي النار (ويروى) عن على بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد فى كل يوم ألف سجدة وكان يسمونه السجاد (ويروى) أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب وكان يوسف بن سباط يقول يامعشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقى احد احسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بينى وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شيء من الدنيا إلا على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة فى العبد أحب الى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة فيها العبد اقرب الى الله عز وجل منه حيث يخر ساجدا وقال ابو هريرة رضى الله عنه اقرب ما يكون العبد الى الله عز وجل اذا سجد فاكثروا الدعاء عند ذلك

﴿الباب التاسع والأربعون فى بيان عقوبة تارك الصلاة﴾

قال تعالى مخبرا عن اصحاب الجحيم ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين واخرج احمد بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة ومسلم بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة وأبو داود والنسائى ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة والترمذى بين الكفر والايمان ترك الصلاة وابن ماجه بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة وصح كما رواه الترمذى وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر والطبرانى باسناد لا بأس به من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا وفى رواية بين العبد والكفر او الشرك ترك الصلاة فاذا ترك الصلاة فقد كفر وفى اخرى ليس بين العبد والشرك إلا ترك الصلاة فاذا تركها فقد اشرك وفى اخرى اخرى سندها حسن عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاث عليهن اسس الاسلام من ترك واحدة منهم فهو بها كافر حلال الدم شهادة ان لا إله إلا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان وفى اخرى سندها حسن ايضا من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله والطبرانى وغيره باسنادين لا بأس بهما عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه اوصانى خليلى عليه الصلاة والسلام بسبع خلال قال لا تشركوا بالله شيئا وإن قطعتم او حرقتم او صلبتم ولا تتركوا الصلاة تعمدا فمن تركها متعمدا فقد خرج من الملة ولا تركبوا المعصية فانها سخط الله ولا تشربوا الخمر فانها راس الخطايا كلها الحديث والترمذى كان اصحاب محمد عليه الصلاة والسلام لا يرون شيئا من الاعمال تركه كفر غير

الصلاة وصح خبر بين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة فاذا تركها فقد أشرك والبزار لاسهم فى الاسلام لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له والطبرانى لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له إنما موضع الصلاة من الدين كوضع الرأس من الجسد وابن ماجه والبيهقى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال أوصانى خليلى ﷺ أن لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وإن أحرقت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة ولا تشرب الخمر فانها مفتاح كل شر والبزار وغيره بسند حسن عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قام بصرى أى ذهب مع بقاء صحة الحدقة قيل نداويك وتدع الصلاة أياما قلت لا ان رسول الله ﷺ قال من ترك الصلاة لقى الله وهو عليه غضبان والطبرانى بسند لا بأس به فى المتابعات أتى رسول الله ﷺ رجل فقال يا رسول الله علمنى عملا اذا أنا عملته دخلت الجنة قال لا تشرك بالله شيئا وإن عذبت وحرقت واطع والديك وإن أخرجاك من مالك ومن كل شىء هو لك ولا تترك الصلاة متعمدا فان من ترك الصلاة متعمدا فقد برءت منه ذمة الله الحديث وفى رواية سندها صحيح لكن فيه انقطاع لا تشرك بالله شىء وان قتلت وحرقت ولا تعقن والديك وان امراك أن تخرج من أهلك ومالك ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فان من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برءت منه ذمة الله ولا تشربن خمرا فانه أى شربها رأس كل فاحشه وإياك والمعصية فان بالمعصية حل سخط الله وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس وإن اصاب الناس موت فاثبت وانفق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم أدبا وأخفهم فى الله وابن حبان فى صحيحه بكروا بالصلاة فى يوم الغيم فانه من ترك الصلاة فقد كفر والطبرانى عن أميمة مولاة رسول الله ﷺ قالت كنت أصب على رأس رسول الله ﷺ وضوءه فدخل رجل فقال اوصنى فقال لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقت بالنار ولا تعص والديك وإن أمراك أن تخلى من أهلك ودنياك فتخله ولا تشربن خمرا فانها مفتاح كل شر ولا تتركن صلاة متعمدا فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله ورسوله الحديث (وأبو نعيم) من ترك الصلاة متعمدا كتب الله اسمه على باب النار ممن يدخلها والطبرانى والبيهقى من ترك الصلاة فانما وتر أهله وماله والحاكم عن على أنه ﷺ قال والله يا معشر قريش لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لأبعثن عليكم رجلا فيضرب أعناقكم على الدين الحديث والبزار لاسهم فى الاسلام لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له واحمد مرسلا اربع فرضهن الله فى الاسلام

فمن أتى بثلاث لم يغنين عنه شيئا حتى يأتي بهن جميعا الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت والاصبهاني من ترك صلاة متعمدا أحبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله حتى يراجع الله عز وجل توبة والطبراني من ترك الصلاة فقد كفر جهارا واحمد بسند صحيح لكن فيه انقطاع لا تترك الصلاة متعمدا فانه من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله وابن ابي شيبة والبخاري في تاريخه موقوفا عن علي رضي الله عنه قال من لم يصل فهو كافر ومحمد بن نصر وابن عبد البر موقوفا على ابن عباس من ترك الصلاة فقد كفر وابن نصر موقوفا على ابن مسعود قال من ترك الصلاة فلا دين له وابن عبد البر موقوفا على جابر من لم يصل فهو كافر وابن عبد البر وغيره موقوفا على ابي الدرداء قال لا إيمان لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له وقال ابن أبي شيبة قال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة فقد كفر وقال محمد ابن نصر سمعت اسحق يقول صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان تارك الصلاة كافر وكذلك كان رأى اهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم ان تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر وقال ايوب ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب قال ابن مسعود ليس معنى اضاعوها تركوها بالكلية ولكن اخروها عن اوقاتها وقال سعيد بن المسيب امام التابعين هو ان لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا يصلي العصر الى المغرب ولا يصلي المغرب الى العشاء ولا يصلي العشاء الى الفجر ولا يصلي الفجر الى طلوع الشمس فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب اوعده الله بغي وهو واد في جهنم بعيد قعره شديد عقابه وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون قال جماعة من المفسرين المراد بذكر الله هنا الصلوات الخمس فمن اشتغل عن الصلاة في وقتها بماله كبيعه اوصنعته اوولده كان من الخاسرين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فان صلحت فقد أفلح وأنجح وإن نقصت فقد خاب وخسر وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال صلى الله عليه وسلم هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها واخرج احمد بسند جيد والطبراني وابن حبان في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة فمن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي ابن خلف قال بعض العلماء وإنما حشر مع هؤلاء لانه اشتغل عن الصلاة بماله اشبه قارون

يحشر معه أو بملكه أشبه فرعون فيحشر معه أو بوزارته أشبه هامان فيحشر معه أو بتجارته أشبه أبي بن خلف تاجر كفار مكة فيحشر معه والبزار عن سعد بن أبي وقاص قال سألت النبي ﷺ عن قول الله عز وجل الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن أوقاتها وأبو يعلى بسند حسن عن مصعب بن سعيد قال قلت لأبي يا أبتاه أرأيت قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون أينا لا يسهو أينا لا يحدث نفسه قال ليس ذاك إنما هو إضاعة الوقت والويل شدة العذاب وقيل واد في جهنم لو سير فيه جبال الدنيا لذابت في شدة حره فهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله تعالى ويندم على ما فرط وابن حبان في صحيحه من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله والحاكم بسند فيه من اختلف في توثيقه والأكثر على عدمه فكأنما جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر والشيخان الأربعة الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر بأهله وماله زاد ابن خزيمة في صحيحه قال مالك تفسيره ذهاب الوقت والنسائي من الصلاة صلاة من فاتته فكأنما وتر أهله وماله يعني العصر ومسلم والنسائي ان هذه الصلاة يعني العصر عرضت على من كان قبلكم فضيعوها فمن حافظ منكم اليوم عليها كان له أجره اليوم مرتين ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد أي النجم وأحمد والبخاري والنسائي من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله وأحمد بإسناد صحيح وابن أبي شيبة من ترك صلاة العصر متعمدا حتى تفوته فقد حبط عمله وابن أبي شيبة مرسلا من ترك العصر حتى تغيب الشمس من غير عذر فقد حبط عمله وعبد الرزاق لان يؤثر أحدكم أهله وماله خير له من أن يفوته صلاة العصر والطبراني وأحمد من ترك صلاة العصر متعمدا حتى تغرب الشمس فكأنما وتر أهله وماله والشافعي والبيهقي من فاتته الصلاة فكأنما وتر أهله وماله والبخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا فيقص عليه ما شاء الله أن يقص وأنه قال لنا ذات غداة أنه أتاني الليلة آتيان وانهما فبعثا بي وانهما قالا لي انطلق وإني انطلقت معهما وانا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيبلغ رأسه فيتدهده الحجر أي فيتدحرج فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل في المرة الأولى قال قلت لهما سبحان الله ما هذا قالا لي انطلق انطلق فأتينا على رجل مستلق على قفاه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر أي يشق شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعيناه إلى

قفاه قال وربما قال أبو رجاء فيشق قال ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى قال قلت سبحان الله ما هذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور قال فاحسب أنه كان يقول فاذا فيه لغط وأصوات قال فاطلعنا عليه فاذا فيه رجال ونساء عراة واذاهم يأتيهم لهب من أسفل منهم فاذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا أى بفتح المعجمتين وسكون الواوين صياح مع انضمام وفزع قال قلت ما هؤلاء قال لى انطلق انطلق قال فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول احمر مثل الدم واذا في النهر رجل سابح يسبح واذا على شاطىء النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة فيلقمه حجرا فينطلق فيسبح ثم يرجع اليه كلما رجع اليه فغر أى بفاء فمعجمة مفتوحتين فتح فاه فالقمه حجرا قلت لهما ما هذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة كاكره ما أنت راء رجلا مرئيا واذا عنده نار يحشها أى بمهملة مضمومة فمعجمة يوقدها ويسعى حولها قال قلت لهما ما هذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا على روضة معتمة أى طويلة النبات من أعتم اذا طال فيها من كل نور الربيع واذا بين ظهران الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء واذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قال قلت ماهذا ما هؤلاء قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على دوحة عظيمة لم أر دوحة قط أعظم ولا أحسن منها قال لى ارق فيها فارتقينا فيها الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر منهم كاقبح ما أنت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر قال اذا النهر معترض يجرى كان ماءه المحض أى الخالص في البياض فذهبوا فوقعوا ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قال لى هذه جنة عدن وهذا منزلك قال فسما أى ارتفع بصرى صعدا بضمتين فوق فاذا قصر مثل الربابة اى السحابة البيضاء قالا لى هذا منزلك قال قلت لهما بارك الله فيكما فذرانى فادخله قالا أما الآن فلا وأنت داخله قال قلت لهما فانى رأيت منذ الليلة عجبا فما هذا الذى رأيت قالا لى انا سنخبرك أما الرجل الأول الذى أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فانه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة وأما الرجل الذى أتيت عليه يشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعيناه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فانهم

الزناة والزوانى وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى النهر ويلقم الحجر فانه آكل الربا وأما الرجل الكريه المرآة الذى عند النار يحشها ويسعى حولها فانه مالك خازن النار وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة فانه إبراهيم وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة فقال بعض المسلمين يارسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ وأولاد المشركين وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم وفى حديث البزار قال ثم أتى النبى ﷺ على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شىء قال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تثاقلت رؤوسهم عن الصلاة وأخرج الخطيب وابن النجار علم الاسلام الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدها ووقتها وسنتها فهو مؤمن وابن ماجه قال الله تعالى افترضت على أمتك خمس صلوات وعهدت عندي عهدا أن من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي وأحمد والحاكم من علم أن الصلاة عليه حق واجب وأداها دخل الجنة والترمذى وقال حسن غريب والنسائى وابن ماجه أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فان صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر وإن انتقص من فريضته قال الرب انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك والنسائى أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة وأول ما يقضى به بين الناس فى الدماء وأحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فان كان أتمها كتبت له تامة وإن لم يكن أتمها قال للملائكته أنظروا هل تجدون لعبدى من تطوع فيكملون بها فريضته ثم الزكاة كذلك ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك والطبرانى أول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة ينظر فى صلاته فإن صلحت فقد أفلح وإن فسدت فقد خاب وخسر وابن عساكر أول ما يحاسب به العبد صلاته فان صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله ثم يقول انظروا هل لعبدى نافلة فان كانت له أتم بها الفريضة ثم الفرائض كذلك لعائدة الله ورحمته وأحمد وأبو داود والنسائى والحاكم أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة فيقول ربنا عز وجل للملائكته وهو أعلم أنظروا فى صلاة عبدى أتمها أم نقصها فان كانت تامة كتبت تامة وإن كان انتقص منها شيئاً قال انظروا هل لعبدى من تطوع فان كان له تطوع أتموا

لعبدي فريضته من تطوعه ثم يأخذ الأعمال على ذا كم والطيالسي والطبراني والضياء في المختارة أتاني جبريل من عند الله تبارك وتعالى فقال يا محمد إن الله عز وجل يقول إني افترضت على أمتك خمس صلوات فمن أوفى بهن على وضوئهن ومواقيتهن وركوعهن وسجودهن كان له بهن عهد أن أدخله الجنة ومن لقيني قد انتقص من ذلك شيئاً فليس له عندي عهد إن شئت عذبته وإن شئت رحمته والبيهقي للصلاة ميزان فمن أوفى استوفى والديلمي الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تكسر ظهره والتحابب في الله والتودد في العلم يقطع دابره فاذا فعلتم ذلك تباعد منكم كمطلع الشمس من مغربها والترمذي وابن حبان والحاكم اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا ذوي أمركم تدخلوا جنة ربكم وأحمد والشيخان وأبو داود والنسائي أحب الأعمال الى الله الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله والبيهقي عن عمر رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أي الأعمال أحب الى الله في الاسلام فقال الصلاة لوقتها ومن ترك الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين ولذلك لما طعن عمر رضي الله عنه قيل له الصلاة يا أمير المؤمنين قال نعمت أما انه لا حظ لأحد في الاسلام أضاع الصلاة وصلى رضي الله عنه وجرحه يجري دمه (وروى) الذهبي أنه ﷺ قال إذا صلى العبد الصلاة في أول الوقت صعدت الى السماء ولها نور حتى تنتهي الى العرش فتستغفر لصاحبها الى يوم القيامة وتقول حفظك الله كما حفظتني واذا صلى العبد الصلاة في غير وقتها صعدت الى السماء وعليها ظلمة فاذا انتهت الى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وأخرج أبو داود أنه ﷺ قال ثلاث لا يقبل الله منهم صلاتهم وذكر منهم من أتى الصلاة دبارا أي بعد أن تفوته قال بعضهم وورد في الحديث أن من حافظ على الصلاة أكرمه الله بخمس خصال يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطيه الله تعالى كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق ويدخل الجنة بغير حساب ومن تهاون عن الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة خمس في الدنيا وثلاث عند الموت وثلاث في قبره وثلاث عند خروجه من القبر فاما اللواتي في الدنيا فالأولى تنزع البركة من عمره والثانية تمحى سيما الصالحين من وجهه والثالثة كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه والرابعة لا يرفع له دعاء الى السماء والخامسة ليس له حظ في دعاء الصالحين وأما التي تصيبه عند الموت فانه يموت ذليلا والثانية يموت جائعاً والثالثة يموت عطشاناً ولو سقي بحار الدنيا ما روي من عطشه

وأما التي تصيبه في قبره فالأولى يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه والثانية يوقد عليه القبر نارا فيتقلب على الجمر ليلا ونهارا والثالثة يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول أمرني ربي أن أضربك على تضييع صلاة الصبح الى طلوع الشمس وأضربك على تضييع صلاة الظهر الى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر الى المغرب وأضربك على تضييع صلاة المغرب الى العشاء وأضربك على تضييع صلاة العشاء الى الفجر فكلما ضربه ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعا فلا يزال في القبر معذبا الى يوم القيامة وأما التي تصيبه عند خروجه من القبر في موقف القيامة فشدة الحساب وسخط الرب ودخول النار وفي رواية فانه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات السطر الأول يا مضيع حق الله السطر الثاني يا مخصوصا بغضب الله السطر الثالث كما ضيعت في الدنيا حق الله فآيس اليوم أنت من رحمة الله وما ذكر في هذا الحديث من تفصيل العدد لا يوافق جملة الخمس عشرة لأن المفصل أربع عشرة فقط فلعل الراوي نسي الخامس عشر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا كان يوم القيامة يؤتى برجل فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر الله به الى النار فيقول يارب بماذا فيقول تعالى بتأخيرك الصلاة عن اوقاتها وحلفك بي كاذبا قال بعضهم أيضا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوما لأصحابه قولوا اللهم لاتدع فينا شقيا ولا محروما ثم قال صلى الله عليه وسلم أتدرون من الشقي المحروم قالوا ومن هو يارسول الله قال تارك الصلاة قال أيضا ويروى أنه أول ما تسود يوم القيامة وجوه تاركي الصلاة وان في جهنم واديا يقال له الملم فيه حيات كل حية بثخن رقبة البعير طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلي سمها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه قال وروى أن امرأة من بني إسرائيل جاءت الى موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر النبيين فقالت يانبي الله أذنبت ذنبا عظيما وقد تبت الى الله تعالى فادع الله أن يغفر لي ذنبي ويتوب علي فقال لها موسى وما ذنبك قالت يانبي الله زنيت وولدت ولدا وقتلته فقال لها موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام أخرجي يافاجرة لئلا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال ياموسى الرب تعالى يقول لك لم رددت التائبة ياموسى أما وجدت شرا منها قال موسى ياجبريل ومن شر منها قال تارك الصلاة عامدا متعمدا وأيضا روي عن بعض السلف

أنه دفن أختاله ماتت فسقط منه كيس فيه مال فى قبرها ولم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ثم تذكره فرجع إلى قبرها فنبشه بعدما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارا فرد التراب عليها ورجع إلى أمه باكيا حزينا فقال يا أماه أخبريني عن أختي وما كانت تعمل قالت وما سؤالك عنها قال يا أماه رأيت قبرها يشتعل نارا قال فبكت وقالت يا ولدى كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلى فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها بكمالاتها فى أوقاتها انه جواد كريم رؤف رحيم

﴿الباب الخمسون فى بيان عرصات جهنم وعذابها﴾

قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم والمراد بالجزء هنا الحزب والطائفة والفريق وقيل المراد بالأبواب الأطباق طبق فوق طبق قال ابن جريج النار سبع دركات وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية فأعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين فجهنم أعلى الطبقات ثم بعدها تحتها ثم كذلك كذا قيل والمعنى أن الله تعالى يجزى أتباع إبليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار والسبب فيه أن مراتب الكفر والمعاصى مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم فى النار وقيل جعلت سبعة على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لأنها مصادر السيئات فكانت مواردها الأبواب السبعة وعن على رضى الله عنه قال أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيملأ الأول ثم الثانى ثم الثالث حتى تملأ كلها وأخرج البخارى فى تاريخه والترمذى عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتى (وروى) الطبرانى فى الأوسط أن جبريل جاء إلى النبى ﷺ فى غير حينه الذى كان يأتيه فيه فقام اليه رسول الله ﷺ فقال يا جبريل مالى أراك متغير اللون فقال ما جئتك حتى أمر الله تعالى بمنافخ النار فقال رسول الله ﷺ يا جبريل صف لى النار أو انعت جهنم فقال جبريل ان الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يضىء شررها ولا يطفأ لهبها والذى بعثك بالحق نبيا لو أن قدر ثقب ابرة فتح من جهنم لمات من فى الأرض كلهم جميعا والذى بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز الى أهل الدنيا لمات من فى الارض كلهم جميعا من قبح وجهه ونتن ريحه

والذي بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى فقال رسول الله ﷺ حسبي ياجبريل لا ينصدع قلبي فأموت قال فنظر رسول الله ﷺ الى جبريل وهو يبكي فقال تبكي ياجبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به فقال مالي ولا أبكي وأنا أحق بالبكاء لعلي أكون في علم الله على غير الحالة التي أنا عليها وما أدري لعلي أبتلى بما ابتلى به ابليس فقد كان من الملائكة وما أدري لعلي أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت قال فبكى النبي ﷺ وبكى جبريل فما زالا يبكيان حتى نودي أن ياجبريل ويامحمد إن الله تعالى قد آمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل وخرج رسول الله ﷺ فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أسغتم الطعام والشراب ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل فنودي يامحمد لا تقنط عبادي إنما بعثتك مبشرا لم أبعثك معسرا فقال ﷺ سددوا وقاربوا وروى الامام احمد أنه ﷺ قال لجبريل مالي لا أرى ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار (وروى) مسلم أن رسول الله ﷺ قال يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها

﴿الباب الحادي والخمسون في بيان عذاب جهنم أيضا﴾

(روى) أبو داود والنسائي والترمذي وصححه واللفظ له لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال انظر اليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فجاء ونظر اليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع اليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فأمر بها فحفت بالمكاره فقال ارجع اليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها فرجع اليها فاذا هي قد حفت بالمكاره فرجع اليه وقال وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد فقال اذهب إلى النار فانظر اليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فنظر اليها فاذا هي يركب بعضها بعضا فرجع اليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات فقال ارجع اليها فرجع اليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها والبيهقي بسند لا بأس به عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى إنها ترمي بشرر كالقصر قال أما أني لست أقول كالشجر ولكن كالحصون والمدائن واحمد وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والترمذي ويل واد بين جبلين يهوي فيه الكافر سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وابن ماجه واللفظ له والترمذي تعوذوا بالله من جب الحزن

قالوا يارسول الله وما جب الحزن قال وادفى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم اربعمائة مرة قيل يارسول الله من يدخله قال أعد للقراء المرائين باعمالهم وأن من أبغض القراء الى الله الذين يزورون الامراء الجورة والطبرانى ان فى جهنم لواديا تستعيذ جهنم من ذلك الوادى كل يوم أربعمائة مرة أعد للمرائين من أمة محمد ﷺ وابن ابى الدنيا ان فى النار سبعين ألف وادفى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف حجر فى كل حجر حية تأكل وجوه أهل النار والبخارى فى تاريخه بسند فيه نكارة أن فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف دار فى كل دار سبعون ألف بيت فى كل بيت سبعون ألف بئر فى كل بئر سبعون ألف ثعبان فى شدق كل ثعبان سبعون ألف عقرب لا ينتهى الكافر أو المنافق حتى يواقع ذلك كله والترمذى بسند فيه انقطاع أن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين خريفا وما تفضى الى قرارها وكان عمر رضى الله عنه يقول اكثروا ذكر النار فان حرها شديد وان قعرها بعيد وان مقامعها حديد والبزار وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه والبيهقى لو أن حجرا قذف به فى جهنم لهوى بها سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعرها ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا عند النبى ﷺ فسمعنا وجبة فقال النبى ﷺ أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسله الله فى جهنم منذ سبعين خريفا فالآن حين انتهى الى قعرها والطبرانى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمع رسول الله ﷺ صوتا هاله فاتاه جبريل عليه السلام فقال رسول الله ﷺ ما هذا الصوت يا جبريل فقال هذه صخرة هوت من شفير جهنم من سبعين عاما فهذا حين بلغت قعرها فاحب الله تعالى أن يسمعك صوتها فما رؤى رسول الله ﷺ ضاحكا ملء فيه حتى قبضه الله عز وجل واحمد والترمذى وحسنه لو ان رصاصة مثل هذه وأشار الى الجمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها احمد وابو يعلى والحاكم وصححه لو أن مقمعا من حديد جهنم وضع فى الارض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الارض والحاكم وصححه لو ضرب الجبل بمقمع من حديد جهنم لتفتت فصار رمادا (المقمع المطراق وقيل السوط) وابن ابى الدنيا ان الحجر الواحد منها لو وضع على جبال الدنيا لذابت منه وان مع كل انسان منهم حجرا او شيطانا والحاكم وصححه أن الأرضين السبع بين كل أرض والتى تليها مسيرة خمسمائة عام فالعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه فى السما والحوت على صخرة

والصخرة بيد ملك والثانية سجن الريح فلما أراد الله تعالى أن يهلك عاد أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلكهم قال يارب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور قال له الجبار تبارك وتعالى اذن تكفىء الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهى التى قال الله فى كتابه العزيز ما تذر من شىء أتت عليه الا جعلته كالرميم والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم وقالوا يا رسول الله أللنار كبريت قال نعم والذى نفسى بيده أن فيها لأودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسى لماعت والخامسة فيها حيات جهنم ان افواهها كالأودية تلسع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على وضم والسادسة فيها عقارب جهنم أن ادنى عقرب منها كالبغال الموكفة تضرب الكافر ضربة تنسيه ضربتها حر جهنم والسابعة فيها ابليس مصفد بالحديد يدأمامه ويد خلفه فاذا أراد الله أن يطلقه لمن شاء من عباده اطلقه واحمد والطبرانى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه أن فى النار حيات كامثال اعناق البخت تلسع احداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفا وأن النار عقارب كامثال البغال الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموها أربعين سنة والترمذى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله تبارك وتعالى كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقط فروة وجهه فيه والترمذى وقال حسن غريب صحيح أن الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلب ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان والحميم الماء الحار الذى يحرق وقال الضحاك الحميم يغلى منذ خلق الله السموات والأرض الى يوم يسقونه ويصب على رؤسهم وقيل هو ما يجتمع من دموع أعينهم فى حياض النار فيسقونه وقيل غير ذلك وهو المذكور فى قوله تبارك وتعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم واحمد والترمذى وقال غريب والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره قال الله عز وجل وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال جل ذكره وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب واحمد والحاكم وصححه لو أن دلوا من غساق يهراق فى الدنيا لانتن أهل الدنيا والغساق هو المذكور فى قوله تعالى فليذوقوه حميم وغساق وقوله تعالى الا حميما وغساقا واختلف فيه فعند ابن عباس رضى الله عنهما هو ما يسيل من جلد الكافر ونحوه وعند آخرين هو صديدهم وقال كعب هو عين فى جهنم يسيل اليها حمة كل ذات

حمةمن حية أو عقرب أو غير ذلك فيستنقع فيؤتى بالآدمى فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه فى عقبيه وكعبيه فيجر لحمه كما يجر المرء ثوبه والترمذى وقال حسن صحيح أنه ﷺ قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون فقال ﷺ لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه وفى رواية فكيف بمن ليس له طعام غيره وصح عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وطعاما ذا غصة شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج والشيخان ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع والمنكب مجمع رأس الكتف والعضد وأحمد ضرس الكافر مثل أحد وفخذه مثل البيضاء أى وهو جبل ومقعده من النار كما بين قديد ومكة أى نحو ثلاثة أيام وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار أى ملك باليمن له ذراع معروف المقدار كذا قال ابن حبان وغيره وقيل ملك بالعجم ومسلم ضرس أو قال ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث والترمذى ولفظه قال رسول الله ﷺ ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة ثلاث من الربذة أى كما بين المدينة والربذة وأحمد بسند جيد ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعا وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان ومقعده من النار ما بينى وبين الربذة وفى رواية ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة وأحمد والطبرانى وإسناده قريب من الحسن كما قاله الحافظ المنذرى والترمذى عن الفضيل ابن يزيد أن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأه الناس والفضيل بن يزيد عن أبى العجلان أن الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة يتوطأه الناس أخرجه البيهقى وغيره وهو الصواب قال النبى ﷺ يعظم أهل النار فى النار حتى أن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وأن غلظ جلده سبعون ذراعا وأن ضرسه مثل أحد وأحمد بسند صحيح والحاكم وصححه عن مجاهد قال ابن عباس أتدرى ما سعة جهنم قلت لا قال أجل والله ما تدرى أن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا تجرى فيه أودية القيح والدم قلت أنهار قال لا بل أودية

﴿الباب الثانى والخمسون فى بيان الخوف من الذنب﴾

اعلم أن أعظم زاجر عن الذنوب هو خوف الله تعالى وخشية انتقامه وسطوته وحذر

عقابه وغضبه وبطشه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم
جاء أنه ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله يارسول الله
وأخاف ذنوبى فقال رسول الله ﷺ لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه
الله مايرجو وآمنه مما يخاف (وعن وهب بن ورد) قال كان عيسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى
سائر الأنبياء والمرسلين وسلم يقول حب الفردوس وخشية جهنم يورثان الصبر عن المصيبة
ويبعدان العبد من لذات الدنيا وشهواتها ومعاصيها وعن الحسن قال والله لقد مضى بين أيديكم
أقوام لو أنفق أحدهم عدد الحصى ذهباً يخشى أن لا ينجو لعظم الذنب فى نفسه وقال رسول الله
ﷺ هل تسمعون ما أسمع أطت السماء وحق لها أن تئط والذى نفسى بيده ما فيها موضع
أربع أصابع إلا وملك ساجد لله تعالى أو قائم أو راكع ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا ولخرجتم أو لصعدتم إلى الصعدات أى الجبال تجأرون الى الله تعالى خوفا من
عظيم سطوته وشدة انتقامه وفى رواية لا تدرون تنجون أو لا تنجون وقال بكر بن عبد الله
المزنى من أتى الخطيئة وهو يضحك دخل النار وهو يبكى وفى الحديث لو يعلم المؤمن بكل الذى
عند الله من العذاب لم يأمن النار وفى الصحيحين قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه وأنذر
عشيرتك الأقربين فقال يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئا يابنى
عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا ياعباس عم رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا ياصفية عمة
رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا يافاطمة بنت محمد سلينى من مالى ما شئت لا أغنى عنك من
الله شيئا وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يارسول الله والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة
أنهم الى ربهم راجعون يارسول الله هو الذى يزنى ويسرق ويشرب الخمر وهو يخاف الله قال
لا يابنت أبى بكر يابنت الصديق ولكنه الرجل يصلى ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل
منه رواه أحمد وقيل للحسن البصرى ياأباسعيد كيف تصنع بمجالسة قوم يحدثونا عن الرجاء
حتى تكاد قلوبنا تطير فقال له إنك والله إن تصحب قوماً يخوفونك حتى تدرك أمناً خير لك
من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله
عنه وقربت وفاته قال لابنه ويلك ضع خدى على الأرض لا أم لك وويلى وأى ويلى إن لم
يرحمنى وقال ابن عباس ماهذا الخوف ياأمير المؤمنين وقد فتح الله بك الفتوح ومصر بك
الأمصار وفعل بك وفعل قال وددت أن أنجو لا على ولا لى وفى رواية لا أجراً ولا وزرا
وكان زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهم إذا توضأ وفرغ من وضوئه أخذته رعدة

فقيل له فى ذلك فقال ويحكم أتدرون إلى من أقوم ولمن أريد أن أناجى وقال أحمد بن حنبل الخوف يمنعنى من أكل الطعام والشراب فما أشتهيه وفى الصحيحين أنه ﷺ ذكر من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله رجلا ذكر الله أى وعيده وعقابه خاليا ففاضت عيناه أى خوفا مما جناه واقترفه من المخالفات والذنوب وفى حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال عينان لا تمسهما النار عين بكت فى جوف الليل من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله تعالى وفى حديث أبى هريرة عن النبي ﷺ أنه قال كل عين باكية يوم القيامة الا عينا غضت عن محارم الله وعينا سهرت فى سبيل الله وعينا يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى وأخرج الترمذى وقال حسن وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا يلج أن يدخل النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار وقال عون بن عبد الله بلغنى أنه لا تصيب دموع الانسان من خشية الله مكانا من جسده إلا حرم الله ذلك المكان على النار وكان لصدر رسول الله ﷺ أزيز كأزيز المرجل من البكاء أى فوران وغليان كغليان القدر على النار وقال الكندى البكاء من خشية الله تعالى تطفىء الدمعة منه أمثال البحار من النار وكان ابن السماك يعاتب نفسه ويقول لها تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين ومع ذلك الجنة تطلبين أن تدخليها هيهات هيهات للجنة قوم آخرون ولهم أعمال غير ما نحن عاملون وعن سفيان الثورى قال دخلت على جعفر الصادق فقلت له يا ابن رسول الله أوصنى قال يا سفيان لا مروءة لكذوب ولا راحة لحسود ولا أخاء لملول ولا سؤدد لسيء الخلق قلت يا ابن رسول الله زدنى قال يا سفيان كف عن محارم الله تكن عابدا وارض بما قسم الله لك تكن مسلما واصحب الناس بما تحب أن يصحبوك به تكن مؤمنا ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره أى للحديث المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وشاور فى أمرك الذين يخشون الله قلت يا ابن رسول الله زدنى قال يا سفيان من اراد عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله إلى طاعة الله قلت يا ابن رسول الله زدنى قال أدبنى أبى بثلاث قال لى أى بنى إن من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يدخل مدخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم وقال ابن المبارك سألت وهيب بن الورد أيجد طعم العبادة من يعصى الله تعالى قال لا ولا من يهم بمعصية الله تعالى وقال الإمام

أبو الفرج بن الجوزي الخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعصية ويحث على الطاعة وكيف لا يكون الخوف اذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة والأعمال الفاضلة التي يتقرب بها الى الله سبحانه وتعالى كما علم من الآيات والأخبار كقوله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون. وقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقوله تعالى وخافون إن كنتم مؤمنين وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال تعالى سيذكر من يخشى وقال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وكل ما دل من الآيات والأحاديث على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لأن الخوف ثمرة العلم وأخرج ابن أبي الدنيا أنه ﷺ قال إذا اقشعر جسد العبد من مخافة الله عز وجل تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وقال ﷺ قال الله سبحانه وتعالى وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين إن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وان خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وقال أبو سليمان الداراني كل قلب ليس فيه خوف من الله فهو خراب وقد قال الله تعالى ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون

﴿الباب الثالث والخمسون في بيان فضل التوبة﴾

جاء في فضل التوبة آيات كثيرة كقوله تعالى وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقوله والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما ومن تاب وعمل صالحاً فانه يتوب إلى الله متابا (والأحاديث في ذلك كثيرة) أخرج مسلم أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها والترمذي وصححه أن من قبل المغرب لبابا مسيرة عرضه أربعون عاماً أو سبعون سنة فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السموات والأرض فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه وصح أيضاً أن الله تعالى جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها الآية قيل وليس وهذه الرواية ولا الأولى تصريح برفعه كما صرح به البيهقي انتهى ويجاب بأن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي فله حكم المرفوع والطبراني بسند جيد للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه وابن ماجه بسند جيد

لو أخطأتم حتى تبلغ خطايا كم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم الحاكم وصححه من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الانابة والترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون. الشيخان ان عبد أصاب ذنبا فقال يارب إنى أذنبت ذنباً فاغفره لى فقال له ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ماشاء الله ثم أصاب ذنباً آخر وربما قال اذنب ذنبا آخر فقال يارب إنى أذنبت ذنبا آخر فاغفره لى فقال ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ماشاء الله تعالى ثم أصاب ذنبا آخر وربما قال أذنب ذنبا آخر فقال يارب إنى أذنبت ذنبا آخر فاغفره لى فقال ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فقال ربه غفرت لعبدى فليعمل ماشاء. قال المنذرى قوله فليعمل ماشاء معناه والله أعلم أنه مادام كلما أذنب ذنبا استغفر وتاب منه ولم يعد اليه بدليل قوله ثم أصاب ذنبا آخر فليعمل اذا كان هذا دأبه ماشاء لأنه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره لا أن المعنى أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعاوده فان هذه توبة الكذابين (وروى) جماعة وصححوه أن المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل منها وان زاد زادت حتى يغلق بها قلبه فذلك الران الذى ذكر الله فى كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والترمذى وحسنه أن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر أى تبلغ روحه حلقومه والطبرانى بسند حسن لكن فيه انقطاع والبيهقى بسند فيه مجهول عن معاذ قال أخذ بيدى رسول الله ﷺ فمشى ميلا ثم قال يامعاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الامانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام وبذل السلام ولزوم الامام والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الامل وحسن العمل وأنهاك أن تشتم مسلما أو تصدق كاذبا أو تكذب صادقا وتعصى إماما عادلا وأن تفسد فى الأرض. يامعاذ اذكر الله عند كل شجر وحجر وأحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية والأصفهانى إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه وانسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب والأصفهانى ايضا ان آدم ينتظر من الله الرحمة والمعجب ينتظر المقت واعلموا عباد الله ان كل عامل سيقدم على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وسوء عمله وإنما الأعمال بخواتيمها والليل والنهار مطيتان فاحسنوا السير عليهما الى الآخرة واحذروا التسويف فان الموت يأتى بغتة ولا يغترن أحدكم

بحلم الله عزوجل فان النار اقرب الى احدكم من شراك نعله ثم قرأ رسول الله ﷺ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والطبرانى بسند صحيح لكن فيه انقطاع التائب من الذنب كمن لاذنب له ورواه البيهقى من طريق آخر وزادوا المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه الندم توبة أى أنه معظم أركانها كخبر الحج عرفة ولا بد فى الندم أن يكون من حيث المعصية وقبحها وخوف عقابها بخلافه لنحو هتك أو ضياع مال على المعصية أو نحو ذلك والحاكم وصححه لكن فيه ساقط ما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له قبل أن يستغفر منه ومسلم وغيره والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا او تستغفروا لذهب الله بكم ولجاء بقوم غيركم يذنبون ويستغفرون الله فيغفر لهم ومسلم ليس أحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه وليس احد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وليس أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل ومسلم ان امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهى حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فاقمه على فدعا نبى الله ﷺ وليها فقال أحسن اليها فاذا وضعت فأتنى بها ففعل فامر بها نبى الله ﷺ فشدت عليها ثيابها ثم امر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر تصلى عليها يا رسول الله وقد زنت قال ﷺ لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل مما جادت بنفسها لله عزوجل والترمذى حسنه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يحدث حديثا لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات ولكن سمعته أكثر سمعت رسول الله ﷺ يقول كان الكفل من بنى اسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فاتته امرأة فاعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك أكرهتك قالت لا ولكنه عمل ما عملته قط وما حملنى عليه إلا الحاجة فقال تفعلين أنت هذا وما فعلتيه قط اذهبى فهى لك وقال لا والله لا أعصى بعدها ابدا فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه ان الله قد غفر للكفل وصح عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كانت قريتان احداهما صالحة والأخرى طالحة فخرج رجل من القرية الطالحة يريد القرية الصالحة فاتاه الموت حيث شاء الله فاختصم فيه الملك والشيطان فقال الشيطان والله ماعصانى قط وقال الملك أنه قد خرج يريد التوبة فقضى الله بينهما أن ينظر الى أيهما أقرب فوجدوه أقرب الى القرية الصالحة بشبر فغفر له قال معمر وسمعت من يقول قرب الله اليه القرية الصالحة والشيخان كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعون نفسا فسأل عن اعلم

أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال له أنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبه فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سال عن اعلم اهل الأرض فدل على رجل عالم فقال أنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى إذا بلغ نصف الطريق أتاه ملك الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقالوا قيسوا ما بين الأرضين فالى أيتهما هو أدنى كان له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها وفي رواية فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له وفي رواية قال قتادة قال الحسن ذكر لنا انه لما اتاه ملك الموت ناء بصدره نحوها والطبراني بسند جيد أن رجلا أسرف على نفسه فلقي رجلا فقال أن الآخر قتل تسعة وتسعين نفسا كلهم ظلما فهل تجد لي من توبة قال لا فقتله وأتى آخر فقال أن الآخر قتل مائة نفس كلها ظلما فهل تجد لي من توبة فقال ان حدثتك ان الله لا يتوب على من تاب كذبتك ههنا قوم يتعبدون فأتهم تعبد الله معهم فتوجه اليهم فمات على ذلك فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فبعث الله اليهم ملكا فقال قيسوا ما بين المكانين فايهم كان أقرب فهو منهم فوجدوه هو اقرب الى دير التوابين بأنملة فغفر له وفي رواية له ثم أتى راهبا آخر فقال اني قتلت مائة نفس فهل تجد لي من توبة فقال أسرفت ما أدري ولكن هنا قريتان قرية يقال لها نصرة والأخرى يقال لها كفرة فاما أهل نصرة فيعملون عمل أهل الجنة لا يثبت فيها غيرهم واما اهل كفرة فيعملون عمل اهل النار لا يثبت فيها غيرهم فانطلق الى نصرة فان ثبت فيها وعملت عمل أهلها فلا شك في توبتك فانطلق يريدها حتى إذا كان بين القريتين ادركه الموت فسألت الملائكة ربها عنه فقال انظروا إلى اى القريتين كان اقرب فاكتبوه من اهلها فوجدوه اقرب إلى نصرة بقيد انملة فكتب من اهلها

﴿الباب الرابع والخمسون في بيان النهي عن الظلم﴾

قال الله تعالى وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وقال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام من ظلم شبرا من ارض طوقه الله من سبع ارضين يوم القيامة وفي بعض الكتب يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري وما احسن قول بعضهم

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا . فالظلم يرجع عقباه الى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقول الآخر إذا ما الظلوم استوطا الارض مركبا ولج غلوا فى قبيح اكتسابه

فكله إلى صرف الزمان فانه سيبدى له مالم يكن فى حسابه

وقال بعض السلف لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الأقوياء وقال ابو هريرة رضى الله عنه ان الحبارى لتموت هولا فى وكرها من ظلم ظالم وقيل مكتوب فى التوراة ينادى منادى من وراء الجسر يعنى الصراط يامعشر الجبابرة الطغاة ويامعشر المترفين الاشقياء ان الله يحلف بعزته ان لايجاوز هذا الجسر اليوم ظلم ظالم وعن جابر رضى الله عنه قال لما رجعت مهاجرة الحبشة إلى رسول الله ﷺ قال الا تخبرونى عنه باعجب ما رايتم فى ارض الحبشة فقال فتية وكان منهم على يارسول الله بينما نحن توما جلوس إذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على راسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المراة على ركبتيها وانكسرت قلتها فلما قامت التفتت اليه ثم قالت سوف تعلم ياغدر إذا وضع الله الكرسى يجمع الاولين والآخرين وتكلمت الايدى والأرجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم ما امرى وامرك عنده غدا قال فقال ﷺ كيف يقدس الله قوما لايؤخذ من شديدهم لضعيفهم (وروى) عن رسول الله عليه الصلاة السلام انه قال خمسة غضب الله عليهم ان شاء امضى غضبه عليهم فى الدنيا والاثوى بهم فى الآخره الى النار امير قوم ياخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم وزعيم قوم يطيعونه ولا يسوى بين القوى والضعيف ويتكلم بالهوى ورجل لا يامر اهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم امر دينهم ورجل استاجر اجيرا فاستعمله ولم يوفه اجره ورجل ظلم امرأة فى صداقها وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه انه قال ان الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على اقدامهم رفعوا رؤسهم الى الله وقالوا يارب مع من انت قال مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه (وعن وهب بن منبه) رضى الله عنه بنى جبار من الجبابرة قصرا وشيده فجاءت عجوز فقيرة فبنت الى جانبه شيئا تاوى اليه فركب الجبار يوما وطاف حول القصر فراى بناءها فقال لمن هذا فقيل لأمراة فقيرة تاوى اليه فامر بهدمه فهدم فجاءت العجوزة فرأته مهدوما فقالت من هدمه فقيل لها الملك رآه فهدمه فرفعت العجوز رأسها إلى السماء وقالت يارب انا لم اكن حاضرة فانت اين كنت قال فامر الله عز وجل جبريل ان يقلب القصر على من فيه (وقيل) لما حبس بعض البرامكة وولده قال ياابت بعد العز صرنا فى القيد والحبس قال يابنى دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عز وجل

غنيا وكان يزيد بن حكيم يقول ماهبت احد اقطهيبتى رجلا ظلمته وانا اعلم انه لا ناصر له إلا الله يقول لى حسبى الله الله بينى وبينك وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال يجىء الظالم يوم القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم فلقته المظلوم وعرف مافى ظلمه فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بايديهم من الحسنات فان لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ماظلموهم حتى يردوا الدرك الأسفل من النار وعن عبد الله ابن انيس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان لا ينبغى لأحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة واحد من النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة فما فوقها ولا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحدا قلنا يارسول الله كيف وانما نأتى حفاة عراة غرلا بهما قال بالحسنات والسيئات جزاء وفاقا ولا يظلم ربك أحدا وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة (ومماذكر) ان كسرى اتخذ مؤدبا لولده يعلمه ويؤدبه فلما بلغ الولد الغاية فى الفضل والأدب استحضره المؤدب يوما وضربه ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب فحقد الولد على المعلم الى أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له ماحملك على أن ضربتنى فى يوم كذا ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب فقال له المعلم اعلم أيها الملك أنك لما بلغت الغاية فى الفضل والأدب علمت انك تنال الملك بعد أبيك فاردت ان أذيقك طعم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحدا بعد فقال له جزاك الله خيرا ثم أمر له بجائزة وصرفه

﴿الباب الخامس والخمسون فى النهى عن ظلم اليتيم﴾

قال تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا قال قتادة نزلت فى رجل من غطفان ولى مال ابن اخيه وهو صغير يتيم فأكله وقوله ظلما أى لأجله أوحال كونهم ظالمين وخرج به أكلها بحق كأكل الولى بشروطه المقررة فى كتب الفقه قال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف أى بمقدار الحاجة فحسب أوبان يأخذ قرضا أو بقدر اجرة عمله او ان اضطر فان ايسر قضاه وإلا فهو فى حل وقد نبه الله تعالى على تأكد حق الايتام ومزيد الاعتناء به بقوله قبل هذه الآية وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا إذ المراد بشهادة السياق خلافا لمن حمل الآية على انها فى الوصية باكثر من الثلث او نحو ذلك الحمل لمن كان فى حجره يتيم

على انه يحسن اليه حتى فى الخطاب فلا يخاطبه إلا بنحو يابنى مما يخاطب به اولاده ويفعل معه من البر والمعروف والاحسان والقيام فى ماله مايحب ان يفعل بماله وبذريته من بعده فان الجزاء من جنس العمل مالك يوم الدين اى الجزاء كما تدين تدان اى كما تفعل يفعل معك بينما الانسان آمن متصرف فى مال الغير وعلى اولاد غيره واذا بالموت قد حل به فيجزيه الله تعالى فى ماله وذريته وعياله وسائر تعلقاته بنظير مافعله مع غيره ان خيرا فخير وان شرا فشر فليخش العاقل على اولاده وماله ان لم يكن له خشية على دينه ويتصرف على الايتام الذين فى حجره بما يجب ان يتصرف ولى أولاده لو كانوا ايتاما عليهم فى ماله وجاء ان الله تعالى أوحى الى داود صلى الله على نبينا وعليه وسلم ياداود كن لليتيم كالاب الرحيم وكن للارملة كالزوج الشفيق واعلم أنك كما تزرع كذا تحصد اى كما تفعل يفعل معك إذ لا بد ان تموت ويبقى لك ولد يتيم وامراة ارملة وجاء فى التشديد فى اموال اليتامى والظلم فيها احاديث كثيرة موافقة لما فى الآية من ذلك الوعيد الشديد تحذيرا للناس عن هذه الفاحشة الوخيمة المهلكة اخرج مسلم وغيره ياابا ذر انى اراك ضعيفا وانى احب لك ما احب لنفسى لا تامرن على اثنين ولا تلين مال يتيم والشيخان وغيرهما اجتنبوا السبع الموبقات اي المهلكات قالوا يارسول الله وماهن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم الحديث والبزار الكبائر سبع الاشراك بالله وقتل النفس بغير حق واكل الربا واكل مال اليتيم الحديث والحاكم وصححه اربع حق على الله ان لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه وابن حيان فى صحيحه ان من جملة كتابه ﷺ الذى ارسله مع عمرو بن حزم الى اهل اليمن وان اكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الاشراك بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق والفرار فى سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين ورمى المحصنة وتعلم السحر واكل الربا واكل مال اليتيم وابو يعلى يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تاجج افواههم نارا فقيل من هم يارسول الله قال الله يقول الم تر ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وفى حديث المعراج عند مسلم فاذا انا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحاهم وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها فى افواههم فتخرج من ادبارهم فقلت ياجبريل من هؤلاء قال الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وفى تفسير القرطبى عن ابى سعيد الخدري عن النبى ﷺ انه قال رايت ليلة اسرى بى قوما لهم

مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ مشافرهم ثم يجعل فى أفواههم صخرا من نار تخرج من أسافلهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما

﴿ الباب السادس والخمسون فى بيان ذم الكبر ﴾

تذكر مما ورد فى ذم الكبر زيادة على ما تقدم لشؤمه وسوء عاقبته فهو أول معصية وقعت من إبليس فلعنه الله وطرده من جنة عرضها السموات والأرض إلى عذاب السعير ففى الحديث القدسى الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فى واحد منهما قصمته ولا أبالى وورد يحشر المتكبرون أمثال الذر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان ويسقون من طينة الخبال وهى عصارة أهل النار وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك جائر وعائل مستكبر وعن عمر رضى الله عنه أنه قرأ قوله تعالى وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فقال إنا لله وإنا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالمعروف فقتل المتكبر الذى خالفه والذى أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل إثما إذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا أستطيع فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا كبره قال فما رفعها بعد ذلك أى اعتلت يده وروى أن ثابت بن قيس بن شماس قال يا رسول الله إنى امرؤ حبب إلى من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس أى ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله أمثاله أو خير منه (وقال وهب بن منبه) لما قال موسى عليه السلام لفرعون آمن ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما أنت رب تعبد إذ أنت عبد تعبد فاستنكف عن عبوديته وعن اتباع موسى فأغرقه الله (وقال قريش) فيما أخبر الله عنهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفى طلبوا من هو أعظم رياسة من النبى صلى الله عليه وسلم إذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك ثم أخبرهم الله عن تعجبهم حين دخلوا النار إذا لم يروا فيها الذين ازدروهم كأهل الصفة فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار قيل يعنون عمارا أو بلالا وصهيبا والمقداد رضى الله عنهم قال وهب رضى الله عنه العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الأشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال على قدر هممها وأهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وذلك لأن من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم أن

الحجة قدنا كدت عليه فيزداد خوفا وإشفاقا وتواضعا ولذلك قال ﷺ فيما رواه العباس رضي الله عنه يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم ثم التفت إلى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار وقال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلم يف علمكم بجهلكم روي أن رجلا من بني إسرائيل يقال له خليع بني إسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني إسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به قال الخليع في نفسه أنا خليع بني إسرائيل وهذا عابد بني إسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد أنا عابد بني إسرائيل وهذا خليع بني إسرائيل فكيف يجلس إلى فأنف منه وقال له قم عني فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفي رواية أخرى فتحولت الغمامة إلى رأس الخليع وهذا يعرفك أن الله تعالى إنما يريد من العباد قلوبهم روى أن رجلا ذكر بخير للنبي ﷺ فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ أسألك بالله حدثتك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم فرأى رسول الله ﷺ بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه قال الحرث بن جزء الزبيدى صاحب رسول الله ﷺ يعجبني من القراء كل مضحاك فأما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله روى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال قاولت رجلا عند النبي ﷺ فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي ﷺ يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي وقال علي كرم الله وجهه من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال أنس لم يكن شخص أحب الى أصحابه من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك وكان رسول الله ﷺ في بعض الأوقات يمشي مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم إما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لأحد هذين المعنيين

﴿ الباب السابع والخمسون في فضل التواضع والقناعة ﴾

قال رسول الله ﷺ ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه وقال ﷺ ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه (١) حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا

---

(١) قوله حكمة محركة ما أحاط بالحنك من اللجام كما في القاموس اه

اللهم ضعه وإن وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة وأنفق مالا جمعه فى غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان فى نفر من أصحابه فى بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فاذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له أطعم فكأن رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال صلى الله عليه وسلم خيرنى ربى بين أمرين أن أكون عبداً رسولا أو ملكا نبيا فلم أدر أيهما أختار وكان صفيي من الملائكة جبريل فرفعت رأسي اليه فقال تواضع لربك فقلت عبداً رسولا وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي وألزم قلبه خوفي وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال المسيح عليه السلام طوبى للمتواضعين فى الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس فى الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم فى الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته وجعله فى موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعاً فذلك من صفوة الله وقال صلى الله عليه وسلم اربع لا يعطيهن الله إلا من أحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد فى الدنيا ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل اسود به جدرى قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم إنه ليعجبنى ان يحمل الرجل الشيء فى يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوما مالى لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار ومن احسن ما قيل شعرا

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه على طبقات الجو وهو وضيع

(ومما جاء فى فضل القناعة زيادة على ما تقدم) قال صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففى القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن اسيره واحسن الى من شئت تكن أميره قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال بعضهم ما رأيت غنى افضل من القناعة ولا فقرا اشد من الرغبة وانشد

أفادتنى القناعة ثوب عز ... وأى غنى أعز من القناعة
فصيرها لنفسك رأس مال ... وصير بعدها التقوى بضاعة
تجد ربحين تغنى عن خليل ... وتنعم فى الجنان بصبر ساعة

وقال آخر
قنع النفس بالكفاف وإلا ... طلبت منك فوق ما يكفيها
إنما أنت طول عمرك ... ماعمرت فى الساعة التى أنت فيها

وقال آخر
إذا الرزق عنك نأى فاصطبر ... ومنه اقنع بالذى قد حصل
ولا تتعب النفس فى تحصيله ... فان كان ثم نصيب وصل

وقال آخر
اذا أعطشتك أكف اللئام ... كفتك القناعة شبعاً وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى ... وهامة همته فى الثريا

وقال آخر
ياطالب الرزق الهنى بقوة ... هيهات أنت بباطل مشغوف
رعت الأسود بقوة جيف الفلا ... ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصابته خصاصة قال لأهله قوموا الى الصلاة ويقول أمرت بهذا ويقرأ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية وأنشدوا

دع التهافت فى الدنيا وزينتها ... ولا يغرنك الاكثار والجشع
واقنع بماقسم الرحمن وارض به ... إن القناعة مال ليس ينقطع
وخل ويك فضول العيش أجمعها ... فليس فيها إذا حققت منتفع

ولبعضهم
اقنع بما تلقى بلا بلغة ... فليس ينسى ربنا النملة
إن أقبل الدهر فقم قائما ... وإن تولى مدبراً نم له

ومن كلام الحكماء ليست العزة فى حسن البزة فإن التنعم بلبس الثياب والتجمل بحسن الزى يشغل العبد حتى لا يعبأ بشىء من أمر دينه ميلا لدنياه وقلما يخلو صاحبه من العجب

وأنشد بعضهم
رضيت من الدنيا بلقمة بائس ... ولبس عباء لا أريد سواهما
لأنى رأيت الدهر ليس بدائم ... فدهرى وعمرى فانيان كلاهما

﴿ الباب الثامن والخمسون فى بيان غرور الدنيا ﴾

جميع أحوال الدنيا مصروفة الى مايسوء ويسر فليست مساعدة جميع اهلها وإنما هى متلونة على ما اقتضته حكمة الحكيم قال سبحانه ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك قال بعض المفسرين مختلفين فى الرزق يريد اختلافهم فى الغنى والفقر فمن الواجب على من ساعدته دنياه وأخدمها له مولاه ان يلتقى ذلك بشكره ويتوجه اليه بصنائع المعروف فانها تقى مصارع

السوء ولا يغتر بدنياه وكفى بقوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني الآية تنفيرا عن الغرور بها وقال ﷺ حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبطون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الأرض من المغترين وقال ﷺ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني

وقال الشاعر ومن يحمد الدنيا لشيء يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة وإن اقبلت كانت كثيراً همومها

وقال آخر تالله لو كانت الدنيا باجمعها تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا
ما كان في حق حر ان يذل لها فكيف وهي متاع يضمحل غدا

وانشد ابن بسام

اف للدنيا وايامها فانها للحزن مخلوقة غمومها لا تنقضي ساعة
عن ملك فيها ولا سوقه يا عجباً منها ومن شانها عدوة للناس معشوقة

وانشد آخر

وقائلة ارى الأيام تعطي لئام الناس من رزق حثيث
وتمنع من له شرف وفضل فقلت لها خذي اصل الحديث
رات حل المكاسب من حرام فجادت بالخبيث على الخبيث

وانشد آخر ايضا

سل الأيام مافعلت بكسرى وقيصر والقصور وساكنيها
اما استدعتهم للبين طرا فلم تدع الحليم ولا السفيها

(وحكى) ان اعرابياً نزل بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم نام في ظل خيمتهم فاقتلعوا الخيمة فاصابه حر الشمس فانتبه فارتحل وهو يقول

الا إنما الدنيا كظل بنيته ولا بد يوماً ان ظلك زائل

وقال ايضاً

الا انما الدنيا مقيل لراكب قضى وطرا من منزل ثم هجرا

وقال بعض الحكماء لصاحب له قد اسمعك الداعي واعذر اليك الطالب ولا احد اعظم

رزية من ضيع اليقين واخطاء العمل وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب الدنيا وسربها ذهب خوف الآخرة من قلبه وقال بعضهم ان العبد يحاسب على التحزن على مافاته من الدنيا ويحاسب بفرحه فى الدنيا اذا قدر عليها ولقد كان السلف الصالح فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذى لا باس به عندكم كان من الموبقات عندهم وكان عمر بن عبد العزيز كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات وهى لمسعر بن كدام:

نهارك يامغرور نوم وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم
يغرك ما يفنى وتفرح بالمنى ... كما غر باللذات فى النوم حالم
وشغلك فيما سوف تكره غبه ... كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

﴿الباب التاسع والخمسون فى بيان ذم الدنيا والتحذير منها﴾

(روى) عن ابى امامة الباهلى ان ثعلبة بن حاطب قال يارسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه قال يارسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا قال يا ثعلبة امالك فى اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبى الله تعالى اما والذى نفسى بيده لو شئت ان تسير معى الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذى بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله ان يرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه ولأفعلن ولأفعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى الجماعة ويدع ماسواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة الا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسالهم عن الاخبار فى المدينة وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يارسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة واخبر بامره كله فقال ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة قال وانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وانزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بنى سليم على الصدقة وكتب لهم كتابا باخذ الصدقة وامرهما ان يخرجا فياخذ الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بنى سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الى فانطلقا نحو السليمى فسمع بهما فقام الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا

لا يجب عليك ذلك وما نريد ان نأخذها منك قال بلى خذها نفسي بها طيبة وإنما هي لتأخذها فلما فرغ من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال أرياني كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى ارى رأيي فانطلقا حتى اتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال ياويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسليمي فأخبره بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي فانزل الله تعالى في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله ﷺ رجل من اقارب ثعلبة فسمع ما انزل الله فيه فخرج حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج حتى اتى النبي ﷺ فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثوا التراب على راسه فقال له رسول الله ﷺ هذا عملك امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيء رجع الى منزله فلما قبض رسول الله ﷺ جاء بها الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فابى ان يقبلها منه وجاء بها الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فابى ان يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد خلافة عثمان وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال اكون معك واصحبك فانطلقا حتى انتهيا الى شط نهر فجلس يتغذيان ومعهما ثلاثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لا ادري قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل اسألك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف فقال لا ادري ثم انتهيا الى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال له اسألك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف فقال لا ادري فانتهيا الى مفازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله تعالى فصار ذهبا فقسمه ثلاثة اثلاث ثم قال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف فقال انا الذي اخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فارادان يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاثا فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشتري لنا طعاما نأكله قال فبعثوا أحدهم فقال الذي بعث لأي شيء اقاسم هؤلاء هذا المال لكني أضع في الطعام سما فاقتلهما وآخذ المال وحدي

قال ففعل وقال ذلك الرجلان لأى شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا فبقى ذلك المال فى المفازة واولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لأصحابه هذه الدنيا فاحذروها (وحكى) ان ذا القرنين اتى على امة من الأمم ليس بأيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم فى ذلك معايش من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب ذو القرنين فقال مالى اليه حاجة فان كان له حاجة فليأتنى فقال ذو القرنين صدق فاقبل ذو القرنين وقال له ارسلت اليه لتأتينى فأبيت فها انا قد جئت فقال لو كان لى اليك حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين مالى اراكم على حال لم ار احدا من الأمم عليها قال وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء افلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قال انما كرهناها لأن احدا لم يعط منهما شيئا إلا تاقت نفسه ودعته إلى ما هو افضل منه فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قال اردنا إذا نظرنا اليها وامنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل قال واراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض افلا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها قال كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا فى نبات الأرض بلاغا وإنما يكفى ابن آدم ادنى العيش من الطعام واى ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدرى من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الأرض اعطاه الله سلطانا على اهل الأرض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدرى من هذا قال لا ادرى ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وامر بالعدل فى اهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم اهوى على جمجمة ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك فى صحبتى فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما آتانى الله من هذا المال قال ما اصلح انا وانت فى مكان ولا ان نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال ولم قال يعادونك لما فى يديك من الملك والمال والدنيا ولا اجد احدا يعادينى لرفضى لذلك ولما عندى من الحاجة

وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجباً منه ومتعظاً به وما احسن قول القائل

يامن تمتع بالدنيا وزينتها ولا تنام عن اللذات عيناه
شغلت نفسك فيما ليس تدركه تقول لله ماذا حين تلقاه

(وقول الآخر)

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل وتاخير ذى فضل فقالت خذ العذرا
بنو الجهل ابنائى لهذا رفعتهم واهل التقى ابناء ضرتى الأخرى

(وقول محمود الباهلى)

الا انما الدنيا على المرء فتنة على كل حال اقبلت او تولت
فان اقبلت فاستقبل الشكر دائما ومهما تولت فاصطبر وتثبت

﴿الباب الستون فى فضل الصدقة﴾

قال صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيبا فان الله يقبلها بيمينه اى متلبسة بيمينه وبركته ثم يربيها لصاحبها كما يربى احدكم فلوه بفتح فضم فتشديد مهر اول ما يولد حتى تكون مثل الجبل وفى رواية كما يربى احدكم مهره حتى ان اللقمة لتصير مثل احد وتصديق ذلك فى كتاب الله تعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات يمحق الله الربا ويربى الصدقات ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا وما تواضع احد لله إلا رفعه الله عز وجل وفى رواية للطبرانى ما نقصت صدقة من مال وما مد عبد يده لصدقة إلا القيت فى يد الله اى إلا قبلها الله تعالى ورضى بها قبل ان تقع فى يد السائل وما فتح عبد باب مسئلة له عنها غنى إلا فتح الله له باب فقر يقول العبد مالى مالى وانما من ماله ثلاث ما اكل فافنى اولبس فابلى او اعطى فاقتنى ماسوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس (وفى الخبر) مامنكم من احد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ماقدم وينظر اشأم منه فلا يرى إلا ماقدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة وفى الخبر ايضاً ليق احدكم وجهه من النار ولو بشق تمرة وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا على سحت النار اولى به يا كعب ابن عجرة الناس غاديان فغاد فى فكاك نفسه فمعتقها وغاد موبقها يا كعب بن عجرة الصلاة قربات والصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يذهب الجليد على الصفا وفى رواية كما يطفىء الماء النار إن الصدقة لتطفىء غضب

الرب وتدفع ميتة السوء وفي رواية إن الله ليدرأ أي يدفع بالصدقة سبعين باباً من ميتة السوء وفي الحديث كل امرىء في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وفي آخر لا يخرج رجل شيئاً من الصدقة حتى يفك عنها لحيي سبعين شيطاناً وقيل يارسول الله اي الصدقة افضل قال جهد المقل وابدأ بمن تعول وقال ﷺ درهم سبق مائة درهم فقال رجل كيف ذلك يارسول الله فقال رجل له مال كثير اخذ من عرضه اي بضم اوله المهمل وبالضاد المعجمة جانبه مائة الف درهم وتصدق بها ورجل ليس له إلا درهمان فاخذ احدهما فتصدق به وقال ﷺ لاتردسائلك ولو بظلف هو بكسر اوله المعجم للبقر والغنم بمنزلة الحافر للفرس سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله الى ان قال ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفىء غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وفي رواية للطبراني صنائع المعروف تقي مصارع السوء والصدقة خفيا تطفىء غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وكل معروف صدقة واهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الآخرة واهل المنكر في الدنيا هم اهل المنكر في الآخرة واول من يدخل الجنة اهل المعروف وفي اخرى له ولأحمد ما الصدقة يارسول الله قال اضعاف مضاعفة وعند الله المزيد ثم قرأ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له اضعافاً كثيرة قيل يارسول الله اى الصدقة افضل قال سر الى فقير او جهد من مقل ثم قرأ ان تبدوا الصدقات فنعماهي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم الآية من كسا مسلماً ثوباً لم يزل في ستر الله تعالى مادام عليه من خيط او سلك ايما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عري كساه الله تعالى من خضر الجنة وايما مسلم اطعم مسلماً على جوع اطعمه الله تعالى من ثمار الجنة وايما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي رحم ثنتان أي صدقة وصلة أي الصدقة أفضل قال على ذي الرحم الكاشح أي المضمر لعداوته في كشحه أي خصره كناية عن باطنه من منح منيحة لبن أي بأن أعطى لبونا لمن يأكل لبنها ثم يردها أو ورق أي بأن أقرض دراهم أو هدى زقاقاً أي الى الطريق كان له مثل عتق رقبة كل قرض صدقة وفي رواية عند جماعة رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوباً الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة أي الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرىء السلام على من عرفت ومن لم تعرف أنبئني عن كل شيء قال كل شيء خلق من الماء فقلت أخبرني بشيء إذا عملته دخلت الجنة قال أطعم الطعام وافش السلام وصل الأرحام وصل بالليل والناس نيام تدخل

الجنة بسلام اعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام وافشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام من موجبات الرحمة إطعام المسلم المسكين من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه باعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي

﴿ الباب الحادي والستون في قضاء حاجة أخيه المسلم ﴾

قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال ﷺ من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله وقال رسول الله ﷺ ان لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس في الحساب وقال رسول الله ﷺ من سعى لأخيه المسلم في حاجة فقضيت له أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وقال رسول الله ﷺ من قضى لأخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح وإلا شفعت له رواه أبو نعيم في الحلية وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فان مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ من مشى مع أخيه المسلم في حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض وعن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ إن لله عند أقوام نعما يقرها عندهم ما داموا في حوائج الناس ما لم يملوا فاذا ملوا نقلها الى غيرهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أتدرون ما يقول الأسد في زئيره قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرفعه اذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر فيها يوم الخميس وليقرأ اذا خرج من منزله سورة آل عمران وآية الكرسي وإنا أنزلناه في ليلة القدر

وأم الكتاب فان فيها حوائج الدنيا والآخرة وعن عبدالله بن الحسن بن الحسين رضى الله تعالى عنهم قال أتيت باب عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال اذا كانت لك حاجة إلى فارسل رسولا أو اكتب لى كتابا فانى لأستحى من الله أن يراك ببابى وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال والذى وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا إلا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال أيضا فوت الحاجة أهون من طلبها الى غير اهلها وعنه أيضا قال لا تكثر على أخيك الحوائج فان العجل إذا أفرط فى مص ثدى أمه نطحته وما أحسن قول الشاعر

لا تقطعن عادة الاحسان عن أحد ... مادمت تقدر والأيام تارات
واذكر فضيلة صنع الله إذ جعلت ... اليك لا لك عند الناس حاجات

(وقول الآخر)

اقض الحوائج ما استطعت ... وكن لهم أخيك فارج
فلخير أيام الفتى ... يوم قضى فيه الحوائج

وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن أجريت الخير على يديه وويل لمن أجريت الشر على يديه

(الباب الثانى والستون فى فضل الوضوء)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشىء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفى لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره ونقل الأقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به وتوضأ مرتين مرتين آتاه الله اجره مرتين وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئى ووضوء الأنبياء من قبلى ووضوء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصاب الماء وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له به بعشر حسنات وقال صلى الله عليه وسلم الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا كله حث على تجديد الوضوء وقال عليه الصلاة والسلام إذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت اذنيه وإذا غسل رجليه خرجت

الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت اظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له ويروى أن الطاهر كالصائم وقال عليه الصلاة والسلام من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء. وقال عمر رضى الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت إلا طاهرا اذاكرا مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث على ما قبضت عليه ويروى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وجه رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصر لكسوة الكعبة فنزل الرجل ببعض ارض الشام الى جانب صومعة حبر من الاحبار ولم يكن حبر أعلم منه فاحب رسول عمر أن يلقاه فيسمع منه علمه فاتاه واستفتح باب داره فلم يفتح له طويلا ثم دخل على الحبر فسأله ليسمع منه فاعجبه علمه فشكى اليه حبسه على بابه فقال له الحبر انا كنا رأيناك حين عدلت الينا على هيبة السلطان فتخوفناك وانما حبسناك على الباب لأن الله تبارك وتعالى قال لموسى يا موسى إذا تخوفت سلطانا فتوضأ وأمر اهلك بالوضوء فان من توضأ كان فى امانى مما يتخوف فاغلقنا دونك الباب حتى توضأت وتوضأ جميع من فى الدار وصلينا فآمناك لذلك ثم فتحنا لك الباب

﴿الباب الثالث والستون فى فضل الصلوات﴾

لما كانت الصلاة أفضل العبادات كررنا الحث عليها اقتداء بكتاب الله العزيز فما ورد فى فضلها زيادة على ما تقدم قوله عليه السلام ما اعطى عبد عطاء خيرا من أن يؤذن له فى ركعتين يصليهما قال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى لو خيرت بين ركعتين وبين الجنة لاخترت الركعتين فى الجنة لأن فى الركعتين رضا الله تعالى وفى الجنة رضائى ويقال ان الله تعالى لما خلق سبع سموات حشاها بالملائكة وتعبدهم بالصلاة لا يفترون ساعة فجعل لكل أهل سماء نوعا من العبادة فاهل سماء قيام على ارجلهم الى نفخة الصور واهل سماء ركع واهل سماء سجد واهل سماء مرخية الاجنحة من هيبته تعالى واهل عليين واهل العرش وقوف يطوفون حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض فجمع الله ذلك كله فى صلاة واحدة كرامة للمؤمنين حتى يكون لهم حظ من عبادة اهل كل سماء وزادهم القرآن يتلونه فيها فطلب منهم شكرها وشكرها اقامتها بشرائطها وحدودها قال الله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون وقال واقيموا الصلاة وقال وأقم الصلاة وقال والمقيمين الصلاة فلم تجد ذكر الصلاة فى موضع من التنزيل إلا مع ذكر

اقامتها فلما بلغ ذكر المنافقين قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون فسماهم المصلين وسمى المؤمنين المقيمين الصلاة وذلك ليعلم ان المصلين كثير والمقيمين للصلوات قليل فاهل الغفلة يعملون الاعمال على الترويج ولا يذكرون يوم تعرض على الله فتقبل ام ترد وروى عن النبي عليه السلام انه قال ان منكم من يصلي الصلاة فلا يكتب له من صلاته الا ثلثها او ربعها او خمسها او سدسها حتى ذكر عشرها يعني انه لا يكتب له من صلاته إلا ما عقل منها (وروى) عن النبي عليه السلام انه قال من صلى ركعتين مقبلا على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وانما اعظم شان صلاة العبد باقبال العبد على الله فاذا لم يقبل على صلاته ولها بحديث النفس كان بمنزلة من وقف الى باب ملك معتذرا من خطيئته وذلته فلما وصل إلى باب الملك قام بين يديه واقبل عليه الملك فجعل الواقف يلتفت يمينا وشمالا فلم يقض الملك حاجته وانما يقبل الملك عليه على قدر عنايته فكذلك الصلاة إذا دخل العبد فيها ولها عنها لا تقبل منه واعلم ان مثل الصلاة كمثل وليمة اتخذها ملك وهيا فيها الوانا من الاطعمة والاشربة لكل لون لذة وفي كل لون منفعة ودعا الناس اليها فكذلك الصلاة دعاهم الرب اليها وهيا لهم فيها افعالا مختلفة واذكارا متنوعة فتعبدهم بها ليلذذهم بكل لون من العبودية فالافعال كالاطعمة والاذكار كالاشربة وقد قيل ان في الصلاة اثني عشرة الف خصلة ثم جمعت هذه الاثنتا عشرة الفا في اثنتي عشرة خصلة فمن اراد ان يصلي فلا بد أن يتعاهد هذه الاثنتي عشرة خصلة لتتم صلاته فستة قبل الدخول في الصلاة وستة فيها اولها العلم لأن النبي عليه السلام قال عمل قليل في علم خير من عمل كثير في جهل والثاني الوضوء لقوله عليه السلام لا صلاة إلا بطهور والثالث اللباس لقوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد يعني البسوا ثيابكم عند كل صلاة والرابع حفظ الوقت لقوله عز وجل ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا يعني فرضا مؤقتا والخامس استقبال القبلة لقوله عز وجل فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره يعني نحوه والسادس النية لقوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى والسابع التكبير لقوله عليه السلام تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والثامن القيام لقوله عز وجل وقوموا لله قانتين يعني صلوا قائمين والتاسع الفاتحة لقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن والعاشر الركوع لقوله عز وجل واركعوا والحادي عشر السجود لقوله عز وجل واسجدوا والثاني عشر القعود لقوله عليه السلام إذا رفع الرجل راسه من آخر السجدة وقعد قدر التشهد فقد تمت صلاته فاذا وجدت هذه الاثنتا عشرة يحتاج إلى الختم وهو الاخلاص لتتم هذه

الاشياء لان الله تعالى يقول فاعبدوا الله مخلصين له الدين فاما العلم فعلى ثلاثة اوجه اولها ان يعرف الفريضة من السنة والثاني ان يعرف ما في الوضوء من الفريضة والسنة ايضا فان ذلك من تمام الصلاة والثالث ان يعرف كيد الشيطان فياخذ في محاربته بالجهد واما الوضوء فتمامه في ثلاثة اشياء اولها ان تطهر قلبك من الغل والحسد والغش والثاني ان تطهر البدن من الذنوب والثالث ان تغسل الاعضاء غسلا سابغا بغير اسراف في الماء وأما اللباس فتمامه بثلاثة اشياء أولها ان يكون أصله من الحلال والثاني أن يكون طاهرا من النجاسات والثالث أن يكون موافقا للسنة ولا يكون لبسه على وجه الفخر والخيلاء وأما حفظ الوقت ففي ثلاثة أشياء أولها أن يكون بصرك الى الشمس والقمر والنجوم تتعاهد به حضور الوقت والثاني أن يكون سمعك الى الآذان والثالث أن يكون قلبك متفكرا متعاهدا للوقت وأما استقبال القبلة فتمامه في ثلاثة أشياء أولها ان تستقبل القبلة بوجهك والثاني أن تقبل على الله بقلبك والثالث أن تكون خاشعا ذليلا وأما النية فتمامها في ثلاثة أشياء أولها أن تعلم أي صلاة تصلي والثاني ان تعلم انك تقوم بين يدي الله تعالى وهو يراك فتقوم بالهيبة والثالث أن تعلم انه يعلم ما في قلبك فتفرغ قلبك من أشغال الدنيا وأما التكبير فتمامه في ثلاثة أشياء أولها أن تكبر تكبيرا صحيحا جزما والثاني أن ترفع يديك حذاء أذنيك والثالث ان يكون قلبك حاضرا فتكبر مع التعظيم وأما تمام القيام ففي ثلاثة أشياء أولها ان تجعل بصرك في موضع سجودك والثاني أن تجعل قلبك الى الله والثالث أن لا تلتفت يمينا ولا شمالا وأما تمام القراءة ففي ثلاثة أشياء أولها أن تقرأ فاتحة الكتاب قراءة صحيحة بالترتيل بغير لحن والثاني أن تقرأ بالتفكر وتتعاهد معانيها والثالث أن تعمل بما تقرأ وأما تمام الركوع ففي ثلاثة اشياء اولها ان تبسط ظهرك ولا تنكسه ولا ترفعه والثاني أن تضع يديك على ركبتيك وتفرج به أصابعك والثالث أن تطمئن راكعا وتسبح التسبيحات مع التعظيم والوقار وأما تمام السجود ففي ثلاثة اشياء أولها ان تضع يديك بحذاء أذنيك والثاني ان لا تبسط ذراعيك والثالث ان تطمئن فيه وتسبح مع التعظيم وأما تمام الجلوس ففي ثلاثة أشياء أولها ان تقعد على رجلك اليسرى وتنصب اليمنى نصبا والثاني أن تتشهد بالتعظيم وتدعو لنفسك وللمؤمنين والثالث أن تسلم على التمام وأما تمام السلام فانه يكون مع النية الصادقة من قلبك ان سلامك على من كان عن يمينك من الحفظة والرجال والنساء وكذلك عن يسارك ولا تجاوز بصرك عن منكبيك وأما تمام الاخلاص ففي ثلاثة اشياء أولها ان تطلب بصلاتك رضى الله تعالى ولا تطلب رضا الناس والثاني أن ترى التوفيق من الله تعالى والثالث ان تحفظها حتى تذهب بها يوم القيامة لان الله تعالى قال من جاء بالحسنة

(روى) ان عائشة رضي الله عنها قالت قلت يارسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة قال اما عند ثلاث مواضع فلا عند الميزان حتى يعلم اما ان يخف واما ان يثقل وعند تطاير الصحف اما ان يعطى كتابه بيمينه واما ان يعطى كتابه بشماله. وحين يخرج عنق من النار فينطوى عليهم ويقول وكلت بثلاثة وكلت بمن دعا مع الله إلها آخر وبكل جبار عنيد وبكل من لا يؤمن بيوم الحساب فينطوى عليهم حتى يرمى بهم فى غمرات جهنم ولجهنم جسر ادق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك والناس يمرون عليه كالبرق الخاطف وكالريح العاصف الحديث وعن ابى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق السموات والأرض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا بصره الى العرش ينتظر متى يأمر قال قلت يارسول الله وما الصور قال قرن من نور قلت يارسول الله كيف هو قال عظيم الداره والذى بعثنى بالحق نبيا لعظم دارته كعرض السماء والأرض ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة للفزع ونفخة للصعق ونفخة للبعث فتخرج الأرواح كانها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فتدخل فى الاجساد من الخياشيم ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الأرض وفى خبر آخر إذا احيا الله تعالى جبريل وميكائيل واسرافيل فينزلون الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم ومعهم البراق وحلل من الجنة فتنشق عنه الأرض فينظر النبى صلى الله عليه وسلم الى جبريل فيقول ياجبريل ماهذا اليوم فيقول له هذا يوم القيامة هذا يوم الحاقة هذا يوم القارعة فيقول ياجبريل مافعل الله بامتى فيقول له جبريل ابشر فانك أول من تنشق عنه الأرض (وروى) عن ابو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يامعشر الجن والانس انى نصحت لكم فانما هى اعمالكم فى صحفكم فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد ذلك فلا يلومن إلا نفسه (وذكر عن يحيى بن معاذ الرازى) أنه قرئ فى مجلسه يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا اى ركبانا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا يعنى مشاة عطاشا فقال ايها الناس مهلا مهلا غدا تحشرون الى الموقف حشرا وتاتون من الاطراف فوجا فوجا وتقفون بين يدى الله فردا فردا وتسئلون عما فعلتم حرفا حرفا وتقاد الاولياء الى الرحمن وفدا وفدا ويرد العاصون الى عذاب الله وردا ويدخلون جهنم حزبا حزبا اخوانى امامكم يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون يوم الراجفة يوم الآزفة يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم الحسرة والندامة يوم المناقشة يوم المحاسبة يوم المسائلة يوم الصيحة يوم الحاقة يوم القارعة يوم النشور يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يوم التغابن يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يوم لا ينفع مال ولا بنون

إلا من أتى الله بقلب سليم يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال مقاتل بن سليمان تقف الخلائق يوم القيامة مائة سنة لا يتكلمون ومائة سنة فى الظلمة متحيرون ومائة سنة يموج بعضهم فى بعض عندهم يختصمون وأن يوم القيامة على طوله خمسين ألف سنة مما تعدون ليمضى على المؤمن المخلص كأخف صلاة مكتوبة وقال ﷺ لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربعة أشياء عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه فيما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه (وروى) عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال لم يكن نبى قط إلا كانت دعوته مستجابة فعجلها فى الدنيا وإنى خبأت دعوتى شفاعتى لأمتى يوم القيامة اللهم شفعه فينا بجاهه عندك صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الخامس والستون فى صفة جهنم والميزان﴾

لا بأس بذكر ذلك وإن تقدم التنبيه على بعضه تتميما للفائدة لعل تكرر المواعظ ينفع القلوب الغافلة الفاسدة لاسيما وقد عظم الله سبحانه وتعالى هول جهنم وأحوال القيامة فى كتابه فى غير موضع بما يقع فى قلوب العاقلين أعظم موقع تنبيها على أن ما سوى ذلك هين والآخرة خير وأبقى أما صفة جهنم أعاذنا الله منها بمنه وكرمه فقد روى فى الحديث أن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب لها سبعة أبواب لكل باب سبعون ألف جبل فى كل جبل سبعون ألف شعبا من نار فى كل شعبة سبعون ألف شق من نار فى كل شق سبعون ألف واد من نار فى كل واد سبعون ألف قصر من نار فى كل قصر سبعون ألف بيت من نار فى كل بيت سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب لكل عقرب سبعون ألف ذنب لكل ذنب سبعون ألف فقار فى كل فقار سبعون ألف قلة من سم فإذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء فيطير منها سرادق عن يمين الثقلين وسرادق آخر عن يسارهم وسرادق أمامهم وسرادق من فوقهم وآخر من ورائهم فإذا نظر الثقلان إلى ذلك جثوا على الركب وصاروا ينادون كلهم رب سلم (وروى) مسلم أن رسول الله ﷺ قال يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال فى عظم خزنة جهنم المشار إليهم بقوله تعالى غلاظ شداد كل ملك ما بين منكبيه مسيرة سنة ولكل واحد منهم قوة لو أنه ضرب بالمقمع الذى فى يده جبلا لصار دكا فيدفع بكل ضربة سبعين ألفا فى قعر جهنم وأما قوله تعالى عليها تسعة عشر فالمراد بهم رؤساء الزبانية وإلا فلا شك أن النار لا يعلم عددهم إلا الله قال تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن سعة جهنم

فقال والله ما أدرى ماسعتها ولكن بلغنا أن بين شحمة أذن كل واحد من الزبانية وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا يعني سبعين سنة وأنها تجرى فيها أودية القيح والدم وفي حديث الترمذى ان كثافة كل سرادق من سرادقات النار اى كثافة جداره مسيرة أربعين سنة (وروى) مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا يارسول الله إن كانت لكافية فقال انها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها وقال ﷺ لو أن جهنميا من أهل جهنم أخرج كفه إلى أهل الدنيا لاحترقت الدنيا من حرها ولو أن خازنا من خزنة جهنم اخرج الى أهل الدنيا حتى يبصروه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله تعالى الذى عليه (وروى) مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ كان جالسا مع أصحابه إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ أتدرون ماهذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر رمى به في نار جهنم منذ سبعين خريفا فهو يهوى في النار الآن حين انتهى الى قعرها والوجبة هي الهدة وهي صوت وقع الثقيل (وكان عمر بن الخطاب) يقول أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وقعرها بعيد وان مقامعها من حديد وكان ابن عباس يقول إن النار تلتقط أهلها كما يلتقط الطائر الحب وسئل رضى الله عنه عن قوله تعالى إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فهل للنار عينان فقال نعم اما سمعتم قوله ﷺ من كذب على متعمدا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا قيل يارسول الله ولها عينان قال أما سمعتم قوله تعالى إذا رأتهم من مكان بعيد الحديث ويؤيده حديث يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق به فيقول إني وكلت اليوم بمن جعل مع الله إلها آخر فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه (وأما صفة الميزان) فقد ورد في الحديث أن كفة الحسنات من نور وكفة السيئات من ظلام (وروى) الترمذى أن رسول الله ﷺ قال إن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يساره وكفة الحسنات عن يمينه وكفة السيئات عن يساره فتكون الجنة مقابلة الحسنات والنار مقابلة السيئات وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول توزن الحسنات والسيآت في ميزان له كفتان ولسان وكان يقول إذا أراد الله وزن أعمال العباد قلبها أجساما فيزنها يوم القيامة

﴿الباب السادس والستون في بيان ذم الكبر والعجب﴾

اعلم أرشدني الله وإياك خير الدنيا والآخرة أن الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع سماع النصح وقبول التأديب ولذلك قالوا العلم يضيع بين الحياء والكبر العلم حرب المتعالى كما أن السيل حرب البناء العالى قال ﷺ لا يدخل

الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر وقال ﷺ من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه وقال الحكماء لا يدوم الملك مع الكبر وقد قرن الله سبحانه وتعالى الكبر بالفساد فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً وقال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق قال بعض الحكماء ما رأيت متكبراً إلا تحول ما به بى يعنى أتكبر عليه وكان ابن عوانة من أقبح الناس كبراً (روى) أنه قال لغلامه اسقنى ماء فقال نعم فقال إنما يقول نعم من يقدر أن يقول لا اصفعوه فصفع ودعا أكاراً فكلمه فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذاراً لمخاطبته ويقال فلان وضع نفسه فى درجة لو سقط منها لتكسر (قال الجاحظ) المشهورون بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو جعفر ابن كلاب وبنو زرارة بن عدى وأما الأكاسرة فكانوا لا يعدون الناس إلا عبيداً وأنفسهم إلا أرباباً وقيل لرجل من بنى عبد الدار ألا تأتى الخليفة فقال أخاف أن لا يحمل الجسر شرفى وقيل للحجاج بن ارطاة مالك لا تحضر الجماعة قال أخشى أن يزاحمنى البقالون وقيل أتى وائل ابن حجر الى النبى ﷺ فأقطعه أرضاً وقال لمعاوية اعرض هذه الأرض عليه واكتبها له فخرج معه معاوية فى هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فأحرقه حر الشمس فقال له اردفنى خلفك على ناقتك قال لست من أرداف الملوك قال فاعطنى نعليك قال ما بخل يمنعنى يا ابن أبى سفيان ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن أنك لبست نعلى ولكن امش فى ظل ناقتى فحسبك شرفاً وقيل إنه لحق زمن معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحدثه وقال المسرور ابن هند لرجل أتعرفنى قال لا قال أنا المسرور بن هند قال ما أعرفك قال فتعساً لمن لم يعرف القمر وفى مثله يقول الشاعر

قولا لأحمق يلوى التيه أخدعه ... لو كنت تعلم ما فى التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة ... للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقيل لا يتكبر إلا كل وضيع ولا يتواضع إلا كل رفيع وقال ﷺ ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال إنى آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا إله إلا الله فان السموات والأرض وما فيهن لو وضعت فى كفة الميزان ولا إله إلا الله فى الكفة الأخرى كان لا إله إلا الله أرجح منها ولو أن السموات والأرض كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليهما لقصمتهما وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شىء وبها يرزق كل شىء وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن علمه الله

كتابه ولم يمت جباراً وعن عبدالله بن سلام رضى الله عنه أنه مر فى السوق وعليه حزمة من حطب فقيل له ما يحملك على هذا وقد أغناك الله عن هذا قال أردت أن أدفع الكبر عن نفسى وفى تفسير القرطبى فى قوله تبارك وتعالى ولا يضربن بأرجلهن إن فعلنه تبرجا وتعرضا للرجال حرم وكذا من ضرب بنعله من الرجال عجباً حرم لأن العجب كبيرة

﴿ الباب السابع والستون فى الاحسان الى اليتيم واجتناب الظلم ﴾

أخرج البخارى أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهذين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما ومسلم كافل اليتيم له أولغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى والبزار من كفل يتيما له ذو قرابة أو لا قرابة له فأنا وهو فى الجنة كهاتين وضم أصبعيه ومن سعى على ثلاث بنات فهو فى الجنة وكان له كأجر المجاهد فى سبيل الله صائما قائما وابن ماجه من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهراً سيفه فى سبيل الله وكنت أنا وهو فى الجنة أخوين كما أن هاتين أختان وألصق أصبعيه السبابة والوسطى والترمذى وصححه من قبض يتيما من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الجنة البتة إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر له وفى رواية سندها حسن حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة البتة وابن ماجه خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه وأبو يعلى بسند حسن أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أنى أرى امرأة تبادرنى فأقول مالك ومن أنت تقول أنا امرأة قعدت على أيتام لى والطبرانى بسند رواته ثقات إلا واحداً ومع ذلك ليس بالمتروك والذى بعثنى بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم وألان له فى الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله وأحمد وغيره من مسح على رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كانت له فى كل شعرة مرت عليه يده حسنات ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة عنده كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين الحديث وأخرج جماعة وصححه الحاكم ان الله تعالى قال ليعقوب أن سبب ذهاب بصره وانحناء ظهره وفعل إخوة يوسف به ما فعلوا أنه أتاه يتيم مسكين صائم جائع وقد ذبح هو وأهله شاة فأكلوها ولم يطعموه ثم أعلمه الله تعالى بانه لم يحب شيئاً من خلقه حبه لليتامى والمساكين وأمره أن يصنع طعاما ويدعو المساكين ففعل والشيخان عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله تعالى وأحسبه قال وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر وابن ماجه الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وكالذى يقوم بالليل ويصوم النهار (قال بعض السلف) كنت فى بدء أمرى سكيراً مكباً على المعاصى فرأيت يوماً يتيما فأكرمته كما يكرم

الولد بل أكثر ثم نمت فرأيت الزبانية أخذونى أحذا مزعجاً إلى جهنم وإذا باليتيم قد اعترضنى فقال دعوه حتى أراجع ربى فيه فأبوا فاذا النداء خلوا عنه فقد وهبنا له ما كان منه باحسانه اليه فاستيقظت وبالغت فى إكرام اليتامى من يومئذ وكان البعض مياسير العلويين بنات من علوية فمات واشتد بهن الفقر إلى ان رحلن عن وطنهن خوف الشماتة فدخلن مسجد بلد مهجوراً فتركتهن أمهن فيه وخرجت تحتال لهن فى القوت فمرت بكبير البلد وهو مسلم فشرحت له حالها فلم يصدقها وقال لا بد أن تقيمى عندى البينة بذلك فقالت أنا غريبة فاعرض عنها ثم مرت بمجوسى فشرحت له ذلك فصدق وأرسل بعض نسائه فاتت بها وبيناتها الى داره فبالغ فى إكرامهن فلما مضى نصف الليل رأى ذلك المسلم القيامة قد قامت والنبى ﷺ معقوداً على رأسه لواء الحمد وعنده قصر عظيم فقال يا رسول الله لمن هذا القصر قال لرجل مسلم قال أنا مسلم موحد قال ﷺ أقم عندى البينة بذلك فتحير فقص له ﷺ خبر العلوية فانتبه الرجل فى غاية الحزن والكآبة إذ ردها ثم بالغ فى الفحص عنها حتى دل عليها بدار المجوسى فطلبها منه فابى وقال قد لحقنى من بركاتهن فقال خذ الف دينار وسلمهن إلى فابى فاراد أن يكرهه فقال الذى تريده أنا أحق به والقصر الذى رأيته فى النوم خلق لى أتفخر على باسلامك فوالله ما نمت أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل منامك وقال لى رسول الله ﷺ العلوية وبناتها عندك قلت نعم يا رسول الله قال القصر لك ولأهل دارك فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن ما لا يعلمه إلا الله تعالى

﴿ الباب الثامن والستون فى أكل الحرام ﴾

قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل الآية واختلفوا فى المراد به فقيل الربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور واخذ المال باليمين الكاذبة وقال ابن عباس هو ما يؤخذ من الانسان بغير عوض وعليه قيل لما نزلت الآية تحرجوا من أن يا كلوا عند احد شيئا حتى نزلت آية النور ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم الى آخرها وقيل هو العقود الفاسدة والوجه قول ابن مسعود انها محكمة ما نسخت ولا تنسخ الى يوم القيامة انتهى وذلك لان الاكل بالباطل يشمل كل ماخوذ بغير حق سواء كان على جهة الظلم كالغصب والخيانة والسرقة أو الهزؤ واللعب كالماخوذ بالقمار والملاهى وسياتى ذلك كله أو على جهة المكر والخديعة كالماخوذ بعقد فاسد ويؤيد ما ذكرته قول بعضهم الآية تشمل أكل الانسان مال نفسه بالباطل بان ينفقه فى محرم ومال

غير ما ... كالأمثلة المذكورة وقوله تعالى إلا أن تكون تجارة استثناء منقطع لأن التجارة ليست من جنس الباطل بأي معنى أريد به وتأويله بالسبب ليكون متصلا ليس في محله والتجارة وإن اختصت بعقود المعاوضات إلا أن نحو القرض والهبة ملحق بها بأدلة أخرى وقوله تعالى عن تراض منكم أي طيب نفس على الوجه المشروع وتخصيص الأكل فيها بالذكر ليس للتقييد به بل لكونه أغلب وجوه الانتفاعات على حد إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وأدلة هذا المبحث والتعليقات الواردة فيه من السنة كثيرة فلنقتصر على بعضها أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك والطبراني بإسناد حسن طلب الحلال واجب على كل مسلم والطبراني والبيهقي طلب الحلال فريضة بعد الفرائض والترمذي وقال حسن صحيح غريب والحاكم وصححه من أكل طيبا وعمل في سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة قالوا يارسول الله إن هذا في أمتك اليوم كثير قال وسيكون في قرون بعدي وأحمد وغيره بإسناد حسن أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خلق وعفة في طعمة والطبراني طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله والطبراني يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به وللبزار وفيه نكارة إنه لا دين لمن لا أمانة له ولا صلاة ولا زكاة إنه من أصاب مالا من حرام فلبس جلبابا يعني قميصا لم تقبل صلاته حتى ينحي ذلك الجلباب عنه إن الله تبارك وتعالى أكرم وأجل من أن يقبل عمل رجل أو صلاته وعليه جلباب من حرام وأحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم من حرام لم يقبل الله عز وجل له صلاة ما دام عليه ثم أدخل أصبعيه في أذنيه ثم قال اصمتا إن لم يكن النبي ﷺ سمعته يقول والبيهقي من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة فقد اشترك في عارها وإثمها

قال الحافظ المنذرى فى إسناده احتمال للتحسين ويشبه أن يكون موقوفا وأحمد بسند جيد والذى نفسي بيده لا يأخذ أحدكم حبله فيذهب به الى الجبل فيحتطب ثم يأتى فيحمله على ظهره فيأكل خير له من أن يجعل فى فيه ماحرم الله عليه وابنا خزيمة وحبان فى صحيحيهما والحاكم من جمع مالا حراما ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه والطبرانى من كسب مالا حراما فأعتق منه ووصل منه رحمه كان ذلك إصر عليه وأحمد وغيره بسند حسنه بعضهم ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وان الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا لمن يحب ومن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذى نفسى بيده لا يسلم أو لا يسلم عبد حتى سلم أو لا يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يؤمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه يارسول الله قال غشه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق منه فيقبل منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده الى النار إن الله تعالى لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث والترمذى وقال حسن صحيح غريب سئل ﷺ عن أكثر مايدخل الناس النار قال الفم والفرج وسئل عن أكثر مايدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق والترمذى وصححه ماتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه والبيهقى الدنيا خضرة حلوة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه فى حقه أثابه الله عليه وأورده جنته ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه فى غير حقه أورده الله دار الهوان ورب متخوض فى مال الله ورسوله له النار يوم القيامة يقول الله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا وابن حبان فى صحيحه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا من سحت والنار أولى به والترمذى لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به والسحت بضم فسكون أو ضم الحرام وقيل الخبيث من المكاسب وفى رواية بسند حسن لا يدخل الجنة جسد غذى بحرام

﴿ الباب التاسع والستون فى النهى عن الربا ﴾

الآيات فى النهى عن الربا كثيرة ومن الأحاديث مارواه البخارى وأبو داود لعن رسول الله ﷺ الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ونهى عن ثمن الكلب وكسب البغى ولعن المصورين وروى أحمد وأبو يعلى وابنا خزيمة وحبان فى صحيحيهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه إذا علموا به والواشمة والمستوشمة للحسن

ولاوى الصدقة والمرتد إعرابيا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم والحاكم وصححه أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين الربا ثلاث وسبعون بابا والشرك مثل ذلك والبيهقى الربا سبعون بابا أدناها الذى يقع على أمه والطبرانى فى الكبير عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من ثلاث وثلاثين زنية يزنيها فى الاسلام وفى سنده انقطاع (وروى) ابن أبى الدنيا والبغوى وغيرهما موقوفا على عبد الله وهو الصحيح وهذا الموقوف فى حكم المرفوع لأن كون الدرهم أعظم وزنا من هذا العدد المخصوص من الزنا لا يدرك إلا بوحى فكأنه سمعه منه صلى الله عليه وسلم ولفظ الموقوف فى أحد طرقه قال عبد الله الربا اثنان وسبعون حوبا أى بضم المهملة وبفتحها إثما أصغرها حوبا كمن أتى أمه فى الاسلام ودرهم من الربا أشد من بضع وثلاثين زنية قال ويأذن الله للبر والفاجر بالقيام يوم القيامة إلا آكل الربا فانه لا يقوم إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس واحمد باسناد جيد عن كعب الأحبار قال لأن أزنى ثلاثا وثلاثين زنية أحب إلى من أن آكل درهما ربا يعلم الله أنى أكلته ربا واحمد بسند صحيح والطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية وابن أبى الدنيا والبيهقى خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم والطبرانى فى الصغير والأوسط من أعان ظالما بباطل ليدحض به حقا فقد برىء من ذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أكل درهما من ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية ومن نبت لحمه من سحت فالنار أولى به والبيهقى إن الربا نيف وسبعون بابا أهونهن بابا مثل من أتى أمه فى الاسلام ودرهم من ربا أشد من خمس وثلاثين زنية الحديث الطبرانى فى الأوسط من رواية عمرو ابن راشد وقد وثق الربا إثنان وسبعون بابا أدناها مثل إتيان الرجل أمه وأربى الربا استطالة الرجل فى عرض أخيه وابن ماجه والبيهقى عن أبى معشر وقد وثق عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه والحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تشترى الثمرة حتى تطعم وقال إذا ظهر الزنا والربا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله وأبو يعلى باسناد جيد عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه ذكر حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم

قال فيه ما ظهر فى قوم الزنا والربا إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله واحمد باسناد فيه نظر ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرعب والسنة العام المقحط نزل فيه غيث أم لا واحمد فى حديث طويل وابن ماجه مختصرا والاصبهانى رأيت ليلة أسري بى لما انتهينا الى السماء السابعة فنظرت فوقى فاذا أنا برعد وبروق وقواصف قال فأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء آكلة الربا والاصبهانى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بى الى السماء نظرت فى سماء الدنيا فاذا رجال بطونهم كأمثال البيوت العظام قد مالت بطونهم وهم منضدون على سابلة آل فرعون موقوفون على النار كل غداة وعشي يقولون ربنا لا تقم الساعة أبدا قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء آكلة الربا من أمتك لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال الاصبهانى قوله منضدون أى مطروحون أى طرح بعضهم على بعض والسابلة المارة أى يطؤهم آل فرعون الذين يعرضون على النار كل غداة وعشي والطبرانى بسند صحيح بين يدى الساعة ويظهر الزنا والربا والخمر والطبرانى لا بأس به عن القاسم بن عبد الله الوراق قال رأيت عبد الله بن أبي أوفى رضى الله عنه فى سوق الصيارفة فقال يا معشر الصيارفة أبشروا قالوا أبشرك الله بالجنة تبشرنا يا أبا محمد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصيارفة أبشروا بالنار والطبرانى إياك والذنوب التى لا تغفر الغلول فمن غل شيئا يأتى به يوم القيامة وأكل الربا فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونا يتخبط ثم قرأ صلى الله عليه وسلم الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس والاصبهانى يأتى آكل الربا يوم القيامة مخبلا أى مجنونا يجر شقيه ثم قرأ لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس وابن ماجه والحاكم وصححه ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة والحاكم وصححه ايضا الربا وان كثر فان عاقبته الى قل وأبو داود وابن ماجه كلاهما عن الحسن عن أبي هريرة واختلف فى سماعه منه والجمهور على عدمه ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا آكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره وعبد الله بن احمد فى زوائد المسند والذى نفسى بيده ليبيتن أناس من أمتى على شر وبطر ولهو ولعب فيصبحوا قردة وخنازير باستحلالهم المحارم واتخاذهم القينات وشربهم الخمر وبأكلهم الربا ولبسهم الحرير ومختصرا والبيهقى واللفظ له يبيت قوم من هذه الأمة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحون قد مسخوا قردة وخنازير وليصيبنهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة ببنى فلان وخسف الليلة بدار فلان ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت

على قوم لوط على قبائل منها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم وخصلة نسيها رواية القينات جمع قينة وهى المغنية

﴿الباب السبعون في حقوق العبد﴾

هى أن تسلم عليه إذا لقيته وتجيبه إذا دعاك وتشمته اذا عطس وتعوده إذا مرض وتشهد جنازته اذا مات وتبر قسمه اذا أقسم عليك وتنصح له إذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيبه اذا غاب عنك وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك ورد جميع ذلك فى أخبار وآثار (وقد روى) أنس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى قوله تعالى رحماء بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم فاذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد ﷺ قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه ونفعنا به وإذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير سمعت رسول الله ﷺ يقول مثل المؤمنين فى توددهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائره بالحمى والسهر (وروى) أبو موسى عنه ﷺ انه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها أن لا يؤذى أحدا من المسلمين فعل ولا قول قال ﷺ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال ﷺ فى حديث طويل يأمر فيه بالفضائل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدقت بها على نفسك وقال أيضا افضل المسلمين من سلم المسلم من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من امنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه وقال رجل يارسول الله ما الاسلام قال ان يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك وقال مجاهد يسلط على اهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم احدهم من جلده فينادى يافلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذى المؤمنين وقال ﷺ لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين وقال ابو هريرة رضى الله عنه يارسول الله علمنى شيئا انتفع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين وقال ﷺ من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة وقال ﷺ لا يحل لمسلم ان يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه وقال ﷺ لا يحل لمسلم ان يروع مسلما

وقال ﷺ ان الله يكره اذى المؤمنين وقال الربيع بن خيثم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه إن الله لا يحب كل مختال فخور وقال رسول الله ﷺ ان الله تعالى أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ثم ان تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه ﷺ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن ابن أبى أوفى كان رسول الله ﷺ يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أى يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال ﷺ لا يدخل الجنة قتات وقال الخليل بن احمد من نم لك نم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك ومنها أن لا يزيد فى الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه قال ابو أيوب الانصارى قال رسول الله ﷺ لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام وقد قال ﷺ من اقال مسلما عثرته اقاله الله يوم القيامة قال عكرمه قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك فى الدارين قالت عائشة رضى الله عنها ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو إلا عزا وما من احد تواضع لله إلا رفعه الله

﴿الباب الحادى والسبعون فى ذم اتباع الهوى وفى بيان الزهد﴾

قال الله تعالى أرأيت من اتخذ إلهه هواه واضله الله على علم الآية قال ابن عباس ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان والمعنى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه اليه ولا يعمل بكتاب الله فكانه يعبد هواه وقال تعالى ولا تتبع أهواءهم وقال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ولذلك استعاذ ﷺ منه بقوله اللهم انى أعوذ بك من هوى مطاع وشح متبع وقال ثلاث مهلكات هوى مطاع وشح متبع وإعجاب المرء بنفسه وذلك لأن كل معصية سببها هوى النفس فهو يقود الى النار اعاذنا الله منه قال بعض العارفين اذا بدهك امران لا تدرى فى ايهما الصواب فانظر ايهما اقرب الى هواك فخالفه وفى هذا المعنى قال الشافعى رضى الله عنه

اذا حار امرك فى معنيين ... ولم تدر حيث الخطا والصواب

فخالف هواك فان الهوى يقود النفوس إلى مايعاب

وقال العباس إذا اشتبه عليك رأيان فدع احبهما إليك وخذ أثقلهما عليك واصله ان الأمر الخفيف يسهل عليك موقعه و يقرب موضعه وتخف مؤونته وتأتى معونته فيشره المرء اليه وتحرص النفس عليه والأمر الثقيل يصعب موقعه ويبعد موضعه وتبطىء معونته فتكسل النفس عنه وتكره التعب به (وروى) عن عمر رضى الله عنه أنه قال اقدعوا هذه الأنفس فانها طليعة تنزع بك إلى شر غاية ان هذا الحق ثقيل مرىء وأن الباطل خفيف وبى وترك الخطيئة أيسر من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة ولذة ساعة أورثت حزنا طويلا وقال لقمان لابنه يابنى أول ماأحذرك من نفسك فان لكل نفس هوى وشهوة فان أعطيتها شهوتها تمادت وطلبت سواها فان الشهوة كامنة فى القلب كمون النار فى الحجر ان قدح أوري وان ترك توارى قال بعضهم

إذا ماأجبت النفس فى كل دعوة ۞ دعتك إلى الأمر القبيح المحرم

(وقال آخر) إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى إلى كل مافيه عليك مقال

(وقال غيره) واعلم بأنك لن تسود ولن ترى طرق الرشاد إذا اتبعت هواك

(وقال آخر)

إذا شئت إتيان المحامد كلها ونيل الذى ترجوه من رحمة الرب
فخالف هوى النفس المسيئة انه لأعدى وأردى من هوى الحب
هما سببا حتف الهوى غير أن فى هوى الحب مهما عف بعدا عن الذنب
وحل المعاصى فى هوى النفس فاعتمد خلاف الذى تهواه إن كنت ذا لب

(وقال آخر)

إنارة العقل مكسوف بطوع هوى وعقل عاصى الهوى يزداد تنويرا

وقال الفضل بن العباس

لقد ترفع الأيام من كان جاهلا ويردى الهوى ذا الرأى وهو لبيب
وقد تحمد الناس الفتى وهو مخطىء ويعذل فى الاحسان وهو مصيب

وقال صلى الله عليه وسلم خلق الله العقل وقال له أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر فقال وعزتى وجلالى لاركبتك إلا فى أحب الخلق إلى وخلق الحمق فقال له أقبل فاقبل وقال له أدبر

قادر فقال وعزتى وجلالى لاركبتك إلافى أبغض الخلق إلى رواه الترمذى ولله در من قال

وقد اصاب رأيه عين الصواب   من استشار عقله فى كل باب
وقد رأى ان الهوى مهما يحب   يدعوالى سوء العواقب والعقاب

(وأنشد آخر)

اذاشئت أن تحظى وأن تبلغ المنى   فلا تسعد النفس المطيعة للهوى
وخالف بها عن مقتضى شهواتها   واياك أن تحفل بمن ضل أوغوى
ودعها وما تدعو اليه فانها   لأمارة بالسوء من هم أو مدى
لعلك أن تنجو من النار انها   لقاطعة الأمعاء نزاعة الشوى

ومن منثورهم الهوى مركب ذميم يسير بك فى ظلمات الفتن ومرتع وخيم يقعدك فى مواطن المحن فلا تحملنك شهوة النفس على ركوب المندمات والقعود فى مواطن الخطيئات قيل لبعضهم لوتزوجت قال لوقدرت أن أطلق نفسى لطلقتها وأنشد

تجرد من الدنيا فانك انما   سقطت الى الدنيا وأنت مجرد

الدنيا نوم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن فى أضغاث أحلام من نظر بعين الهوى حار ومن حكم على الهوى جار ومن أطال النظر لم يدرك الغاية وليس لناظر نهاية وصى بعض الحكماء رجلا فقال آمرك بمجاهدة هواك فان الهوى مفتاح السيئات وخصيم الحسنات وكل أهوائك لك عدو وأهواها هوى بمثل لك الاثم فى صورة التقوى ولن تفصل بين هذه الخصوم اذا تناظرت لديك الا بحزم لايشوبه وهن وصدق لايطمع فيه تكذيب ومضاء لايقاربه التثبط وصبر لايغشاه جزع ونية لا يتقسمها التضييع اللهم اجعل عقولنا غالبة على هوانا ولا تذقنا ضراولاهوانا ولا تشغلنا بدنيانا عن أخرانا وتجعلنا ذاكرين شاكرين لنعمتك بجاه نبيك محمد سيدنا ومولانا ﷺ والحمدلله على ماأولانا وقال ﷺ خيردينكم الورع وقال سيد العمل الورع وقال كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وقال ﷺ من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله اذا خلا لم يعبأ الله بشىء من علمه قال ابراهيم بن أدهم الزهد ثلاث مقامات فزهد فرض وهو الكف عن المحارم وزهد سلامة وهو ترك الشبهات وزهد فضل وهو الزهد فى الحلال وهذا تفسير حسن قال ابن المبارك الزهد اخفاء الزهد اذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه واذا طلب الناس فاهرب منه وما أحسن قول القائل

إن وجدت فلا تظن غيره   ان التورع عند هذا الدرهم

فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

وليس الزاهد زهد فى الدنيا وقد أعرضت عنه وإنما الزاهد من أقبلت عليه فزوى عنها وجهه وآثر الفرار منها كما قال أبو تمام

إذا المرء لم يزهد وقد صبغت له بعصفرها الدنيا فليس بزاهد

وقال بعض الحكماء مالنا لانزهد فى الدنيا وعمرها أمد وخيرها نكد وصفوها كدر وأمانها غرر إن أقبلت تشجي وان أقبلت تردي قال

تبا لدنيا لابقاء لها كأنما هى فى تصريفها حلم
صفاؤها كدر سراؤها ضرر أمانها غرر أنوارها ظلم
شبابها هرم راحاتها سقم لذاتها ندم وجدانها عدم
لايستفيق من الأنكاد صاحبها لو كان يملك ماقد ضمنت إرم
تخل عنها ولا تركن لزهرتها فانها نعم فى طيها نقم
واعمل لدار نعيم لانفاد لها ولا يخاف بها موت ولا هرم

ومن حكم يحيى بن معاذ ليكن نظرك إلى الدنيا اعتباراً ورفضك لها اختياراً وسعيك فيها اضطراراً وطلبك الآخرة ابتداراً

(الباب الثانى والسبعون فى صفة الجنة ومراتب أهلها)

اعلم أن تلك الدار التى عرفت همومها وغمومها وهى النار تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها فان من بعد من إحداهما استقر لامحالة فى الأخرى فاستأثر الخوف من قلبك بطول الفكر فى أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر فى النعيم المقيم الموعود لأهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم فتفكر فى أهل الجنة وفى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر الياقوت الأحمر فى خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من العبقرى الأخضر متكئين على الأرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان يمشين فى درجات الجنان إذا اختالت إحداهن فى مشيها حمل أعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الأبيض ماتتحير فيه الأبصار متوجات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات فى الخيام

فى قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكاس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون فى مقام امين فى جنات وعيون فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد أشرقت فى وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فى ما اشتهت أنفسهم خالدون لايخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا وماء غير آسن اراضيها من فضة وحصباؤها مرجان وترابها مسك أذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون بأكواب أى أكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب وكوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه آدمى فيقصر فى تسوية صنعته وتحسين صناعته فى كف خادم يحكى ضياء وجهه الشمس فى اشراقها ولكن من أين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن اصداغه وملاحة احداقه فياعجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لايموت اهلها ولاتحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولاتنظر الاحداث بعين التغيير إلى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله فى خرابها ويهنأ بعيش دونها والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الابدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرا بان يهجر الدنيا بسببها وان لايؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته كيف واهلها ملوك آمنون وفى أنواع السرور ممتعون لهم فيها كل مايشتهون وهم فى كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله مالاينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون ومن زوالها آمنون قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ ينادمناديا أهل الجنة أن لكم أن تصحوا فلاتسقموا ابدا وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم أن تشبوا فلاتهرموا ابدا وأن لكم أن تنعموا فلاتبأسوا ابدا فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان واقرأ من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وان أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتأمل الآن

تفصيلها بعد أن اطلعت على جملتها وتأمل أولا (عدد الجنان) قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ثم أنظر إلى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب أصول الطاعات كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصي قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال أبو بكر رضي الله عنه والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعي فهل يدعى أحد منها كلها قال نعم وأرجوا أن تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن علي كرم الله وجهه أنه ذكر النار فعظم امرها ذكرا لا أحفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى إذا انتهوا الى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى إحداهما كما امروا به فشربوا منها فاذهبت ما في بطونهم من أذى و باس ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلا تتغير اشعارهم بعدها ابدا ولا تشعث رؤسهم كأنما دهنوا بالدهان ثم انتهوا إلى الجنة فقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة يقولون له ابشر اعد الله لك من الكرامة كذا قال فينطلق غلام من اولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا فتقول أنت رأيته فيقول انا رأيته وهو باثري فيستخفها الفرح حتى تقوم إلى اسكفة بابها فاذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنائها فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح احمر واخضر واصفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فاذا هو مثل البرق ولولا أن الله تعالى أقدره لألم بان يذهب بصره ثم طأطئ رأسه فاذا أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكأ فقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ثم ينادي مناد تحيون فلا تموتون ابدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا وقال رسول الله ﷺ آتي يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فاقول محمد فيقول بك امرت أن لا افتح لاحد قبلك ثم تامل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة

المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك احد بطاعة الله تعالى فقد امر الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى سابقوا إلى مغفرة من ربكم وقال تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب أنه لو تقدم عليك اقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثقل عليك ذلك أو ضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك واحسن احوالك أن تستقر فى الجنة وأنت لا تسلم فيها من اقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال ابو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الغائر فى الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال ايضا ان أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى افق من آفاق السماء وأن ابا بكر وعمر منهم وأنعما وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك بابينا انت وامنا قال ان فى الجنة غرفا من اصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال امتى تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقى أخاه فسلم عليه فقد افشى السلام ومن اطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد ادام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة فى جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعنى اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصور من لؤلؤ فى كل قصر سبعون دارا من ياقوت احمر فى كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر فى كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن فى كل غداة يعنى من القوة ما يأتى على ذلك اجمع

(الباب الثالث والسبعون فى الصبر والرضا والقناعة)

أما فضل الرضا من الآيات فقوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان إلا الاحسان ومنتهى الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى وقال تعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر فقد رفع الله الرضا

فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
ولذكر الله اكبر فكما ان مشاهدة المذكور فى الصلاة اكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة
أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان وفى الحديث أن الله تعالى يتجلى
للمؤمنين فيقول سلونى فيقولون رضاك فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل
واما رضا العبد فسنذكر حقيقته واما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر
يقرب مما ذكرناه فى حب الله للعبد ولا تجوز أن يكشف عن حقيقته إذ تقصر أفهام الخلق عن
دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سألوه
الرضا لأنه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية الغايات واقصى الامانى لما ظفروا
بنعيم النظر فلما امروا بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعلموا ان الرضا هو سبب دوام رفع
الحجاب وقال الله تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه يأتى أهل الجنة فى وقت المزيد
ثلاث تحف من عند رب العالمين إحداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم فى الجنان مثلها
فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة اعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد
ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى انى
عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله اكبر
أى من النعيم الذى هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد واما فضله من
الاخبار فقد (روى) أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما انتم فقالوا امؤمنون فقال
ما علامة إيمانكم فقالوا الصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال
مؤمنون ورب الكعبة وفى خبر آخر انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وفى
الخبر طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به وقال صلى الله عليه وسلم من رضى من الله تعالى
بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل وقال تعالى إذا أحب الله تعالى عبدا
ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه وقال ايضا إذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة
من امتى اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاؤا
فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فتقول لهم هل جزتم الصراط
فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا فتقول الملائكة من
أمة من انتم فيقولون من امة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول نشدنا كم الله حدثونا ما كانت أعمالكم فى
الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغتنا هذه المنزلة بفضل رحمة الله فيقولون وما هما فيقولون
كنا إذا خلونا نستحى ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا

وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا وفى أخبار موسى عليه السلام أن بنى إسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا إذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام إلهى قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عنى حتى أرضى عنهم وأما فضل (الصبر) فقد ذكر فى القرآن فى نيف وتسعين موضعا وأضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمرة له وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات فى مقام الصبر يطول (وأما الأخبار) فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان وقال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على ما أنتم عليه أحب الى من أن يوافينى كل امرىء منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا أجرهم الآية (وروى) جابر أنه سئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال أيضا الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق بأخلاقى وان من أخلاقى انى أنا الصبور وفى حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله قال وما علامة إيمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم فى الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والاخبار فى هذا لا تحصى وقال صلى الله عليه وسلم عز من قنع وذل من طمع وقال صلى الله عليه وسلم القناعة كنز لا يفنى وتقدم الكلام على القناعة مرارا

(الباب الرابع والسبعون فى فضل التوكل)

فمن الآيات قوله تعالى إن الله يحب المتوكلين وأعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه مضمون بكفاية الله تعالى ملابسه فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود رأيت الأمم فى الموسم فرأيت أمتى قد ملؤا السهل والجبل فأعجبتنى كثرتهم وهيئتهم

فقيل لى أرضيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يارسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة وقال يارسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقال آخر يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما فى يديه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا الى الصلاة ويقول بهذا أمرنى ربى عز وجل وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استرقى واكتوى (وروى) أنه لما قال جبريل لابراهيم عليهما السلام وقد رمى الى النار بالمنجنيق ألك حاجة قال أما اليك فلا وفاء بقوله حسبى الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين أخذ ليرمى فانزل الله تعالى وابراهيم الذى وفى وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود ما من عبد يعتصم بى دون خلقى فتكيده السموات والأرض إلا جعلت له مخرجا وقال سعيد بن جبير لدغتنى عقرب فاقسمت على أمى لتسترقين فناولت الراقى يدى التى لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت الى آخرها فقال ما ينبغى للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ الى أحد غير الله تعالى وقيل لبعض العلماء فى منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك وقال يحيى بن معاذ فى وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد وقال ابراهيم ابن أدهم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لى ليس هذا العلم عندى ولكن سل ربى من أين يطعمنى وقال هرم ابن حيان لاويس القرنى أين تأمرنى أن أكون فاومأ الى الشام قال هرم كيف المعيشة قال أويس أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا نسأل الله تعالى حسن الأدب

(الباب الخامس والسبعون فى فضل المسجد)

قال الله عز وجل إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وقال صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرا فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من ألف المسجد ألفه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس وقال صلى الله عليه وسلم

لاصلاة لجار المسجد إلا فى المسجد وقال صلى الله عليه وسلم الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مصلاه الذى يصلى فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له مالم يحدث أو يخرج من المسجد وقال صلى الله عليه وسلم يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لاتجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل فى بعض الكتب أن بيوتى فى أرض المساجد وأن زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس فى المسجد فانما يجالس ربه فما حقه أن يقول إلا خيرا (ويروى) فى الأثر أو الخبر الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش وقال النخعى كانوا يرون أن المشى فى الليلة المظلمة الى المسجد موجب للجنة وقال أنس بن مالك من أسرج فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام فى ذلك المسجد ضوء وقال على كرم الله وجهه اذا مات العبد يبكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكى عليه الارض أربعين صباحا وقال عطاء الخراسانى مامن عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك مامن بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر الا افتخرت على ماحولها من البقاع واستبشر بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع أرضين ومامن عبد يقوم يصلى الا تزخرفت له الارض ويقال مامن منزل ينزل فيه قوم الا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم أو يلعنهم

﴿الباب السادس والسبعون فى الرياضة وفضل اهل الكرامة﴾

اعلم ان الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى فى عين أخيه ولا يرى الجذع فى عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق (الاول) أن يجلس بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه فى نفسه ويتبع اشارته فى مجاهدته وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه استاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز فى هذا الزمان وجوده (الثانى) ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما كره من اخلاقه وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان

يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الى عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال بلغني أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال هل بلغك غير هذا قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلا منصبا كان أقل إعجابا وأعظم اتهاما لنفسه إلا ان هذا أيضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر في أمثالنا الى أن أبغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا بعيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصحا عن ضعف الايمان فان الأخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه وفرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب وإبعادها وقتلها وإنما نكايتها على البدن ويدوم ألمها يوما فما دونه ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بعد الموت أبدا أو آلافا من السنين ثم أنا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله (الطريق الثالث) أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فان عين السخط تبدي المساويء ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه إلا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على ألسنتهم (الطريق الرابع) أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم

أن الطباع متقاربة فى اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لاينفك القرين الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شىء منه فليتفقد نفسه ويطهرها عن كل مايذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم مايكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب (قيل) لعيسى عليه السلام من أدبك قال ماأدبنى أحد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا زكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا فى الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لها فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذى يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذى هو بصدده (واعلم) ان ماذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغى أن يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقى والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما ان العلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ماذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذى يقتضى الايمان بهذا الامر فى القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وقال تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال ﷺ المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين أن النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها ويروى أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام ياداود حذر وانذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال نبينا ﷺ لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر الى الجهاد الاكبر قيل يارسول الله وما الجهاد الاكبر قال جهاد النفس وقال ﷺ المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله اذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا إلا أن يغفر الله تعالى ويستر وقال سفيان الثورى ماعالجت شيئا أشد على من نفسى مرة لى ومرة على وكان أبو عباس الموصلى يقول لنفسه يانفس لا فى الدنيا مع أبناء

الملوك تتنعمين ولا فى طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأنى بك بين الجنة والنار تحبسين يا نفس ألا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازى جاهد نفسك باسياف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شىء أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى واذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدى الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتامن من بوائقها من بين سائر الآنام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجوا من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول فى ميدان الخيرات وتسير فى مسالك الطاعات كالفرس الفارة فى الميدان وكالملك المتنزه فى البستان وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها مقهورا مغلولا زمامه فى يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا بترك النعيم وقال أبو يحيى الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الخبز فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل (ويروى) ان امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد أن ملك خزائن الأرض وقعدت له على رابية الطريق فى يوم موكبه وكان يركب فى زهاء اثنى عشر ألفا من عظماء مملكته سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم لهم ان الحرص والشهوة صير الملوك عبيدا وذلك جزاء المفسدين وأن الصبر والتقوى صيرت العبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقال الجنيد أرقت ليلة فقمت الى وردى فلم اجد الحلاوة التى كنت أجدها فاردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فاذا رجل ملتف فى عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بى قال يا أبا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدى من غير موعد فقال بلى سالت الله عز وجل أن يحرك لى قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فمتى يصير داء النفس دواها فقلت اذا خالفت النفس هواها فاقبل على نفسه فقال اسمعى فقد اجبتك بهذا

سبع مرات فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنيد هاقد سمعتيه ثم انصرف وماعرفته وقال يزيد الرقاشي اليكم عنى الماء البارد فى الدنيا لعلى لا أحرمه فى الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متى أصمت قال اذا اشتهيت الكلام. وقال على رضى الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات فى الدنيا

﴿الباب السابع والسبعون فى الايمان والنفاق﴾

اعلم ان كمال الايمان الذى هو التصديق بوحدانية الله تعالى وبما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم بزيادة الأعمال قال الله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون وقال الله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى أولئك الذين صدقوا وقد قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل الآية وقد قال تعالى هم درجات عند الله وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون بابا أدناها اماطة الاذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال واما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى فقوله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم أنه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفى بعض الروايات واذا عاهد غدر وفى حديث أبى سعيد الخدرى القلوب أربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المادتين غلب عليه حكم له بها وفى لفظ آخر غلبت عليه ذهبت به وقال صلى الله عليه وسلم أكثر منافقى هذه الامة قراؤها وفى الحديث الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا وقال حذيفة رضى الله عنه كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى أن يموت وإنى لاسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه برىء من النفاق وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو خفى وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه برىء منه فقد قيل للحسن البصرى يقولون أنه لا نفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك المنافقين لاستوحشتم فى الطريق وقال هو أو غيره لو نبتت للمنافقين أذناب

بما قدرنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا وسمع ابن عمر رضي الله عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا يسمع أكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه وقيل للحسن إن قوما يقولون إنا لا نخاف النفاق فقال والله لأن أكون أعلم أني برىء من النفاق أحب إلي من تلاع الأرض ذهبا وقال الحسن إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه إني أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق إن المنافق قد أمن من النفاق وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق (وروى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبيناهم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يا رسول الله هو هذا الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم فقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم إني أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم فقيل له أتخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال الله سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل في التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات وقال سري السقطي لو أن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان أسيرا في يديها فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وإنه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر في المنافقين وقال أبو سليمان الداراني سمعت من بعض الأمراء شيئا فأردت أن أنكر فخفت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الإيمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار والثاني يفضي بصاحبه إلى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين

﴿ الباب الثامن والسبعون فى النهى عن الغيبة والنميمة ﴾

أما الغيبة فقد نص الله سبحانه على ذمها فى كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال ﷺ كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو برزة قال ﷺ لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا وعن جابر وأبى سعيد قالا قال رسول الله ﷺ إياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزنى ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال أنس قال رسول الله ﷺ مررت ليلة أسرى بى على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى أعراضهم وقال سليمان بن جابر أتيت النبى ﷺ فقلت علمنى خيرا أنتفع به فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تصب من دلوك فى إناء المستقى وأن تلقى أخاك ببشر حسن وإن أدبر فلا تغتبه وقال البراء خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق فى بيوتهن فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته وقيل أوحى الله الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وقال أنس أمر رسول الله ﷺ الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجىء فيقول يا رسول الله ظللت صائما فأذن لى لأفطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من أهلى ظلتا صائمتين وإنهما يستحيان أن يأتياك فأذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه ﷺ ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال إنهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحوم الناس اذهب فرهما إن كانا صائمتين أن يستقاء فرجع اليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبى ﷺ فأخبره فقال والذى نفسى بيده لو بقيتا فى بطونهما لأكلتهما النار وفى رواية إنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك قال يا رسول الله إنهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال ﷺ ائتونى بهما فجاءتا فدعا رسول الله ﷺ بقدح فقال لاحداهما قيئى فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للأخرى قيئى فقاءت كذلك فقال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله

عليهما جلست إحداهما الى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال أنس خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض الرجل المسلم (وأما النميمة) فهى خصلة ذميمة قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذى لا يكتم الحديث وأشار به ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد زنا استنباطا من قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعى وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى حمالة الحطب قيل انها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح تخبر أنه مجنون وقد قال ﷺ لا يدخل الجنة نمام وفى حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ أحبكم الى الله أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان أبغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات وقال ﷺ ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها فى النار يوم القيامة وقال ابو الدرداء قال رسول الله ﷺ أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يشينه بها يوم القيامة فى النار وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ من شهد على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال إن ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمى فقالت سعد من دخلنى فقال الجبار جل جلاله وعزتى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطى ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذى يقول على عهد الله ان لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به وروى كعب الأحبار ان بنى إسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى اليه إنى لا أستجيب لك ولمن معك وفيك نمام قد أصر على النميمة فقال موسى يارب من هو دلنى عليه حتى أخرجه من بيننا قال ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا جميعا فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ فى سبع كلمات فلما قدم عليه قال إنى جئتك للذى آتاك الله تعالى من العلم أخبرنى عن السماء وما أثقل منها وعن الأرض وما أوسع

منها وعن الصخر وما أقسى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أذل منه فقال الحكيم له البهتان على البرىء أثقل من السموات والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة الى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقسى من الحجر والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم وما أحسن قول الشاعر

من نم فى الناس لم تؤمن عقاربه ... على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل ولا يدرى به أحد ... من أين جاء ولا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه ... والويل للود منه كيف ينفيه

(وقول الآخر)

يسعى عليك كما يسعى اليك فلا ... تأمن غوائل ذى وجهين كياد

﴿ الباب التاسع والسبعون فى بيان عداوة الشيطان ﴾

قال صلى الله عليه وسلم فى القلب لمتان لمة (١) من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية وقال الحسن إنما هما همان يجولان فى القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهده وقال جابر بن عبيدة العدوى شكوت الى العلاء بن زياد ما أجد فى صدرى من الوسوسة فقال إنما مثل ذلك مثل البيت الذى يمر به اللصوص فان كان فيه شىء عالجوه وإلا مضوا وتركوه يعنى أن القلب الخالى عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى إن عبادى ليس لك عليهم سلطان فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وهو إشارة الى أن من الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله حال الشيطان بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى وفى الخبر أن للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب

---

(١) قوله لمة بفتح اللام وتشديد الميم اى مس كما فى القاموس

إلا ذكر ماسوى ما يوسوس به لأنه إذا خطر فى القلب ذكر شىء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شىء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به يجوز أيضا أن يكون له مجالا للشيطان وذكر الله هو الذى يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشىء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرى عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف عليهم فى أوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون وقال مجاهد فى معنى قول الله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على القلب فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وان نسى الله تعالى التقم قلبه وقال ابن وضاح فى حديث ذكره اذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بأبى وجه من لا يفلح وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية فى لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى اخبارا عن ابليس لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم ثم قعد بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل وتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة

(الباب الثمانون فى بيان المحبة ومحاسبة النفس)

قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره إيثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء فى الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم

يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن ادراكه وتمتنع الألسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله احذر أن تذل لغير الله وقيل الشبلي رحمه الله صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وأنشد الشبلي رحمه الله

يا أيها السيد الكريم ... حبك بين الحشا مقيم
يا رافع النوم عن جفوني ... أنت بما مر بي عليم

ولغيره عجبت لمن يقول ذكرت ألفي ... وهل أنسى فاذكر ما نسيت
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ... ولولا حسن ظني ما حييت
فأحيا بالمنى وأموت شوقا ... فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحب كاسا بعد كأس ... فما نفد الشراب وما رويت
فليت خياله نصب لعيني ... فان قصرت في نظرى عميت

وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى أوحى الله إلى عيسى عليه السلام أنى إذا أطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم سمنون يوما في المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الأرض حتى سال الدم منه فمات وقال ابراهيم بن أدهم إلهي إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندى جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال السرى رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال إلى الدنيا طاش والأحمق يغدو ويروح في لاش والعاقل عن عيوبه فتاش (وأما محاسبة النفس) فقد أمر الله بها بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضى الله تعالى عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وفي الخبر أنه ﷺ جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني فقال أمستوص أنت فقال نعم قال إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وفي الخبر وينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال تعالى وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم وقد قال النبي ﷺ انى لا يستغفر الله

تعالى وأتوب اليه في اليوم مائة مرة وقال الله تعالى ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون وعن عمر رضى الله تعالى عنه أنه كان يضرب قدميه بالدرة إذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران أنه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب الى من عمر ثم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ماقال فقال لا أحد أعز على من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها وحديث أبي طلحة حين شغله الطائر فى صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض مما فاته وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان فى بيتك وغلمانك مايكفونك هذا فقال أردت أن اجرب نفسي هل تنكره وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول والله انك لتعجبنى وانك لمن حاجتى ولكن هيهات حيل بينى وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله أعذر بهذا والله لا أعود لهذا ابدا ان شاء الله (وقال أنس بن مالك) سمعت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو فى الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك وقال الحسن فى قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتى ماذا أردت بأكلتى ماذا أردت بشربتى والفاجر يمضى قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس وقال ميمون بن مهران التقى اشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح وقال ابراهيم التيمى مثلت نفسى فى الجنة آكل من ثمارها واشرب من انهارها واعانق أبكارها ثم مثلت نفسى فى النار آكل من زقومها واشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسي يا نفس أى شيء تريدين فقالت اريد ان ارد الى الدنيا فاعمل صالحا قلت فأنت فى الامنية فاعملى وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل ان يصير الحساب الى غيره رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر

ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر فى مكياله رحم الله امرأ نظر فى ميزانه فما زال يقول حتى ابكانى وحكى صاحب للاحنف بن قيس قال كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجىء الى المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ماصنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

﴿الباب الحادى والثمانون فى بيان تلبيس الحق بالباطل﴾

قال رسول الله ﷺ فيما رواه معقل بن يسار يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن فى قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان امرهم كله يكون طمعا لاخوف معه ان أحسن أحدهم قال يتقبل منى وان أساء قال يغفر لى فاخبر انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن ومافيه وبمثله اخبر عن النصارى إذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه أنهم ورثوا الكتاب أى هم علماء يأخذون عرض هذا الادنى أى شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد والقرآن من أوله تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرؤن شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بما فيه وهل فى العالم غرور يزيد على هذا ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص إلا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم تترجح كفة حسناتهم مع أن مافى كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون مايتناول من أموال المسلمين والشبهات اضعافه ولعل ماتصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل الف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال وماهو إلا كمن وضع عشرة دراهم فى كفة ميزان وفى الكفة الاخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله ومنهم من يظن ان طاعته أكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه او يسبح الله فى اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد يكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو الف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب

عتيد فهذا أبدا يتامل فى فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ماورد من عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين الذين يظهرون من الكلام مالا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمرى وكان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به فى فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فياعجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته فى الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه ماهذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى امر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه اعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله ان نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما اجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على اباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى والله أعلم

﴿ الباب الثانى والثمانون فى فضل صلاة الجماعة ﴾

قال صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبعة وعشرين درجة (وروى) أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا فى بعض الصلوات فقال لقد هممت ان آمر رجلا يصلى بالناس ثم أخالف الى رجال يتخلفون عنها فاحرق عليهم بيوتهم وفى رواية أخرى ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فامر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بحزم الحطب ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين لشهدها يعنى صلاة العشاء وقال عثمان رضى الله عنه مرفوعا من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليله ومن شهد الصبح فكأنما قام ليله وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة فى جماعة فقد ملأ نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما اذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وانا فى المسجد وقال محمد بن واسع ما اشتهى من الدنيا إلا ثلاثة أخا ان تعوجت قومنى وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلاة فى جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها (وروى) ان أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال مازال الشيطان بى آنفا حتى اريت ان لى فضلا على غيرى لا اؤم ابدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعى مثل الذى يؤم الناس بغير علم مثل الذى يكيل الماء فى البحر لا يدرى زيادته من نقصانه وقال حاتم الاصم فاتتنى الصلاة فى الجماعة فعزانى ابو اسحق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزانى اكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضى الله عنهما من سمع المنادى فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير وقال ابو هريرة رضى الله عنه لان تملأ اذن

ابن ادم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب (وروى) أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال إنا لله وإنا اليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلى من ولاة العراق وقال ﷺ من صلى أربعين يوما في جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال أنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدرى فتقول لهم الملائكة ما كانت أعمالكم فيقولون كنا إذا سمعنا الأذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان في المسجد (وروى) أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

﴿الباب الثالث والثمانون في فضل صلاة الليل﴾

أما من الآيات فقوله تعالى إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل الآية وقوله تعالى إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقوله سبحانه وتعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما الآية وقوله عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس (ومن الاخبار) قوله ﷺ يعقد الشيطان على قافية أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان وفي الخبر انه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه وفي الخبر ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا أسعط العبد ساء خلقه واذا لعقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام الليل حتى يصبح وقال ﷺ ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم وفي الصحيح عن جابر ان النبي ﷺ قال إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه إياه وفي رواية يسأل الله خيراً من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله ﷺ حتى تفطرت قدماه فقيل له أما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبداً شكوراً ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال ﷺ يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبوراً ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد

رضاربك يا أبا هريرة صلى فى زوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا وقال ﷺ عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم فان قيام الليل قربة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال ﷺ ما من امرىء تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم الا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وقال ﷺ لأبى ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبى أنت وأمى قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها (وروى) أنه كان على عهد النبى ﷺ رجل اذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلى ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرنى منها فذكر ذلك النبى ﷺ فقال اذا كان ذلك فاذنونى فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة فقال يارسول الله إنى لست هناك ولا يبلغ عملى ذلك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبريل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة (ويروى) أن جبريل عليه السلام قال للنبى ﷺ نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلى بالليل فأخبره النبى ﷺ بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلى بالليل ثم يقول يانافع أسحرنا فأقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يانافع أسحرنا فيقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر وقال على بن أبى طالب شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام ليلة من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى أوجدت داراً خيراً لك من دارى أم وجدت جواراً خيراً لك من جوارى فوعزتى وجلالى يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح وقيل لرسول الله ﷺ ان فلانا يصلى بالليل فاذا أصبح سرق فقال سينهاه ما يعمل وقال ﷺ رحم الله رجلا قام من الليل يصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان ابت نضح فى وجهها الماء وقال ﷺ رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فان أبى نضحت فى وجهه الماء وقال ﷺ من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال ﷺ أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال النبى ﷺ من نام عن حزبه أو عن شيء منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل قيل كان

الامام البخاري رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع ❊ فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم ❊ خرجت نفسه الصحيحة فلتة

(الباب الرابع والثمانون فى عقوبة علماء الدنيا)

ونعنى بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند أهلها قال ﷺ ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وعنه ﷺ أنه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال ﷺ علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم فى القلب فذلك العلم النافع وقال ﷺ يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال صلى الله عليه وسلم لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار وقال ﷺ من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار وقال ﷺ لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذلك فقال من الأئمة المضلين وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظيم خطر العلم فان العالم اما متعرض لهلاك الابد أو لسعادة الابد وانه بالخوض فى العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة وقال عمر رضى الله عنه ان أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجرى فى العمل مجرى السفهاء وقال رجل لأبى هريرة رضى الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابراهيم بن عيينة أى الناس أطول ندما قال اما فى عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل ابن احمد الرجال اربعة رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك نائم فايقظوه ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك مسترشد فأرشدوه ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه وقال سفيان الثورى رحمه الله يهتف العلم بالعمل فان أجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل بن عياض رحمه الله انى لأرحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت

القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشترى دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه بدنياه سواه فهو من دين أعجب

وقال ﷺ ان العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه أراد به العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله ﷺ يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وإنما يضاعف عذاب العالم فى معصيته لأنه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار لأنهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع أنهم ماجعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا أنه ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وقال تعالى فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال تعالى فى قصة بلعام بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين حتى قال فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فكذلك العالم الفاجر فان بلعام أوتى كتاب الله تعالى فأخلد إلى الشهوات فشبه بالكلب أى سواء أوتى الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لاهى تشرب الماء ولاهى تترك الماء يخلص إلى الزرع

﴿الباب الخامس والثمانون فى فضل حسن الخلق﴾

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وإنك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ خلقه القرآن وسأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ثم قال ﷺ هو أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال ﷺ إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقال ﷺ أثقل مايوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ من بين يديه فقال يارسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأتاه من قبل يمينه فقال يارسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يارسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال أما تفقه هو أن لاتغضب وقيل يارسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله ﷺ أوصنى فقال اتق حيث كنت قال زدنى قال اتبع

السيئة بالحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله ﷺ إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هى من أهل النار وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول أول ما يوضع فى الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قونى فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قونى فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما وقال صلى الله عليه وسلم حسن الخلق خلق الله الأعظم وقيل يارسول الله أى المؤمنين أفضل إيمانا قال أحسنهم خلقاً وقال ﷺ إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال أيضا صلى الله عليه وسلم سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وعن أبي سعيد البدرى قال كان رسول الله ﷺ يقول فى دعائه اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ يكثر الدعاء فيقول اللهم إنى أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله وعن أسامة بن شريك قال شهدت الأعاريب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما أعطى العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم إن أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة احاسنكم أخلاقا وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ثلاث من لم يكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشىء من عمله تقوى تحجزه عن معاصى الله وحلم يكف به السفيه أو خلق يعيش به بين الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم فى افتتاح الصلاة اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت وقيل فما التجمل قال فى لطف الكلام وإظهار البشر والابتسام فمن لقى الناس بالاحسان وعاملهم بالاخلاق الحسان فهو الذى يخف عليهم جانبه ويحمد اخاؤه كما قال

اذا حويت خصال الخير أجمعها ... فضلا وعاملت كل الناس بالحسن
لم تعدم الخير من ذى العرش تحرزه ... والشكر من خلقه فى السر والعلن

﴿ الباب السادس والثمانون فى الضحك والبكاء واللباس ﴾

قال بعض المفسرين فى قوله تعالى أفمن هذا الحديث اى القرآن تعجبون منه تكذيباً وتضحكون منه استهزاء مع كونه من عند الله تعالى ولا تبكون خوفاً وانزجاراً لما فيه من الوعيد وأنتم سامدون لاهون غافلون عما يطلب منكم قال لما نزلت هذه الآية فما ضحك النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الا أن يتبسم وفى لفظ فما رؤى النبى صلى الله عليه وسلم ضاحكاً ولا متبسماً حتى ذهب من الدنيا وعن ابن عمر رضى الله عنه قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم من المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فوقف وسلم عليهم ثم قال أكثروا ذكر هازم اللذات ثم خرج بعد ذلك مرة أخرى فاذا قوم يضحكون فقال أما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أراد الخضر أن يفارق موسى عليهما السلام قال له عظنى قال له يا موسى اياك واللجاجة ولا تمشى بغير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم كثرة الضحك تميت القلوب وقال صلى الله عليه وسلم من ضحك لشبابه بكى لهرمه ومن ضحك لغناه بكى لفقره ومن ضحك لحياته بكى لموته وقال صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن الحسن فى قوله تعالى فليضحكوا قليلا أى فى الدنيا وليبكوا كثيراً فى الآخرة جزاء بما كانوا يكسبون وقال أيضا يا عجباً من ضاحك ومن ورائه النار ومن مسرور من ورائه الموت ومر رضى الله عنه بشاب يضحك فقال له يا بنى هل جزت على الصراط قال لا قال هل تبين لك أنك تصير الى الجنة قال لا قال ففيم الضحك فما رؤى الشاب ضاحكا بعد ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أذنب ذنباً وهو يضحك دخل النار وهو يبكى ومدح الله تعالى أقواما بالبكاء فقال تعالى ويخرون للأذقان يبكون وعن الأوزاعى فى قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال صلى الله عليه وسلم كل عين باكية يوم القيامة الا ثلاثا عين بكت من خشية الله وعين غضت عن محارم الله وعين سهرت فى سبيل الله تعالى ويقال ثلاثة أشياء تقسى القلب الضحك من غير عجب والأكل من غير جوع والكلام فى غير حاجة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من ازار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضر وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان له صلى الله عليه وسلم قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له ام سلمة بأبى أنت وأمى ما فعل ذلك الكساء الأسود فقال كسوته فقالت

ما رأيت شيئاً قط كان أحسن من بياضك على سواده وكان صلى الله عليه وسلم اذا لبس ثوباً لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى الناس واذا نزع ويه أخرجه من مياسره وكان اذا لبس جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلماً من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان فى ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حياً وميتاً وكانت له صلى الله عليه وسلم عباءة تفرش له حيثما تنقل ثنى طاقين تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته شىء غير

﴿ الباب السابع والثمانون فى فضل القرآن وفضل العلم والعلماء ﴾

قال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى أن أحداً أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر من عظمة الله تعالى وقال ﷺ ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن وقال ﷺ أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن وقال صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم العلم وعلمه وقال ﷺ إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يا رسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت وقال الفضيل بن عياض حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغى أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال أيضا من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء (وأما فضل العلم والعلماء) فالأحاديث الواردة فى ذلك كثيرة قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ويلهمه رشده وقال ﷺ العلماء ورثة الأنبياء ومعلوم أنه لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الناس المؤمن العالم الذى إذا احتيج اليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه وقال ﷺ أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال ﷺ لموت قبيلة أيسر من موت عالم وقال ﷺ يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء وقال ﷺ لا يشبع عالم من علم حتى يكون منتهاه الجنة وقال ﷺ هلاك أمتى فى شيئين ترك العلم وجمع المال وقال صلى الله عليه وسلم كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة أى مبغضا فتهلك وقال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء ومن أمثال الحكماء من طلب العلم للرياسة فقد عدم التوفيق والسياسة قال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وقال الشافعى رضى الله عنه من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه جل مقداره ومن تعلم الحديث قويت حجته ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن تعلم الغريب رق طبعه

ومن لم يعز نفسه لم ينفعه علمه وقال الحسن بن على رضى الله عنهما من أكثر مجالسة العلماء أطلق عقال لسانه وفتق مراتق ذهنه وسره ما وجد من الزيادة فى نفسه وكانت له ولاية لما يعلم وافادة لما تعلم وقال ﷺ اذا رذل الله عبداً حظر عليه العلم وقال صلى الله عليه وسلم لا فقر أشد من الجهل

﴿ الباب الثامن والثمانون فى فضل الصلاة والزكاة ﴾

اعلم أن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مبانى الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الأعلام فقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال ﷺ بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة الحديث وشدة الوعيد على المقصرين فيها فقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وتقدم الكلام على ذلك مستوفى وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ومعنى الانفاق فى سبيل الله إخراج الزكاة (فائدة) يستحب أن يطلب لصدقته أتقياء الفقراء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة فان ذلك يربو به المال قال صلى الله عليه وسلم لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى وذلك لأن التقى يستعين به على التقوى فتكون شريكا له فى طاعته باعانتك إياه وكان بعض العلماء يؤثر بالصدقة فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لا هؤلاء قوم هممهم لله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت همة أحدهم فلان أرد همة واحد الى الله عز وجل أحب إلى من أن أعطى ألفا من همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولى من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعونه وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال إنى لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل وأن يخص ذوى العاهات لا سيما ذوى الأرحام والأقارب فتكون صدقة وصلة رحم وفى صلة الرحم ما لا يحصى من الأجر كما مر فى بابه وأن يخرج الصدقة سراً ليسلم من شؤم الرياء ومن إذلال المعطى فى الملأ قال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفىء غضب الرب وذكر فى حديث السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أعطت يمينه نعم ان كان فى إظهار الصدقة خير كأنه

كان يقتدى به غيره فلا بأس ان سلم من الرياء وتجنب الامتنان كما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فآفة المعروف المن بل يؤثر كتمانه ويستعمل نسيانه كما يجب على من صنع له معروف نشره عليه شكره كما فى الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس وما أحسن قول القائل

يدالمعروف غنم حيث كانت تحملها كفور أو شكور
فنى شكر الشكور لها جزاء وعندالله ما كفر الكفور

﴿ الباب التاسع والثمانون فى برالوالدين وحقوق الأولاد ﴾

لا يخفى أنه إذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الأرحام وأمسها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيها وقد قال ﷺ لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقد قال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله وقد قال صلى الله عليه وسلم من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن أمسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحدا وان ظلما وان ظلما ومن أصبح مسخطا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن أمسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما وقال ﷺ ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال ﷺ بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فادناك ويروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى إنه من بر والديه وعقنى كتبته بارا ومن برنى وعاق والديه كتبته عاقا (وقيل) لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له فاوحى الله اليه أتتعاظم أن تقوم لأبيك وعزتى وجلالى لاأخرجت من صلبك نبيا وقال ﷺ ما على أحد اذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شىء وقال مالك بن ربيعة بينما نحن عند رسول الله ﷺ اذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال يا رسول الله هل بقى على من بر أبوى شىء أبرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما وقال صلى الله عليه وسلم ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى الأب وقال ﷺ بر الوالدة على الولد ضعفان وقال ﷺ دعوة الوالدة أسرع إجابة قيل يا رسول الله ولم ذاك قال هى أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يا رسول الله من أبر فقال بر والديك فقال ليس لى والدان فقال بر ولدك كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وقال ﷺ رحم الله والدا أعان ولده على بره أى لم يحمله

على العقوق بسوء عمله وقال صلى الله عليه وسلم ساووا بين أولادكم فى العطية وقد قيل ولدك ريحانتك تشمها سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك أو شريكك وقال أنس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشر سنة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن إسمه وقال صلى الله عليه وسلم كل غلام رهين أو رهينة بعقيقة تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها أوداجها ثم توضع على يافوخ الصبى حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت أفسدته ويستحب الرفق بالولد رأى الأقرع بن حابس النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال صلى الله عليه وسلم ان من لا يرحم لا يرحم وقالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلى وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا آنفة فضرب يدى ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد أحسن بنا اذ لم تكن له جارية وتعثر الحسن والنبى صلى الله عليه وسلم على منبره فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا انه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال ان ابنى قد ارتحلنى فكرهت ان أعجله حتى يقضى حاجته وفى ذلك فوائد إحداها القرب من الله تعالى فان العبد أقرب ما يكون من الله تعالى اذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتعليم لأمته وقال صلى الله عليه وسلم ريح الولد من ريح الجنة وقال يزيد بن معاوية ارسل أبى إلى الأحنف بن قيس فلما وصل اليه قال له يا أبا بحر ما تقول فى الولد قال يا امير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال معاوية انت يا احنف لقد دخلت على وانا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد وبعث اليه بمائتى الف درهم ومائتى ثوب فأرسل يزيد الى الأحنف بمائة الف درهم ومائة ثوب فقاسمه اياها على الشطر

﴿الباب التسعون فى حقوق الجوار والاحسان للساكين﴾

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراء ما تقتضيه أخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال النبى ﷺ الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذى له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم وأما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف أثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار وقد قال ﷺ أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال النبى ﷺ مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وقال النبى عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال ﷺ لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه وقال عليه السلام أول خصمين يوم القيامة جاران وقال عليه السلام اذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته (ويروى) أن رجلا جاء إلى ابن مسعود رضى الله عنه فقال له ان لى جارا يؤذينى ويشتمنى ويضيق على فقال اذهب فان هو عصى الله فيك فأطع الله فيه وقيل لرسول الله ﷺ ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال ﷺ هى فى النار وجاء رجل اليه ﷺ يشكو جاره فقال له النبى عليه السلام اصبر ثم قال له فى الثالثة والرابعة اطرح متاعك فى الطريق قال فجعل الناس يمرون به ويقولون مالك فيقول آذاه جاره قال فجعل يقول لعنه الله فجاءه جاره فقال له رد متاعك فوالله لا أعود (وروى الزهرى) ان رجلا أتى النبى عليه الصلاة والسلام فجعل يشكو جاره فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن ينادى على باب المسجد إلا أن أربعين دارا جار قال الزهرى أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأومأ الى أربع جهات وقال عليه السلام اليمن والشؤم فى المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته وسوء خلقه (واعلم) أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الأذى أيضا فان الجار اذا كف اذاه فليس فى ذلك قضاء حق ولا يكفى احتمال الأذى بل لا بد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لم منعنى معروفه وسد بابه دونى (وبلغ ابن المقفع) أن جارا له يبيع داره فى دين ركبه وكان يجلس فى ظل داره فقال ماقمت اذا بحرمة ظل داره ان باعها معدما فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبيعها وشكا بعضهم كثرة الفأر فى داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال اخشى

أن الفار يسمع صوت الهر فيهرب إلى دار الجيران فأكون قد أحببت لهم ما أحب لنفسي (وجملة حق الجار) أن يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا يصب الماء في ميزابه ولا يطرح التراب في فنائه ولا يضيق طريقه في الدار ولا يتبعه بالنظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلام ويغض بصره عن حرمته ولا يديم النظر إلى خادمته ويتلطف بولده في كلمته ويرشده الى ما يجهله من أمر دينه ودنياه هذا إلى جملة الحقوق التي لعامة المسلمين وقد قال صلى الله عليه وسلم أتدرون ما حق الجار ان استعان بك أعنته وان استنصرك نصرته وان استقرضك أقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات تبعت جنازته وان أصابه خير هنأته وان أصابته مصيبة عزيته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا باذنه ولا تؤذه واذا اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها ثم قال أتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه وجده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت الشاة فابدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول في هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه وقال هشام كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودي والنصراني من أضحيتك وقال أبو ذر رضي الله عنه أوصاني خليلي عليه السلام وقال اذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ثم انظر بعض أهل بيت في جيرانك فاغرف لهم منها

(الباب الحادي والتسعون في عقوبة شارب الخمر)

قد أنزل الله في الخمر ثلاث آيات الأولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس الآية فكان في المسلمين شارب وتارك إلى أن شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله عنه فأخذ بلحي بعير وشج بها رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج

مغضبا يجر رداءه فرفع شيئا كان فى يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر الآية فقال عمر رضى الله عنه انتهينا انتهينا ومن الأخبار المتفقة على تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول مانهانى ربى بعد عبادة الأوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال. وقوله صلى الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا على مسكر فى الدنيا إلا جمعهم الله فى النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون يقول أحدهم للاخر يافلان لاجزاك الله عنى خيرا فأنت الذى أوردتنى هذا المورد فيقول له الآخر مثل ذلك وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من شرب الخمر فى الدنيا سقاه الله من سم الاساود شربة يتساقط منها لحم وجهه فى الاناء قبل أن يشربها فاذا شربها يتساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار إلا أن شاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها شركاء فى إثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوما ولا حجا حتى يتوبوا فان ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها فى الدنيا من صديد جهنم ألا وان كل مسكر حرام وكل خمر حرام (ذكر ابن أبى الدنيا) أنه مر بسكران وهو يبول فى يده ويغسل به يده كهيئة المتوضىء وهو يقول الحمد لله الذى جعل الاسلام نورا والماء طهورا وعن العباس بن مرداس أنه قيل له فى الجاهلية لم لا تشرب الخمر فانها تزيد فى حرارتك فقال ما أنا بآخذ جهلى بيدى فادخله فى جوفى ولا أرضى أن أصبح سيد قومى وأمسى سفيهم (وروى) البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا أم الخبائث فانه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فتعلقت به امرأة فأرسلت اليه خادما إنا ندعوك لشهادة فدخل فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى اذا أفضى الى امرأة وضيئة جالسة وعندها غلام وباطية فيها خمر فقالت إنا لم ندعك لشهادة ولكن دعوتك لتقتل هذا الغلام وتقع على أو تشرب كأسا من الخمر فان ابيت صحت بك وفضحتك فلما رأى أنه لابد له من ذلك قال اسقينى كأسا من الخمر فسقته فقال زيدينى فلم يزل حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فانه والله لا يجتمع إيمان وإدمان الخمر فى صدر رجل أبدا ليوشكن أحدهما يخرج صاحبه (وروى) احمد وابن حبان فى صحيحه عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان آدم لما أهبط الى الأرض قالت الملائكة أى رب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم مالا تعلمون قالوا ربنا نحن أطوع لك من

بنى آدم قال الله تعالى لملائكته هلموا ملكين من الملائكة فننظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت قال فاهبطوا الى الارض فتمثلت لهم الزهرة امرأة من أحسن البشر فجا آها فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الاشراك قالا والله لا نشرك بالله أبدا فذهبت عنهما ثم رجعت اليهما ومعها صبي تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا والله لا نقتله أبدا فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحملة فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذه الخمرة فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما أفاقا قالت المرأة والله ما تركتما من شيء أبيتما على إلا فعلتما حين سكرتما فخيرا عند ذلك بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا (وروى) عن أم سلمة رضى الله عنها قالت اشتكت بنت لى فنبذت لها فى كوز فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغلى قال ماهذا يا أم سلمة فذكرت له إنى أداوى به ابنتى فقال صلى الله عليه وسلم إن الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها وروى أن الله تعالى لما حرم الخمر سلب منها المنافع

﴿الباب الثانى والتسعون فى معراج النبى صلى الله عليه وسلم﴾

روى البخارى عن قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة أن نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينما أنا فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجعا إذ أتانى آت فقد قال وسمعه يقول فشق ما بين هذه الى ما بين هذه فقلت للجارود وهو الى جنبى ما يعنى به قال من ثغرة نحره الى شعرته فاستخرج قلبى ثم أتيت بطشت من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبى ثم حشى ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقال له الجارود وهو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوة عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد على السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح لنا فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى الى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا

موسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى
الى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه
قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا ادريس قال هذا ادريس فسلم
عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى أتى السماء
الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال
نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت
عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة
فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا
به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم
قال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكى لأن
غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى ثم صعد بى الى السماء
السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال
نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه
قال فسلمت عليه فرد على السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم رفعت الى
سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هاجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى
واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان
فنهران فى الجنة وأما الظاهران فهما النيل والفرات ثم رفع بى الى البيت المعمور يدخله كل يوم
سبعون ألف ملك ثم أتيت باناء من خمر وإناء من لبن واناء من عسل فاخترت اللبن فقال هى
الفطرة التى أنت عليها وأمتك ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم قال فرجعت
فمررت على موسى قال بم امرت قال فقلت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع
خمسين صلاة كل يوم وانى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة
فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال
مثله فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا
فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال
مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس

صلوات كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وانى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربى حتى استحييت منه ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادانى مناد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى

(الباب الثالث والتسعون فى فضائل الجمعة)

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخصص به المسلمين قال الله تعالى إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع فحرم الاشتغال بامور الدنيا وبكل صارف عن السعى الى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا فى مقامى هذا وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفى لفظ آخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال فى النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول فى النار وفى الخبر أن أهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع وفى حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أتانى جبريل عليه السلام فى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه اياه أو ليس له قسم ذخر له ما هو أعظم منه أو تعوذ من شر هو مكتوب عليه إلا أعاذه الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك عز وجل اتخذ فى الجنة واديا أفيح من المسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل الله من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه الكريم وقال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة فى السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى فى الجنة وفى الخبر أن الله عز وجل فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وفى حديث أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال عليه الصلاة والسلام أن الجحيم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء

الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلاة كله وأن جهنم لا تسعر فيه وقال كعب أن الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ويقال أن الطير والهوام يلقى بعضها بعضا في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال ﷺ من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر

﴿الباب الرابع والتسعون في حق الزوجة على الزوج﴾

حقوق الزوجات على الازواج كثيرة منها حسن الخلق معهن واحتمال الأذى منهن ترحما عليهم لقصور عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال في تعظيم حقهن وأخذن منكم ميثاقا غليظا وقال والصاحب بالجنب قيل هي المرأة وآخر ماوصى به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان في أيديكم يعني أسراء أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال ﷺ من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون (واعلم) أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله ﷺ فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال أتراجعيني يالكعاء فقالت ان أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم قال لحفصة لا تغتري بابنة ابن أبي قحافة فانها حب رسول الله ﷺ وخوفها من المراجعة (وروي) أنه دفعت احداهن في صدر رسول الله ﷺ فزجرتها أمها فقال ﷺ دعيها فانهن يصنعن أكثر من ذلك وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكما واستشهده فقال رسول الله ﷺ تكلمين أو أتكلم فقالت بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا فلطمها أبو بكر حتى دمي فوها وقال ياعدوة نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره فقال له النبي ﷺ لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم أنك

رسول الله فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها إني لأعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه قال إذا رضيت قلت لا وإله محمد وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم قالت صدقت إنما أهجر اسمك ويقال ان أول حب وقع في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها وكان يقول لها كنت لك كأبي زرع لأم زرع غير أني لا أطلقك وكان يقول لنسائه لا تؤذيني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان ومنها أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الأيام فقال صلى الله عليه وسلم هذه بتلك وفي الخبر أنه كان ﷺ من أفكه الناس مع نسائه وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله ﷺ أتحبين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم فأرسل اليهم فجاؤا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فأشار اليهم فانصرفوا فقال رسول الله ﷺ أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله وقال ﷺ خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا وقال لقمان رحمه الله ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي واذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر المروي إن الله يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى عتل قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله وقال صلى الله عليه وسلم لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ووصفت أعرابية زوجها وقد مات فقالت والله لقد كان ضحوكا إذا ولج سكيتا إذا خرج آكلا ما وجد غير مسائل عما فقد ومنها أن لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة

بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعض قال الحسن والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله فى النار وقال عمر رضى الله عنه خالفوا النساء فان فى خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك لأنه إذا أطاعها فى هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله إذ حق الرجل أن يكون متبوعاً لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدا فقال تعالى وألفيا سيدها لدى الباب فاذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المرأة على مثال نفسك إن أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وإن أرخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا وإن كبحتها وشددت يدك عليها فى محل الشدة ملكتها قال الشافعى رضى الله عنه ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك وإن أهنتهم أكرموك المرأة والخادم والنبطى أراد به ان محضت الاكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك برفقك

﴿ الباب الخامس والتسعون فى حق الزوج على الزوجة ﴾

والقول الشافى فيه أن النكاح نوع رق فهى رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا فى كل ما طلب منها فى نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد فى تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل قد خرج الى سفر وعهد الى امرأته أن لا تنزل من العلو الى السفل وكان أبوها فى الأسفل فمرض فأرسلت المرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن فى النزول الى أبيها فقال صلى الله عليه وسلم أطيعى زوجك فمات فاستأمرته فقال أطيعى زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها إن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها وقال صلى الله عليه وسلم إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها فاضاف طاعة الزوج الى مبانى الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين الى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اطلعت فى النار فاذا أكثر أهلها النساء فقلن لم يا رسول الله قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعنى الزوج المعاشر وفى خبر آخر اطلعت فى الجنة فاذا اقل أهلها النساء فقلت أين النساء قال شغلهن الأحمران الذهب والزعفران يعنى الحلى ومصبغات الثياب وقالت عائشة رضى الله عنها أتت فتاة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت

يا رسول الله إني فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال لو كان من فوقه الى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره قالت أفلا أتزوج قال بلى تزوجي فانه خير وقال ابن عباس أتت امرأة من خثعم الى رسول الله ﷺ فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج قال ان من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهى على ظهر بعير لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطى شيئا من بيته إلا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا الا باذنه فان جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وان خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيته أو تتوب وقال ﷺ لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ومن عظم حقه عليها وقال ﷺ أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها اذا كانت فى قعر بيتها وان صلاتها فى صحن دارها أفضل من صلاتها فى المسجد وصلاتها فى بيتها أفضل من صلاتها فى صحن دارها وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها والمخدع بيت فى بيت وذلك للتستر ولذلك قال ﷺ المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وقال أيضا للمرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبر العشر عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخرة ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء فى السلف كان الرجل اذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ولى رب رزاق يذهب الأكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت إسمعيل أحمد بن أبي الحوارى فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله مالى همة فى النساء لشغلى بحالى فقالت إنى لأشغل بحالى منك ومالى شهوة ولكن ورثته مالا جزيلا من زوجى فاردت أن تنفقه على إخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لى طريقا الى الله عز وجل فقال حتى أستأذن أستاذى فرجع الى أبى سليمان الدارانى قال وكان ينهانى عن التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجتها فكان فى منزلنا كن من جص ففنى من غسل أيدى المستعجلين الخروج بعد الأكل فضلا عمن غسل بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة

فكانت تطعمني الطيبات و تطيبني و تقول اذهب بنشاطك و قوتك الى أزواجك و كانت رابعة هذه تشبه فى اهل الشام برابعة العدوية بالبصرة و من الواجبات عليها أن لا تفرط فى ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لها أن تطعم من بيته الا باذنه إلا الرطب من الطعام الذي يخاف فساده فان أطعمت عن رضاه كان له مثل أجره و إن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر (و من حقها) على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما (روى) أن أسماء بنت خارجة الفزارى قالت لابنته عند التزوج إنك خرجت من العش الذى فيه درجت فصرت الى فراش لا تعرفينه و قرين لن تألفينه فكونى له أرضا يكن لك سماء و كونى له مهادا يكن لك عمادا و كونى له أمة يكن لك عبدا لا تلحفى به فيقلاك و لا تباعدى عنه فينساك إذا دنا منك فاقربى منه و إن نأى فابعدى عنه و احفظى أنفه و سمعه و عينه فلا يشمن منك الا طيبا و لا يسمع إلا حسنا و لا ينظر الا جميلا و قال رجل لزوجته

خذى العفو منى تستديمى مودتى ... و لا تنطقى فى سورتى حين أغضب
و لا تنقرينى نقرك الدف مرة ... فانك لا تدرينى كيف المغيب
و لا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى ... و يأباك قلبى و القلوب تقلب
فانى رأيت الحب فى القلب و الأذى ... اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

﴿ الباب السادس و التسعون فى فضل الجهاد ﴾

قال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم و أنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام إلا أن أسقى الحاج وقال آخر لا أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر الجهاد أفضل مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين. وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقلنا لو نعلم أى الاعمال أفضل وأحب الى الله عز وجل عملناه فأنزل الله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص الى آخرها فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وروى) أن رجلا قال يا رسول الله دلنى على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده ثم قال هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر فقال ومن يستطيع ذلك وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فقال لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا فى سبيل الله تعالى من قاتل فى سبيل الله تعالى فواق ناقة وجبت له الجنة فاذا كان الصحابى الجليل لم يأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العزلة مع اجتهاده فى الطاعات وتعاطيه من الطيبات بل أرشده صلى الله عليه وسلم الى الجهاد فكيف يليق بنا تركه مع قلة طاعتنا وكثرة سيآتنا وتعاطينا ما جهل حله من الاقوات وفساد العزائم والنيات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل المجاهد فى سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد الخدرى فقال أعدها على يا رسول الله فأعادها عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة ما بين كل درجة كما بين السماء والارض قال وما هى يا رسول الله قال الجهاد فى سبيل الله

﴿ الباب السابع والتسعون فى مكر الشيطان ﴾

قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذا لا خلاص للمؤمن منه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره فى سفره وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لى شيطانى دخلت فيك

وأنا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيبني بذكر الله تعالى فأهل التقوى لايتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعنى الأبواب الظاهرة والطرق الجلية التى تفضى الى المعاصى الظاهرة وانما يتعثرون فى طرقه الغامضة فانهم لايهتدون اليها فيحرسونها لأن الأبواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذى يبقى فى بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك فى ليلة مظلمة فلايكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هى القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هى العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيما يهتدى به الى غوامض طرقه وإلا فطرقه كثيرة وغامضة قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطاً وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذى يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصى الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذى لايخفى أن يضطر الآدمى إلى سلوكه وذلك كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان راهب فى بنى إسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتوا بها اليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى فى قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فاتاه الشيطان فقال أنا الذى خنقتها وانا الذى ألقيت فى قلوب أهلها فأطعنى تنج وأخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان انى برىء منك فهو الذى قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك (وروى) أن ابليس سأل الإمام الشافعى رضى الله عنه ماقولك فيمن خلقنى كما أختار واستعملنى

تقيا اختار وبعد ذلك ان شاء أدخلني الجنة وان شاء أدخلني النار أعدل في ذلك أم جار فنظر في كلامه ثم قال ياهذا ان كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك وان كان خلقك لما يريده هو فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فاضمحل إلى أن صار لا شيء ثم قال والله ياشافعي لقد أخرجت بمسئلتي هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية إلى ديوان الزندقة (وروى) أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى بن مريم عليهما السلام فقال له قل لا إله إلا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك أي لأن له تلبيسات في الخير كما أن له تلبيسات في الشر تتناهى وبها يهلك العباد والزهاد والأغنياء وأصناف الخلق إلا من حفظه الله اللهم احفظنا من مكايده حتى نلقاك مهتدين

﴿الباب الثامن والتسعون في بيان السماع﴾

حكى القاضي أبو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألفاظا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه وقال الشافعي رحمه الله في كتاب آداب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي أبو الطيب استماعه من المرأة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقد قال الشافعي رضي الله عنه صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال (وحكى) عن الشافعي أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعي رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشيء من الملاهي ولا أحب اللعب بالشطرنج وأكره كل ما يلعب به الناس لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا ابراهيم بن سعد وحده وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة سفيان الثوري وحماد وابراهيم والشعبي وغيرهم فهذا كله نقله القاضي أبو الطيب الطبري ونقل أبو طالب المالكي اباحة السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي باحسان قال ولم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام

المعدودات التى أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع الى زماننا هذا فادركنا أبامروان القاضى وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية قال وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لأبى الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطى وذو النون يستمعون فقال وكيف أنكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير منى فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانما أنكر اللهو واللعب فى السماع (وروى) عن يحيى بن معاذ أنه قال فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولا أراها تزداد إلا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الأخاء مع الوفاء ورأيت فى بعض الكتب هذا محكيا بعينه عن الحرث المحاسبى وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده فى الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة إلا أن يكون فيها سماع وحكى غير واحد أنه قال اجتمعنا فى دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد فى نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرص ابن بنت منيع على ابن داود فى أن يسمع فقال ابن داود حدثنى أبى عن احمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبى يكرهه وأنا على مذهب أبى فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما جدى احمد ابن بنت منيع فحدثنى عن صالح بن احمد أن أباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال مجاهد لابن داود دعنى انت من أبيك وقال لابن بنت منيع دعنى أنت من جدك أى شىء تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام فقال ابن داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال فان أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منه المقصور أيحرم عليه قال أنا لم أقو لشيطان واحد فكيف أقوى لشيطانين قال وكان أبو الحسن العسقلانى الاسود من الأولياء يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه وكذلك جماعة منهم صنفوا فى الرد على منكريه وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت له ما تقول فى هذا السماع الذى اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذى لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء وحكى عن ممشاد الدينورى أنه قال رأيت النبى ﷺ فى النوم فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما أنكر منه شيئا وقال لكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن وحكى عن طاهر بن بلال الهمدانى

الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت معتكفا فى جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون فى جانب منه قولا ويستمعون فأنكرت ذلك بقلبى وقلت فى بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس فى تلك الناحية وإلى جانبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع اليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت فى نفسى ما كان ينبغى لى أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق أو قال حق من حق أنا أشك فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواضع عند الأكل لانهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند المذاكرة لأنهم لا يتحاورون إلا فى مقامات الصديقين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج أنه كان يرخص فى السماع فقيل له أيؤتى به يوم القيامة فى جملة حسناتك أو سيئاتك فقال لا فى الحسنات ولا فى السيئات لأنه شبيه باللغو وقال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم هذا ما نقل من الاقاويل ومن طلب الحق فى التقليد فهما استقصى تعارضت عنده هذه الاقاويل فيبقى متحيرا أو مائلا الى بعض الاقاويل بالتشهى وكل ذلك قصور بل ينبغى أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة

﴿الباب التاسع والتسعون فى النهى عن البدعة واتباع الهوى﴾

قال صلى الله عليه وسلم إياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وقال صلى الله عليه وسلم من أحدث فى أمر ديننا هذا ما ليس منه فهو رد وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى فعلم من هذه الاحاديث أن كل ما خالف الكتاب والسنة واجماع الأئمة فهو بدعة مردودة وقال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وقال قتادة رضى الله عنه فى قوله تعالى وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه الآية اعلموا أن السبيل سبيل واحد جماعه الهدى ومصيره الجنة وأن ابليس استبدع سبلا متفرقة جماعها الضلالة ومصيرها الى النار وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال

هذه سبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو اليه ثم قرأ هذه الآية وعن ابن عباس هذه السبل الضلالات وقال ابن عطية هذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الاهواء والشذوذ فى الفروع وغير ذلك من أهل التعمق فى الجدال والخوض فى الكلام وهذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد وقال ﷺ من رغب عن سنتي فليس مني وقال ﷺ مامن أمة ابتدعت بعد نبيها فى دينها بدعة إلا أضاعت مثلها من السنة وقال ﷺ ماتحت ظل السماء من إله يعبد أعظم عند الله من هوى يتبع وقال ﷺ أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة انما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى اياكم والمحدثات فان كل محدثة ضلالة وقال ﷺ ان الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته وقال ﷺ لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الاسلام كما تخرج الشعرة من العجين لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك لكل عمرة شرة ولكل شرة فترة فمن كانت شرته الى سنتي فقد اهتدى ومن كانت شرته إلى غير ذلك فقد هلك انى أخاف على أمتى من ثلاث من زلة عالم وهوى متبع وحكم جائر رواه الترمذى وحسنه فى مواضع وصححه فى أخرى والشرة بكسر الشين وفتح الراء مشددة النشاط والهمة (فصل فى النهى عن آلة اللهو) روى البخارى أنه ﷺ قال من قال لصاحبه تعالى أقامرك فليتصدق (وروى) مسلم وأبوداود وابن ماجه من لعب بنرد أو نردشير فكأنما غمس يده فى لحم خنزير ودمه (وروى) احمد وغيره أنه ﷺ قال مثل الذى يلعب بالنرد ثم يقوم يصلى مثل الذى يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلى أى فلا تقبل له صلاة كما صرحت به رواية أخرى وأخرج البيهقى عن يحيى بن كثير قال مر رسول الله ﷺ على قوم يلعبون بالنرد فقال قلوب لاهية وأيد عاملة وألسنة لاغية وأخرج الديلمى أنه ﷺ قال إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الازلام والشطرنج والنرد وما كان من هذه أي وماشابه ذلك من كل لهو محرم فلا تسلموا عليهم وان سلموا عليكم فلا تردوا عليهم وقال ﷺ ثلاث من الميسر القمار والضرب بالكعاب والصفير بالحمام ومر على رضى الله عنه بقوم يلعبون الشطرنج فقال ماهذه التماثيل التى

انتم لماعا كفون لأن يمس أحدكم جمرا حتى يطفأ خير له من أن يمسها ثم قال والله لغير هذا خلقتم وقال أيضا رضى الله عنه صاحب الشطرنج أكثر الناس كذبا يقول أحدهم قتلت وماقتل ومات وما مات وقال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه لا يلعب بالشطرنج الا خاطىء واعلم ان الملاهى إما حرام كعود وطنبور ومعزفة وطبل ومزمار وما ألهى بصوت مطرب اذا انفرد أو مكروه وهو ما يزيد به الغناء طربا ولم يطرب منفردا كالصنج والقصب فيكره مع الغناء لا وحده أو مباح وهو ما خرج عن آلة الطرب الى انذار كالبوق وطبل الحرب أو المجمعة واعلان كالدف فى النكاح

﴿ الباب المتمم للمائة فى فضائل رجب ﴾

رجب مشتق من الترجيب وهو التعظيم ويقال له الاصب لان الرحمة تصب فيه على التائبين وتفيض أنوار القبول على العاملين ولا يقال الاسم لأنه لم يسمع فيه حس قتال وقيل رجب اسم نهر فى الجنة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج لا يشرب منه الا من صام شهر رجب قال عليه السلام رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى وقال أهل الاشارة رجب ثلاثة أحرف راء وجيم وباء فالراء رحمة الله والجيم جرم العبد وجنايته والباء بر الله كأن الله تعالى يقول أجعل جرم عبدى بين رحمتى وبرى وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال ﷺ من صام السابع والعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرا وهو أول يوم نزل فيه جبريل على النبى ﷺ بالرسالة وفيه أسرى به ﷺ وقال ﷺ الا ان رجبا شهر الله الأصم فمن صام من رجب يوما إيمانا واحتسابا استوجب رضوان الله الاكبر قيل زين الله الشهور بأربعة ذى القعدة وذى الحجة والمحرم ورجب فذلك قوله تعالى منها أربعة حرم فالأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد وهو شهر رجب وحكى ان امرأة فى بيت المقدس كانت تقرأ كل يوم من رجب قل هو الله أحد اثنتى عشرة الف مرة وكانت تلبس الصوف فى شهر رجب فمرضت وأوصت ابنها أن يدفن معها صوفها فلما ماتت كفنها فى ثياب مرتفعة فرآها فى منامه تقول له انا عنك غير راضية لأنك لم تعمل بوصيتى فانتبه فزعا وأخذ صوفها ليدفنه معها فنبش قبرها فلم يجدها فيه فتحير فسمع نداء أما علمت أن من اطاعنا فى رجب لا نتركه فردا وحيدا وروى اذا كان ثلث الليل من اول جمعة من رجب لا يبقى ملك إلا و يستغفر لصوام رجب وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من صام ثلاثة ايام من شهر حرام كتب له ثواب عبادة تسعمائة سنة

قال انس رضى الله عنه صمت أذناى ان لم أكن سمعته من رسول الله ﷺ (لطيفة الأشهر الحرام أربعة وخيار الملائكة أربعة وأفضل الكتب المنزلة أربعة وأعضا الوضوء أربعة وأفضل التسبيح كلمات اربعة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وعماد الحساب أربعة آحاد وعشرات ومئات وألوف والأوقات اربعة الساعة واليوم والشهر والسنة وفصول السنة أربعة ربيع وصيف وخريف وشتاء والطبائع أربعة حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة وسلطان البدن أربعة صفراء وسوداء ودم وبلغم والخلفاء الراشدون أربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم أجمعين (روى الديلمى) عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول يسح الله الخير فى أربع ليال سحا ليلة الأضحى وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب وروى الديلمى أيضا بسنده عن أبى امامة عن رسول الله ﷺ قال خمس ليال لا ترد فيها دعوة أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الجمعة وليلتا العيدين

﴿الباب الحادى بعد المائة فى فضل شعبان المبارك﴾

سمى شعبان لأنه يتشعب منه خير كثير مشتق من الشعب بكسر الشين وهو طريق الجبل فهو طريق الخير وروى عن أبى إمامة الباهلى رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول اذا دخل شعبان فطهروا أنفسكم وأحسنوا نيتكم فيه وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان أكثر صيامه فى شعبان وفى النسائى من حديث أسامة رضى الله عنه قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال لرب العالمين فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط الا رمضان وما رأيته فى شهر أكثر منه صياما من شعبان وفى رواية كان يصوم شعبان كله ولمسلم كان يصوم شعبان إلا قليلا فهذه الرواية مفسرة للأولى فالمراد بكله أغلبه قيل ان للملائكة فى السماء ليلتى عيد كما أن للمسلمين فى الارض يومى عيد فعيد الملائكة ليلة البراءة وهى ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وعيد المؤمنين يوم الفطر ويوم الأضحى فلذا سميت ليلة نصف شعبان ليلة عيد الملائكة وذكر السبكى فى تفسيره انها تكفر ذنوب السنة وليلة

الجمعة تكفر ذنوب الأسبوع وليلة القدر تكفر ذنوب العمر أى احياء هذه الليالى سبب لتكفير الذنوب وتسمى ليلة التكفير أيضا لذلك وليلة الحياة لما روى المنذرى مرفوعا من أحيا ليلة العيد وليلة نصف شعبان لم تمت قلبه يوم تموت القلوب وتسمى ليلة الشفاعة لما روى أنه ﷺ سال الله تعالى ليلة الثالث عشر الشفاعة فى أمته فأعطاه الثلث وسأله ليلة الثالث عشر فأعطاه الثلثين وسأله ليلة الخامس عشر فأعطاه الجميع الامن شرد على الله شراد البعير يعنى من فر من الله وتباعد عنه بالاصرار على المعصية وتسمى ليلة المغفرة أيضا لما روى الامام احمد ان رسول الله ﷺ قال ان الله ليطلع ليلة النصف من شعبان الى عباده فيغفر لأهل الارض إلا رجلين مشرك أو مشاحن وتسمى ليلة العتق لما روى ابن اسحق عن أنس ابن مالك قال بعثنى رسول الله ﷺ الى منزل عائشة رضى الله عنها فى حاجة فقلت لها أسرعى فانى تركت النبى ﷺ يحدثهم عن ليلة النصف من شعبان فقالت يا أنيس اجلس حتى احدثك بحديث ليلة النصف من شعبان تلك الليلة كانت ليلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ودخل معى فى لحافى فانتبهت من الليل فلم أجده فقلت لعله ذهب إلى جاريته القبطية فخرجت فمررت فى المسجد فوقعت رجلى عليه وهو يقول سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادي وهذه يدى وما جنيت بها على نفسى ياعظيما يرجى لكل عظيم اغفر الذنب العظيم سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره ثم رفع رأسه فقال اللهم ارزقنى قلبا تقيا نقيا من الشرك بريا لا كافرا ولا شقيا ثم عاد ساجدا فسمعته يقول أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أقول كما قال أخى داود اعفر وجهى فى التراب لسيدى وحق لوجه سيدي أن يعفر ثم رفع رأسه فقلت بأبى انت وأمى انت فى واد وأنا فى واد فقال ياحميراء أما تعلمين ان هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ان لله عز وجل فى هذه الليلة عتقاء من النار بعدد شعر غنم بنى كلب إلا ستة نفر لا مدمن خمر ولا عاق لوالديه ولا مصر على زنا ولا مساوم ولا مضرب ولا قتات وفى رواية مصور بدل مضرب وتسمى ليلة القسمة والتقدير لما روى عطاء بن يسار اذا كانت ليلة النصف من شعبان نسخ لملك الموت كل من يموت من شعبان الى شعبان وان العبد ليغرس الغرس وينكح الأزواج ويبنى البنيان وان اسمه قد نسخ فى الموتى وما ينتظر به ملك الموت إلا أن يؤمر به فيقبضه

﴿الباب الثانى بعد المائة فى فضل رمضان المعظم﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنو كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون عن سعيد بن جبير رضى الله عنه كان صوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان فى ابتداء الاسلام وقال جماعة من أهل العلم كان واجبا على النصارى فربما كان يقع فى الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم فى أسفارهم وبعض معايشهم فاجتمع رأى كبرائهم على ان يجعلوا صيامهم فى فصل السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه فى الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا ثم أن ملكا لهم اشتكى فجعل الله عليه ان برىء من وجعه ان يزيد فى صومهم أسبوعا فبرىء فزادفيه اسبوعا فلما مات ذلك وتولهم ملك آخر فقال أتموه خمسين يوما ثم أصابهم موتان وهو موت البهائم فقال زيدوا صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد وقيل ما من أمة إلا وفرض عليهم صيام رمضان الا أنهم ضلوا عنه قال البغوى والصحيح ان رمضان اسم للشهر من الرمضاء وهى الحجارة المحماة لأنهم كانوا يصومون فى الحر الشديد لأن العرب لما ارادت ان تضع أسماء الشهور وافق أن الشهر المذكور كان فى شدة الحر وقيل سمى بذلك لأنه يرمض الذنوب أى يحرقها وفرض فى السنة الثانية من الهجرة وهو معلوم من الدين بالضرورة يكفر جاحد وجوبه وورد فى فضله أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ اذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنان كلها فلم يغلق منها باب فى الشهر كله وأمر الله تعالى مناديا ينادى ياطالب الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ثم يقول هل من مستغفر فيغفر له هل من سائل فيعطى سؤاله هل من تائب فيتاب عليه فلم يزل كذلك الى انفجار الصبح ولله كل ليلة عند الفطر الف الف عتيق من النار قد استوجبوا العذاب وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم فيه ليلة القدر خير من الف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وهو شهر يزاد فيه فى رزق المؤمن من فطر فيه صائما كان له عتق رقبة ومغفرة لذنوبه قلنا يارسول الله ليس كلنا يجد مايفطر به الصائم قال يعطى الله هذا الثواب من يفطر صائما على مذقة لبن و شربة ماء أو تمرة ومن أشبع صائما كان له مغفرة لذنوبه وسقاه ربه من حوضى شربة

لا يظلما بعدها أبدا وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ومن خفف عن مملوكه فيه أعتقه الله من النار فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى لكم عنهما أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما تسألون ربكم الجنة وتتعوذون به من النار ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقوله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به وناهيك بعبادة أضافها الباري تبارك وتعالى لنفسه ومنها قوله صلى الله عليه وسلم أعطيت أمتي خمس خصال في شهر رمضان لم تعطهن أمة قبلها خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا وتصفد فيه مردة الشياطين ويزين الله تعالى كل يوم الجنة ويقول يوشك عبادي الصالحون أن يكفوا عنهم السوء والأذى ويغفر لهم في آخر ليلة منه قيل يارسول الله أهي ليلة القدر قال لا ولكن العامل يوفى أجره إذا قضى عمله

﴿الباب الثالث بعد المائة في فضل ليلة القدر﴾

(روى) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لأمته فقال يارب جعلت أمتي أقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا فأعطاه الله تعالى ليلة القدر خير من ألف شهر مدة حمل الاسرائيلي السلاح في سبيل الله له ولأمته الى يوم القيامة فهي من خصائص هذه الأمة ويقال اسم ذلك الرجل شمعون غزا العدو ألف شهر لم يجف لبد فرسه وقهر الكفار لما أعطي من القوة والجسارة فضاقت قلوبهم منه فبعثوا رسولا الى امرأته وضمنوا لها طشتا من ذهب مملوءا ذهبا إن هي قيدته حتى يحبسوه في بيت لهم ويستريحوا منه فلما نام بالليل أوثقته بحبل من ليف فلما انتبه حرك أعضاءه فقطع الحبل قطعا وسألها لم صنعت ذلك فقالت أجرب قوتك فلما أخبرت الكفار بعثوا لها سلسلة ففعلت مثل ما فعلت فقطعها فجاء إبليس الى الكفار وأرشدهم أن تسأل المرأة زوجها أي شيء لا تقوى فكه وقطعه فأرسلوا اليها فسألته فقال ذوائبي وكان له ثمانية ذوائب طويلة تجر على الأرض فلما نام قيدت رجليه بأربعة ويديه بأربعة فجاء الكفار وأخذوه وذهبوا به إلى بيت مذبحهم

مقدار أربعمائة ذراع علوه ومع اتساعه له عمود واحد فقطعوا أذنيه وشفتيه وكانوا كلهم مجتمعين لديه فسأل الله تعالى أن يقويه على فك وثاقه وعلى أن يحرك العمود ويهدمه عليهم مع نجاته منهم فقواه الله فتحرك فانفك وثاقه وحرك العمود فوقع عليهم السقف فأهلكهم الله جميعا ونجا منهم فلما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الخبر قالوا يارسول الله هل ندرك نحن ثوابه فقال لا أدرى ثم سأل ربه فأعطاه كما تقدم ليلة القدر وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام فى كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل قائم أوقاعد يذكر الله تعالى قال أبو هريرة رضى الله عنه الملائكة تنزل ليلة القدر فى الأرض أكثر من عدد الحصى فتفتح أبواب السماء للتنزل كما ورد فتسطع الأنوار ويحصل تجل عظيم وينكشف فيها الملكوت والناس فى ذلك متفاوتون فمنهم من يكشف له عن ملكوت السموات والأرض فتكشف له الحجب عن السموات فيشاهد فيها الملائكة على صورها ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد وذاكر وشاكر ومسبح ومهلل ومنهم من يكشف له عن الجنة بما فيها من دورها وقصورها وحورها وأنهارها وأشجارها وأثمارها ويشاهد عرش الرحمن وهو ما فوقها ويشاهد منازل الأنبياء والأولياء والشهداء والصديقين وبهم فى هذا الملكوت ويتنزه فى ذلك الرحموت ويشاهد جهنم ويشاهد دركاتها ومنازل الكفار الى غير ذلك ومنهم من تنكشف حجبه عن جلال الله فلا يشهد إلا إياه وعن عمر عنه عليه الصلاة والسلام من أحيا ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان الى الصبح فهو أحب إلى من قيام ليالى شهر رمضان كلها فقالت فاطمة يا أبت ما تصنع الضعفاء من الرجال والنساء ممن لا يقدرون على القيام قال لا يضعون الوسائد فيتكئون عليها ويقعدون ساعة من ساعات تلك الليلة ويدعون الله عز وجل إلا كان ذلك أحب إلى من قيام أمتى جميعا شهر رمضان وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيا ليلة القدر وصلى فيها ركعتين واستغفر غفر الله له وخاض فى رحمة الله ومسحه جبريل بجناحه ومن مسحه جبريل بجناحه دخل الجنة.

﴿الباب الرابع بعد المائة فى فضل العيد﴾

سمى هذا اليوم الذي هو أول شوال واليوم الذى هو العاشر من ذى الحجة عيدا لأن المؤمنين عادوا فيهما من طاعة الله تعالى التى هى أداء فريضتى صيام رمضان والحج إلى طاعة رسوله ﷺ التى هى صيام ست من شوال والتأهب لزيارته ﷺ ولتكرر ذلك كل عام

ولكثرة عوائد الله تعالى فيه بالاحسان ولعود السرور بعوده وأول عيد صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عيد الفطر فى السنة الثانية من الهجرة ولم يتركها فهى سنة مؤكدة وعن أبى هريرة رضى الله عنه زينوا أعيادكم بالتكبير وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده يوم العيد ثلثمائة مرة وأهداها لأموات المسلمين دخل فى كل قبر ألف نور ويجعل الله تعالى فى قبره اذا مات ألف نور وعن وهب بن منبه رضى الله عنه أن إبليس يرن فى كل عيد فتجتمع اليه الأبالسة فيقولون ياسيدنا مم غضبك فيقول الله تعالى قد غفر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم فعليكم أن تشغلوهم باللذات والشهوات وعن وهب أيضا أن الله تعالى خلق الجنة يوم عيد الفطر وغرس شجرة طوبى يوم عيد الفطر واصطفى جبريل للوحى يوم عيد الفطر وتاب على سحرة فرعون يوم عيد الفطر وقال النبى صلى الله عليه وسلم من قام ليلة العيد محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب (حكى) أن عمرا رأى ولداله يوم عيد وعليه قميص خلق فبكى فقال ما يبكيك فقال يابنى أخشى أن ينكسر قلبك فى يوم العيد اذا رآك الصبيان بهذا القميص الخلق فقال إنما ينكسر قلب من عدمه الله رضاه أو عق أمه وأباه وانى لارجو أن يكون الله راضيا عنى برضاك فبكى عمر وضمه اليه ودعا له رضى الله عنهما وما أحسن قول القائل

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه ... قلت خلعة ساق عبده الجرعا

فقر وصبر ثوبان بينهما ... قلب يرى ربه الأعياد والجمعا

العيد لى مأتما إن غبت ياأملى والا ... عيد ان كنت لى مرأى ومستمعا

(وروى) اذا كان غداة عيد الفطر بعث الله الملائكة فيهبطون الى الارض ويقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع خلق الله إلا الجن والانس يقولون ياأمة محمد اخرجوا الى رب كريم يعطى العطاء الجزيل ويغفر الذنب العظيم فاذا برزوا الى مصلاهم قال الله للملائكة ما جزاء الأجير إذا عمل فيقولون جزاؤه أن يوفى أجره فيقول الله سبحانه وتعالى أشهدكم إنى قد جعلت ثوابهم رضائى ومغفرتى

﴿الباب الخامس بعد المائة فى فضل عشر ذى الحجة﴾

(وروى) ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من أيام فيها أحب الى الله من هذه الايام يعنى أيام العشر قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشىء وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيام أحب الى الله وأفضل من أيام العشر قيل ولا مثلهن فى

سبيل الله قال ولا مثلهن فى سبيل الله إلا رجل عقر جواده وعفر وجهه فى سبيل الله وعن عائشه رضى الله عنها أن شابا كان صاحب سماع وكان اذا هل هلال ذى الحجة أصبح صائما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال ما يحملك على صيام هذه الأيام قال بأبى أنت وأمى يا رسول الله إنها أيام المشاعر وأيام الحج عسى الله أن يشركنى فى دعائهم قال فان لك بكل يوم تصومه عدل مائة رقبة ومائة بدنة ومائة فرس يحمل عليها فى سبيل الله فاذا كان يوم التروية فلك فيها عدل ألف رقبة وألف بدنة وألف فرس تحمل عليها فى سبيل الله فاذا كان يوم عرفة فلك فيها عدل ألفى رقبة وألفى بدنة وألفى فرس تحمل عليها فى سبيل الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يعدل صوم يوم عرفه بسنتين ويعدل صوم عاشوراء بصوم سنة وقال أهل التفسير فى قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر الآية أنها العشر الاول من ذى الحجة وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن الله اختار من الأيام أربعة ومن الشهور أربعة ومن النساء أربعة وأربعة يسبقون الى الجنة وأربعة اشتاقت اليهم الجنة وأما الأيام فأولها يوم الجمعة فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى شيئا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه وثانيها يوم عرفة فاذا كان يوم عرفة يباهى الله تعالى ملائكته فيقول يا ملائكتى انظروا الى عبادى جاؤا شعثا غبرا قد انفقوا الأموال واتعبوا الأبدان اشهدوا انى غفرت لهم وثالثها يوم النحر فاذا كان يوم النحر وقرب العبد قربانه فاول قطرة قطرت من القربان تكون كفارة لكل ذنب عمله العبد ورابعها يوم الفطر فاذا صاموا شهر رمضان وخرجوا الى عيدهم يقول الله تبارك وتعالى للملائكته إن كل عامل يطلب أجره وعبادى صاموا شهرهم وخرجوا من عيدهم يطلبون أجرهم أشهدكم إنى قد غفرت لهم وينادى المنادى يا أمة محمد ارجعوا فقد بدلت سيئاتكم حسنات وأما الشهور فرجب الفرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وأما النساء فمريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين الى الايمان بالله ورسوله وآسية بنت مزحم امرأة فرعون وفاطمة بنت محمد سيدة نساء الجنة وأما السابقون فلكل قوم سابق فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سابق العرب وسلمان سابق الفرس وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة وأما الأربعة الذين اشتاقت لهم الجنة فعلى بن أبى طالب وسلمان الفارسى وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وعنه صلى الله عليه وسلم من صام يوم التروية أعطاه الله ثواب صبر أيوب عليه السلام على بلائه ومن صام يوم عرفة أعطاه الله ثوابا مثل ثواب عيسى عليه السلام وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم عرفة نشر الله رحمته فليس من يوم أكثر عتقا منه من النار

يوم عرفة حاجة من حوائج الدنيا والآخرة قضاها له وصوم عرفة يكفر سنة ماضية وسنة مستقبلة والحكمة فى ذلك والله أعلم أنه بين عيدين وهما يوما سرور للمؤمنين ولا سرور أعظم من غفران ذنوبهم ويوم عاشوراء بعد العيدين فهو كفارة سنة واحدة ولأنه لموسى عليه السلام وهو يوم عرفة لنبينا صلى الله عليه وسلم وكرامته تتضاعف على غيره صلى الله عليه وسلم

﴿ الباب السادس بعد المائة فى فضل عاشوراء ﴾

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا ان هذا اليوم أظهر الله فيه موسى وبنى اسرائل على قوم فرعون فنحن نصومه تعظيما له فقال النبى صلى الله عليه وسلم نحن أولى بموسى منكم فامر بصومه وقد ورد فى فضل يوم عاشوراء آثار كثيرة منها أنه تيب على آدم فيه وكان خلقه فيه وفيه أدخل الجنة وفيه خلق العرش والكرسى والسموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجنة وولد ابراهيم الخليل فيه وكانت نجاته من النار فيه وكذلك نجاة موسى ومن معه واغرق فرعون ومن معه فيه وفيه ولد عيسى وفيه رفع الى السماء وفيه رفع ادريس مكانا عليا وفيه استوت سفينة نوح على الجودى وأعطى فيه سليمان الملك العظيم وأخرج يونس من بطن الحوت ورد بصر يعقوب عليه وأخرج يوسف من الجب وكشف ضر أيوب وأول مطر نزل من السماء الى الأرض فى يوم عاشوراء وكان صومه معروفا بين الامم حتى قيل بانه فرض قبل رمضان ثم نسخ به وصامه صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ولما دخل المدينة أكد طلبه حتى قال صلى الله عليه وسلم فى آخر عمره الشريف ان عشت الى قابل لأصومن التاسع والعاشر فانتقل الى الرفيق الأعلى من عامه ولم يصم غير العاشر لكنه رغب فيه وفى صوم التاسع والحادى عشر بقوله صلى الله عليه وسلم صوموا قبله يوما وبعده يوما وخالفوا سنة اليهود أى حيث أفردوه بالصوم (وروى) البيهقى فى شعب الايمان من وسع على عياله وأهله فى يوم عاشوراء وسع الله عليه فى سائر سنته وفى رواية منكرة للطبرانى الصدقة فيه بدرهم بسبعمائة ألف درهم وأما حديث من اكتحل يومه لم يرمد ذلك العام ومن اغتسل فيه لم يمرض فموضوع وقد صرح الحاكم بان الاكتحال يومه بدعة وقال ابن القيم حديث الاكتحال وطبخ الحبوب والادهان والتطيب يوم عاشوراء من وضع الكذابين (واعلم) ان ما أصيب به الحسين رضى الله تعالى عنه يوم عاشوراء انما هو الشهادة الدالة على مزيد رفعته ودرجته عند الله والحاقه بدرجات أهل بيته الطاهرين فمن ذكر ذلك اليوم مصابه فلا ينبغى أن يشتغل الا بالاسترجاع امتثالا للامر واحرازا لما رتبه تعالى

عليه بقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون واياه ثم ايده أن يشتغل نبدع الرافضة ونحوهم من الندب والنباحة والحزن إذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين والا لكان يوم وفاة جده ﷺ أولى بذلك وأحرى وحسبنا الله تعالى وحده ونعم الوكيل

﴿الباب السابع بعد المائة فى فضل ضيافة الفقراء﴾

قال ﷺ لا تكلفوا الضيف فتبغضوه فانه من أبغض الضيف فقد ابغض الله ومن ابغض الله ابغضه الله وقال ﷺ لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله ﷺ برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال ﷺ انظروا اليهما إنما هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل وقال ابو رافع مولى رسول الله ﷺ أنه نزل به ﷺ ضيف فقال قل لفلان اليهودى نزل بى ضيف فأسلفنى شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودى والله ما أسلفه إلا برهن فاخبرته فقال والله إنى لامين فى السماء أمين فى الارض ولو أسلفنى لاديته فاذهب بدرعى وارهنه عنده وكان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته دامت ضيافته فى مشهده الى يومنا هذا فلا تنقضى ليلة الا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة الى عشرة الى مائة وقال قوام الموضع انه لم يخل ليلة عن ضيف وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم فى الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وسئل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب الكلام قال أنس رضى الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة والاخبار الواردة فى فضل الضيافة والاطعام لا تحصى وما أحسن قول القائل

لم لا أحب الضيف أو أرتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه عندى ويشكرنى عليه

ومن كلام الحكماء لا تتم الصنيعة إلا بطلاقة الوجه وحسن الحديث ولطف اللقاء

وقال آخر أضاحك ضيفى قبل انزال رحله ويخصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للاضياف فى كثرة القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

فينبغى للداعى أن يعمد بدعوته الاتقياء دون الفساق قال ﷺ أكل طعامك الابرار فى دعائه لبعض من دعاه وقال ﷺ لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى

ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص قال ﷺ شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء دون الفقراء وينبغي أن لا يهمل أقاربه في ضيافته فان اهمالهم ايحاش وقطع رحم وكذلك يراعي الترتيب في أصدقائه ومعارفه فان في تخصيص البعض ايحاشا لقلوب الباقين وينبغي ان لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان والتسنن بسنة رسول الله ﷺ في إطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين وينبغي أن لا يدعو من يعلم انه يشق عليه الاجابة وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الاسباب وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب اجابته قال سفيان من دعا أحدا الى طعام وهو يكره الاجابة فعليه خطيئة فان أجاب المدعو فعليه خطيئتان لانه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأكله واطعام التقى اعانة على الطاعة واطعام الفاسق تقوية على الفسق وقال رجل خياط لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من اعوان الظلمة قال لا انما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة أما انت فمن الظلمة نفسهم وأما الاجابة فهى سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت ولو اهدى الى ذراع لقبلت وللاجابة خمسة آداب مذكورة في احياء علوم الدين وغيره

﴿الباب الثامن بعد المائة في الكلام على الجنازة والقبر﴾

إعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لأهل الغفلة فانها لا تزيدهم مشاهدتها إلا قساوة لانهم يظنون أنهم أبدا إلى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد الى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعله في غد أو بعد غد (ويروى) أن أبا هريرة رضي الله عنه أنه كان اذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الأثر وكان مكحول الدمشقي اذا رأى جنازة قال أغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول والآخر لا عقل له وقال أسيد بن حضير ماشهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ماهو مفعول به وماهو صائر اليه ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ماذا صرت اليه ولا أعلم مادمت حيا. وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من

الموت والآن لا تنظر الى جماعة يحضرون جنازة الا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا فى ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر أقرانه وأقاربه الا فى الحيلة التى بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم الى ماشاء الله فى جنازة نفسه وفى حاله اذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصى والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والاهوال التى بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت نظر ابراهيم الزيات الى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم أنه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت وقد رأى ومرارة الموت وقد ذاق وخوف الخاتمة وقد أمن وقال أبو عمرو بن العلاء جلست الى جرير وهو يملى على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فأمسك وقال شيبتنى والله هذه الجنائز وأنشأ يقول

تروعنا الجنائز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات

فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشى أمامها على هيئة التواضع كما ذكرت آدابه وسننه فى فن الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة خطرة لا تدرى حقيقتها ولذلك روى عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى فى قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذى خطايا (ويحكى) أن رجلا من المنهمكين فى الفساد مات فى بعض نواحى البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه أحد فحملتها الى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالمنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلى عليها فانتشر الخبر فى البلد بأن الزاهد نزل ليصلى على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لى فى المنام انزل الى موضع كذا ترى جنازة ليس معها أحد الا امرأة فصل

عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته قالت كما عرفت كان طول نهاره فى المماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظرى هل تعرفين منه شيئا من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء كان إذا أفاق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح فى جماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق والثانى أنه كان أبدا لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان إحسانه اليهم أكثر من إحسانه الى أولاده وكان شديد التفقد لهم والثالث أنه كان يفيق فى أثناء سكره فى ظلام الليل فيبكى ويقول يارب أى زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث يعنى نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره قال الضحاك قال رجل يارسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور وقيل لعلى كرم الله وجهه ما شأنك جاورت المقبرة قال إنى أجدهم خير جيران إنى أجدهم جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى إذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شىء لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب الى الله بهما وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك فما أعددت لى وقال ابو ذر ألا أخبركم بيوم فقرى يوم أوضع فى قبرى

﴿ الباب التاسع بعد المائة فى التخويف من عذاب جهنم ﴾

أخرج البخارى كان أكثر دعاء النبى ﷺ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وابو يعلى انه ﷺ خطب فقال لا تنسوا العظيمتين الجنة والنار ثم بكى حتى جرى أو بل دموعه جانبى لحيته ثم قال والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة لمشيتم على الصعيد ولحثيتم على رؤسكم التراب والطبرانى فى الأوسط جاء جبريل الى النبى ﷺ فى حين غير حينه الذى كان يأتيه فيه فقام اليه رسول الله ﷺ فقال ياجبريل مالى أراك متغير اللون فقال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمنافخ النار فقال رسول الله ﷺ ياجبريل صف لى النار وانعت لى جهنم فقال جبريل إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف

عام حتى ابيضت ثم امر فأوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم امر فأوقد عليها الف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يطفأ لهبها والذى بعثك بالحق نبيا لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم لمات من فى الأرض كلهم جميعا من حره والذى بعثك بالحق نبياً لو أن خازنا من خزنة جهنم برز الى أهل الدنيا لمات من فى الأرض كلهم جميعا من قبح وجهه ومن نتن ريحه والذى بعثك بالحق نبيا لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التى نعت الله فى كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارت حتى تنتهى الى الأرض السفلى فقال رسول الله ﷺ حسبى يا جبريل لا ينصدع قلبى فأموت قال فنظر رسول الله ﷺ الى جبريل وهو يبكى فقال تبكى يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذى أنت به فقال ومالى لا أبكى وأنا أحق بالبكاء لعلى أكون فى علم الله على غير الحال التى انا عليها وما ادرى لعلى ابتلى بما ابتلى به إبليس فقد كان من الملائكة وما ادرى لعلى ابتلى بما ابتلى به هاروت وماروت قال فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبريل فما زالا يبكيان حتى نوديا أن يا جبريل ويا محمد إن الله تعالى قد آمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل وخرج رسول الله ﷺ فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال تضحكون وورائكم جهنم فلو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما استسغتم الطعام والشراب ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل فنودى يا محمد لا تقنط عبادى إنما بعثتك مبشرا ولم ابعثك معسرا فقال ﷺ سددوا وقاربوا وروى انه ﷺ قال لجبريل مالى لا ارى ميكائيل ضاحكا قط فقال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وابن ماجه والحاكم وصححه ان ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم ولولا انها اطفئت بالماء مرتين لما انتفعتم بها وانها لتدعو الله عز وجل ان لا يعيدها فيها والبيهقى ان عمر رضى الله عنه قرأ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب قال يا كعب اخبرنى بتفسيرها فان صدقت صدقتك وإن كذبت رددت عليك فقال ان جلد ابن آدم يحرق ويجدد فى ساعة اوفى يوم ستة آلاف مرة قال صدقت والبيهقى ان الحسن البصرى قال فى الآية تأكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ومسلم يؤتى بأنعم اهل الدنيا من اهل النار فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال له يا ابن آدم هل رايت خيراً قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يارب ويؤتى بأشد الناس بؤسا فى الدنيا من اهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط هل مر بك شدة قط فيقول

إلا الله يارب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط وروى ابن ماجه يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود ولو أرسلت اليها السفن لجرت وأبو يعلى يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في خدودهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فيسيل يعني الدم فتقرح العيون

﴿الباب العاشر بعد المائة في الميزان والصراط﴾

أخرج أبو داود عن الحسن عن عائشة أنها بكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال صلى الله عليه وسلم أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يعلم أيجوز أم لا والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة قال أنا فاعل ان شاء الله تعالى قلت فأين أطلبك قال أول ما تطلبني على الصراط قلت فان لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فان لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فاني لم أخطئ هذه الثلاثة مواطن (وروى) الحاكم يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزنت او وضعت فيه السموات والأرض لوضعت فتقول الملائكة يارب لمن يزن هذا فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ويوضع الصراط مثل حد الموسى فتقول الملائكة من يجوز على هذا فيقول من شئت من خلقي فيقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة مزلة عليه كلاليب من نار يختطف بها فممسك يهوى فيها ومصروع ومنهم من يمر كالبرق فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كجري الفرس ثم كسعي الرجل ثم كرمي الرجل ثم كمشي الرجل ثم يكون آخرهم إنسانا رجل قد لوحته النار ولقي فيها شرا ثم يدخله الله الجنة بفضله وكرمه ورحمته فيقال له تمن وسل فيقول أي رب أتهزأ مني وأنت رب العزة فيقال له تمن وسل حتى إذا انقطعت به الأماني قال لك ما سألت ومثله معه (وروى) مسلم عن أم مبشر الأنصارية رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة رضي الله عنها لا يدخل النار إن شاء الله تعالى أحد من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها قالت بلى يارسول الله فانتهرها فقالت

حفصة رضي الله عنها وإن منكم إلا واردها فقال النبي ﷺ قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (وروى) أحمد أن جماعة اختلفوا في الورود فقال بعضهم لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فسأل بعضهم جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقال تردونها جميعا ثم أهوى بأصبعيه الى أذنيه وقال صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى ان للنار أو قال لجهنم ضجيجا من بردهم ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (وروى) الحاكم يرد الناس النار ثم يصدون عنها بأعمالهم أولهم كلمح البرق ثم كلمح الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرجل ثم كمشيه

﴿ الباب الحادي عشر بعد المائة في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

قال ابن مسعود رضي الله عنه دخلنا على رسول الله ﷺ في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنى الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه ﷺ ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله إني لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده وقد دنا الأجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والى الكأس الأوفى فاقرؤا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله (وروى) انه ﷺ قال لجبريل عليه السلام عند موته من لأمتي بعدي فأوحى الله تعالى الى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته وبشره بانه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى يدخلها أمته فقال الآن قرت عيني وقالت عائشة رضي الله عنها أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغسله بسبعة قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد ودعالهم وأوصى بالأنصار فقال أما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم وأن الأنصار عيبتي التي أويت اليها فاكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال إن عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضي الله عنه وظن أنه يريد نفسه فقال النبي ﷺ على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر فاني لا أعلم أمرا أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر قالت عائشة رضي الله عنها فقبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه

عند الموت فدخل على أخي عبد الرحمن و بيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فاومأ برأسه أي نعم فناولته اياه فادخله في فيه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فاومأ برأسه أي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده و يقول لا إله إلا الله أن للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الأعلى الرفيق الاعلى فقلت اذا والله لا يختارنا وروى سعيد بن عبد الله عن ابيه قال لما رات الانصار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا اطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فاعلمه بمثله فمد يده و قال ها فتناولوه فقال ما تقولون قالوا نخشى أن تموت و تصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على علي و الفضل و العباس أمامه و رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر و ثاب الناس اليه فحمد الله واثنى عليه و قال أيها الناس أنه بلغني أنكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع اليكم وتنعى اليكم أنفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم إلا اني لاحق بربي و انكم لاحقون به واني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله عز و جل قال و العصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا الى آخرها وأن الأمور تجري باذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز و جل لا يعجل لعجلة أحد و من غالب الله غلبه و من خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض و تقطعوا أرحامكم و أوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار و الايمان من قبلكم وأن تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم و بهم الخصاصة إلا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم و ليتجاوز عن مسيئهم الا و لا تستأثروا عليهم الا واني فرط لكم و أنتم لاحقون بي ألا وأن موعدكم الحوض حوضي اعرض مما بين بصرى و الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماءه أشد بياضا من اللبن و ألين من الزبد وأحلى من الشهد من شرب منه لم يظمأ أبدا حصباؤه اللؤلؤ و بطحاؤه المسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله الا فمن أحب أن يرد علي غدا فليكفف لسانه و يده مما ينبغي فقال العباس يا نبي الله اوص بقريش فقال إنما أوصي بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم و فاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا يا أيها الناس ان الذنوب تغير النعم و تبدل القسم فاذا بر الناس بروهم

وإذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون
وروى ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر رضى الله عنه سل يا أبا بكر فقال
يارسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الأجل وتدلى فقال ليهنك يا نبى الله ما عند الله فليت شعرى
عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى الجنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس
الاوفى والرفيق الأعلى والحظ والعيش المهنا فقال يا نبى الله من يلى غسلك قال رجال من أهل
بيتى الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك قال فى ثيابى هذه وفى حلة يمانية وفى بياض مصر فقال
كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا إذا
غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى
ساعة فان أول من يصلى على الله عز وجل هو الذى يصلى عليكم وملائكته ثم يأذن للملائكة فى
الصلاة على فاول من يدخل على من خلق الله ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم
ملك الموت مع جنوده كثيرة ثم الملائكة باجمعها صلى الله عليهم اجمعين ثم انتم فادخلوا على
أفواجا فصلوا على أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذونى بتزكية ولا صيحة ولا رنة
وليبدأ منكم الامام وأهل بيتى الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك
القبر قال زمر من أهل بيتى الادنى فالادنى مع الملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا
فادوا عنى الى من بعدى وقالت عائشة رضى الله عنها فلما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة فى أول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين
واخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينما نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح
قبل ذلك اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عنى هذا الملك يستاذن على فخرج من فى البيت غيرى
ورأسه فى حجرى فجلس وتنحيت فى جانب البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعانى فاعاد
رأسه فى حجرى وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءنى فقال ان الله عز وجل أرسلنى وأمرنى أن
لا أدخل عليك الا باذن فان لم تاذن لى أرجع وان أذنت لى دخلت وأمرنى أن لا اقبضك حتى
تامرنى فماذا امرك فقلت اكفف عنى حتى ياتينى جبريل عليه السلام فهذه ساعة
جبريل قالت عائشة رضى الله عنها فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى
فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة ماتحير اليه شيئا وما يتكلم أحد من أهل البيت اعظاما
لذلك الامر وهيبة ملأت اجوافنا قالت وجاء جبريل فى ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج
اهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول كيف تجد منك

وهو أعلم بالذي تجد ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على وان تكون سنة في أمتك فقال أجدني وجعا فقال ابشر فان الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك فقال يا جبريل ان ملك الموت استأذن علي وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد إن ربك اليك مشتاق ألم يعلمك الذي يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا الا ان ربك متم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح إذاً حتى يجيء وأذن للنساء فقال يا فاطمة ادني فاكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال ادني مني رأسك فاكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام فكان الذي رأيناه منها عجبا فسألناها بعد ذلك فقالت أخبرني وقال إني ميت اليوم فبكيت ثم قال إني دعوت الله أن يلحقك بي في اول أهلي وأن يجعلك معي فضحكت وأدنت ابنيها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فاذن له فقال الملك ما تامرنا يا محمد قال ألحقني بربي الآن فقال بلى من يومك هذا أما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن احد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على احد إلا باذن غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه الى الأرض أبدا طوى الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الأرض حاجة غيرك ومالي فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقفي لا والذي بعث محمداً بالحق ما في البيت أحد يستطيع ان يحير اليه في ذلك كلمة ولا يبعث إلى احد من رجاله لعظم ما نسمع من حديثه ووجدنا وإشفاقنا قالت فقمت الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين ثديي وأمسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من انسان قط فجعلت أسلب ذلك العرق وما وجدت رائحة شيء اطيب منه فكنت اقول له اذا أفاق بابي انت وامي ونفسي واهلي ما تلقى جبهتك من الرشح فقال يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهلنا فكان اول رجل جاءنا ولم يشهده اخي بعثه إلى أبي فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يجيء احد وانما صدهم الله عنه لأنه ولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا اغمي عليه قال بل الرفيق الأعلى كان الخيرة تعاد عليه فاذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة رضي الله عنها ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الأمة تصاب فيه بعظيمة وقالت ام كلثوم يوم أصيب علي كرم الله

وجهه بالكوفة مثلها مالقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل علي وفيه قتل ابي فما لقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضي الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قدحم الناس حتى ارتفعت الرنة وسجي رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد وخلط آخرون فلانوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلي فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فان الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا إلا بقول ابي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم إنك ميت وانهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وبلغ أبا بكر الخبر وهو في بني الحرث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال بأبي أنت وأمي يارسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآية فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ وفي رواية أن أبا بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك مالم ينقطع لموت أحد من الأنبياء فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء الشؤون فاما مالا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يامحمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ماخلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا وليكن هذا آخر ما أقدرنا الله عليه وجذب قلوبنا اليه ليكون لنا برسول الله أسوة حسنة ونرجو من الله أن يبدل السيئة بالحسنة وأن يلقنا بنبينا صلى الله عليه وسلم على الايمان إنه أكرم مسؤول وأعز مأمول والحمد لله رب العالمين

تم الكتاب بعون الله تعالى

تم الفهرست


